المركز القومى للترجمة

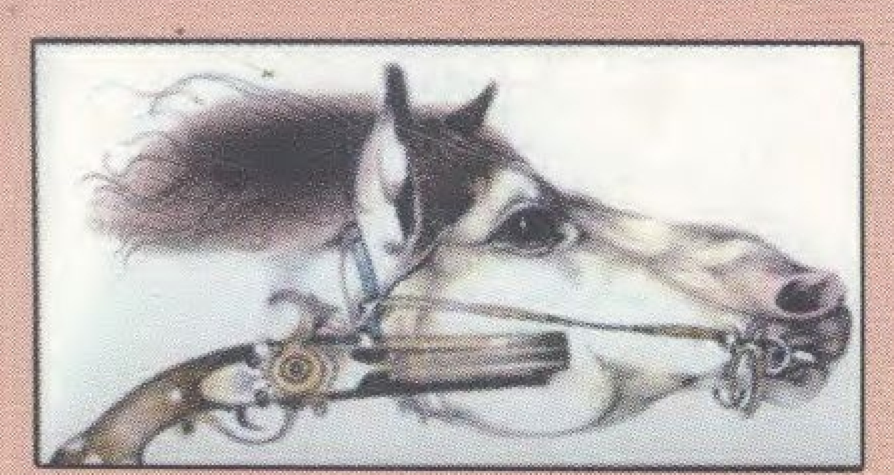
المشروع القومى للترجمة

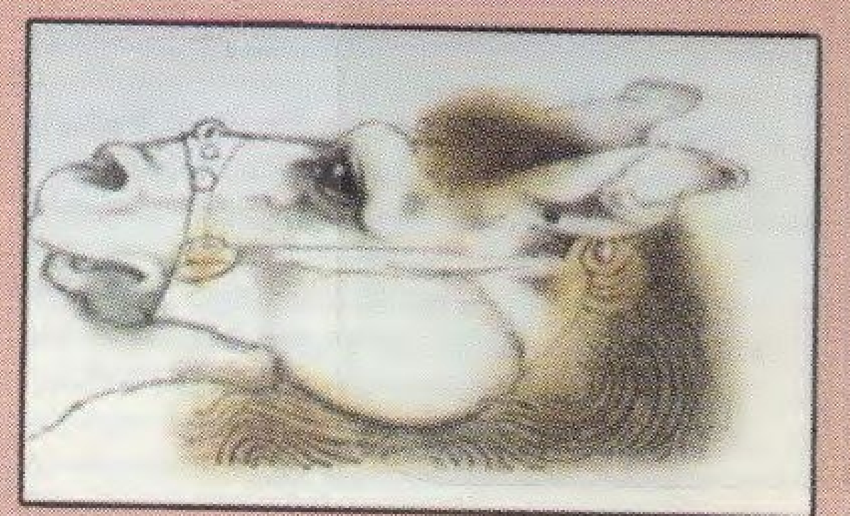
حواديت
الأخوين جريم

الطبعة الثانية

2/995

ترجمة : منى الخميسى





حواديت
الأخوين جريم

المركز القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: ١٩٩٥/ ٢
- حواديت الأخوين جريم
- منى الخميسى
- الطبعة الثانية ٢٠٠٩

هذه ترجمة:

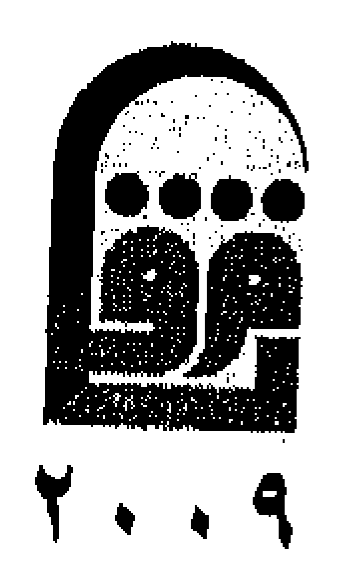
(Kinder – und Hausmãrchen)
Märchen
Brũder
Grimm

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ – ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524-2735426 Fax: 27354554

حواديت
الأخوين جريم

ترجمة

منى الخميسى



٢٠٠٩

رقم الإيداع: ١٠٦٢٦ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى: 9 - 284 - 479 - 977 - 978
طبع بمطابع مصر للطيران

المحتويات

مقدمة المترجمة

رأى الجزء الأول من "حواديت الأخوين جريم" النور فى ألمانيا عام ١٨١٢، ونشر الجزء الثانى سنة ١٨١٤، ثم تبعهما الجزء الثالث، وبذلك يكون قد مر على صدور هذا التراث الشعبى الألمانى **حوالى قرنين من الزمان**!! وهذه العقود الطويلة التى ظلت خلالها "حواديت الأخوين جريم" مغيبة عنا، تستدعى ولو وقفة قصيرة منا؛ إذ ظلت الثقافة العربية لا تعرف هذا التراث الفذ على امتداد أعمار أجيال عديدة، وظلت مكتبتنا تفتقر إلى "ألف ليلة وليلة" الأوروبية. ولذلك وددت أن أستهل المقدمة بتسجيل شكر خاص لـ "المجلس الأعلى للثقافة" وأمينه العام المفكر والناقد الكبير الدكتور جابر عصفور بصرح "المشروع القومى للترجمة"، الذى فتح به طاقة تنفذ أخيراً من خلالها إشراقة هذه الأعمال إلينا.

استغرق الأخوان جريم فى تجميع هذه الحواديت فى ألمانيا أكثر من نصف القرن، من سنة ١٨٠٦ إلى ١٨٥٧. كان الأخوان يدونان ما يرويه الشيوخ والعجائز والنساء وسكان القرى النائية فى كل أطراف ألمانيا من حكايات وحواديت، لا يضيفان شيئًا قط، ولا يحوران ما يسجلان. وكانت كل طبعة حديثة للحواديت تضم الجديد منها، وتتم مراجعة القديم ومقارنته بما يقصه الناس فى كل ربوع ألمانيا. وكان الرواة يقصون الحدوتة الواحدة بعدة طرق، وتختلف هذه الطرق إلى إن

الحدوتة الواحدة تبدو فى النهاية عدة حواديت. وإذا حار الأخوان جريم فى التعرف على الأصل منها، تخيرا الأفضل والأنقى والأبسط لكتاب الحواديت الأصلى، ثم حفظا البقية المتكررة فى الجزء الثالث. وتبدو متكررات الحواديت فى بعض الأحيان وكأنها حواديت مستقلة؛ لذلك انتخبنا للترجمة إلى العربية الطبعة الألمانية الكاملة للحواديت، ليطلع عليها القارئ العربى للمرة الأولى غير ناقصة.

وأوردت مقدمة جريم للطبعة الثانية؛ لأنها تشتمل على مضمون مقدمة الطبعة الأولى، ثم مقدمة الأخوين جريم للطبعة الثالثة، وأسقطت مقدمة الطبعة الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة؛ لأنها لا تأتى سوى بأسماء الحواديت الجديدة التى أضيفت للكتاب ولا يتجاوز حجم المقدمة منها عشرة أسطر.

لم تتم الترجمة وفقًا لتسلسل الحواديت لدى الأخوين جريم. ورأيت أن يضم هذا الجزء أطول وأشهر وأجمل الحواديت الألمانية، وهى ثمانى وثلاثون حدوتة. أما حواديت الأخوين جريم فتبلغ مائتى حدوتة، هى الأصل، ثم عشر حواديت أخرى تحت عنوان "حكايات الخرافات للأطفال"، وثمانى وعشرين حدوتة نشرت فى فصل بذاته بعنوان "الملحق". وأخيرًا مكررات الحواديت فى مجلد مستقل يضم مائتين واثنين وأربعين حدوتة.

وبديهى أننى توخيت كل الحذر والدقة والأمانة فى ترجمة الحواديت، ولم أضف سوى مداخل الحواديت بعبارات من تراثنا: "كان

يا ما كان ... ...". مع العلم أن هذه المداخل كانت إما مستقاة من حكاية الحدوتة ذاتها، أو ترجمة دقيقة للسطور الأولى منها. وبهذا المعنى فإن هذا التدخل محصور فى إطار محدود إلى أقصى حد. وأنهيت الحواديت كذلك بخاتمة تتكرر مع كل حدوتة، سيلحظها القارئ، ثم تمت إضافات جد طفيفة - لا تبدل من المعنى شيئًا - فى الشعر الذى تحويه الحواديت لضرورات تتعلق بمذاق اللغة، وكان ذلك فى أضيق الحدود أيضا. وسمحت بهذه الاضافات (المدخل والخاتمة) لنقل جزء خارج نص الحدوتة وسياق الأحداث إلى مناخ الحواديت العربية الروحى والفنى دون الاقتراب من النص نفسه. وقد يغفر لى هذا التجاوز؛ ففى اعتقادى أن حب فن أجنبى وفهمه بكل ما يحمله هذا الفن من عناصر جديدة، يتم بالتدريج كى لا يصبح "العسل مرًا" فيلفظ ويهمل.

وأخيرًا فإننى قد بذلت فى هذه الترجمة كل ما استطعته وسخرت لها كل ما منحته لى الحياة من قدرات متواضعة، ولا أزعم أننى بلغت بها الكمال، لكننى استهدفته.

منى الخميسى

إهداء

إلى أمي ثم أمي ثم أمي

وفاءً أبديًا

وأبي تلك القلعة العصية

منى

مقدمة الأخوين جريم للطبعة الثانية

عندما تضرب العواصف بلداً ما، أو تحل به كارثة أخرى من كوارث السماء فتطيح به طوحاً، فإننا رغم الدمار نعثر على أفرع ووريقات منفردات هنا وهناك بين الأشجار والخضرة المبعثرة فوق الأرض، وقد عثرت لنفسها على مكان آمن فى التربة ولاتزال تصون نضرتها. وعندما تشرق الشمس وتدفئها فإنها سرعان ما تستأنف التفتح والتورق بعيداً عن الإبصار. وما من منجل يقوى على حصادها قبل موعد نضوجها ولا حتى من أجل تأمين مخزون موسم الشتاء من الغذاء. وعندما يحين قطافها فى نهاية الصيف تأتى الأيادى الفقيرة تفتش عنها، وبحرص تكوم الأفرع فوق الأفرع وتحزمها، ثم بعناية تنقلها للديار فتكون زاداً لكل الشتاء، وربما بذوراً للمستقبل.

كذا كان حالنا مع "الحواديت"، عندما أدركنا أن كل الذى تفتح فى الأزمنة الغابرة كاد يندثر تماما ولم يتبق منه سوى أغنيات قليلات وعدد شحيح من الكتب والأساطير وحواديت الأطفال هذه الطاهرة التى مازال البعض منها منتشراً وسط الشعب فى: المجالس حول أفران التدفئة، الموقد بالمطبخ، سلالم الدار الطينية، الأعياد التى تجرى الاحتفالات بها، سكينة المراعى والحقول، وقبل كل شىء فى الخيال النقى، ذلك السياج من الأشجار الذى صانوه وحفظوه منذ زمن بعيد وتوارثوه ونقلوه إلينا.

لقد حان وقت تدوين هذه الحواديت؛ فالذين يقصونها يتناقصون على الدوام، العادات ذاتها تتراجع شيئًا فشيئًا وتنطمر، تشبه فى ذلك الأمكنة المستورة فى البيت وحديقته، التى لا يعلم عنها شيئًا سوى أصحاب الدار، وتظل ترافق الجد فالابن والحفيد، ثم تنسحب وتختفى تاركة وراءها الخواء الذى نتنسمه فى الابتسامة التى ترتسم فوق الشفاة أثناء الحديث عن تلك الأمكنة، تلك الابتسامة التى تبدو رائعة لكن لا قيمة لها. وتظل هذه الحواديت حية بذاتها، بغض النظر عن جودتها أو سوئها، وبغض النظر عما إذا كانت ستلقى إعجابًا أكبر لدى أهل الفن أو من قبل الحاذقين. إننا نحبها لأن من قبلنا قد أحبها ونسعد بها دون سبب واضح. إن التقاليد القديمة تصبح رائعة عندما تنبعث من جديد، شأنها شأن الشعر الذى يرقى للخلود، وينجرف صوبه البشر فى مواجهة أى شىء آخر. وبمقدور كل منا ملاحظة أن هذه الحواديت تنتشر أكثر وترسخ أعمق عندما يشح الإرهاف للشعر، أو حيث الخيال مازال متقدًا لم تخمده بعد تقلبات الحياة. إننا هنا لسنا بصدد تمجيد هذه الحواديت أو الدفاع عن رأى بشأنها ضد الآخر؛ لأن مجرد وجودها سبب كافٍ للعمل على صيانتها من الضياع. إن ما يشيع البهجة والسعادة على نحو عميق ومستمر، ويحرك الإنسان ويلقن البشر تعاليم الحياة فإنه يحمل فى طياته دوافع ضرورة البقاء، وينبع بالتأكيد من نبع أبدى، إنه يندى كل الدنيا ولو بقطرة واحدة قد تسقط وتلمس ورقة عشب تشع عند أول شفق.

ولذلك تقوم هذه الحواديت بتطهير النفس، وتجعلنا نرى الأطفال بهذا التكوين الروحاني؛ لأن لها نفس عيونهم التى لا تنضج أبداً بزرقتها الرائقة وبنفس البريق، وبقية الأعضاء مازالت رقيقة واهنة، لا تمتلك خبرة العمل فى الأرض. على هذا النحو فإننا بتجميع هذه الحواديت لا نقدم خدمة لعلم الأساطير وحسب، بل ولبعث الفن الذى تحويه الحواديت ذاتها، الذى يسعد بذلك من يمكن إسعاده. وبتعبير آخر فإن الحواديت كتاب تربوى أيضاً، لكننا لم نغربلها وننقيها لتحقيق هذا الهدف التربوى بدافع الخوف، ولم نستبعد ما له صلة ما بعلاقات معينة ووقائع محددة كانت تجرى يومياً فى الدنيا؛ إذ لا يصح أبداً أن يظل هذا وذاك من ملابسات الحياة مستتراً. إننا وددنا أن يكون كتاب الحواديت مرآة لحقيقة ما كان يجرى. ولم نفتش عن صحة ما دوناه من حواديت، بل عن صحة الحقيقة التى تسردها الحدوتة، والتى لا يجوز بحال أن تترك للاندثار، وقمنا فى الوقت نفسه وبعناية بالغة باستبعاد الألفاظ والتعابير التى من شأنها أن تخدش الصغار ولا تتسق مع أعمارهم فى هذه الطبعة المخصصة للأطفال.

وإذا تحير بعض الآباء بشأن كتاب الحواديت هذا ولم يرغبوا فى أن يتناوله أبناؤهم، فمن المؤكد أن هناك حالات خاصة تستدعى انتقاء الحواديت، لكن بشكل عام ليس هذا بضرورى على الإطلاق. ولا شىء هنا يمكنه الدفاع عنا فى هذا السياق أفضل من الطبيعة ذاتها، التى تركت هذه الزهرة أو تلك الورقات تتفتح وتورق بهذا اللون أو تلك السمات. ومن لا تروقه الزهرة أو لا تعجبه الورقات لأسباب خاصة، لا

يستطيع بحال صبغها أو جثها. إن المطر والندى يتساقطان خيراً لكل ما فوق البسيطة، ومن لا يجرؤ على ترك نبتته تحت ماء السماء لأنها نبتة شديدة الحساسية وقد تتلف من جراء ذلك، فيضعها داخل الدار ويرويها بماء وجل، لا يستطيع أن يطالب الأمطار والندى بالكف عن السقوط! إن كل ما تأتى به الطبيعة مجيد، وعلينا بعد التسليم بذلك أن نتأمله. وفى هذا الصدد فإننا حقًا لا نعرف كتابًا أفضل من كتاب سطره الشعب بنفسه. إننا نسمو ونرتقى أعلى المراتب بالكتاب المقدس "الإنجيل"؛ حيث تكون هذه التأملات أكثر بكثير جداً، لكن الفهم والتلقى الصحيح لتلك المضامين لا يمكن أن يسفر عن ضرر أو يلحق الأذى بأحد، بل إنها، كما تقول الحكمة الجميلة :"شاهد على أفئدتنا". ووفقًا للاعتقاد الشعبى فإن الأطفال فى الحواديت تحلق دون خوف حتى النجوم البعيدة، بينما آخرون يخدشون الملائكة.

بدأنا فى تجميع هذه الحواديت فى عام ١٨٠٦. وفى سنة ١٨١٢ صدر الجزء الأول وحوى ما دوناه مما سمعناه من الرواة فى منطقة Hessen والمنطقة الواقعة ما بين Main وHanau ومنطقة الاطفال التابعة لدوقية Hanau، وهى مدينتنا الأصلية. وانتهى الجزء الثانى عام ١٨١٤ على نحو أسرع؛ لأن الجزء الأول كان قد اجتذب للحواديت أصدقاء ومشجعين فتضامنت الناس معنا لما تبينت الغرض من التجميع، وأيضا لأن الحظ كان حليفنا والمصادفة ساقت لنا مجموعة من المعاونين فى التجميع النشيطين المثابرين الذين يتمتعون بنفس درجة الدقة التى نعمل بها. وبالمناسبة فإن أولئك المجيدين تلقاهم فى

الحياة أكثر مما تظن. هكذا كان الحال أيضًا فيما يتعلق بتجميع التراث القديم والحكم المأثورة والنكات الشعبية وحواديت الشمال بلكنة أهله الجميلة. وفى إمارتى Münser و Paderborn أخذنا بطيبة الناس وودهم، وقد هون علينا مشقة العمل: اللهجة المألوفة وسرد الحواديت كاملة فى تلك المناطق الشهيرة قديمًا بالحرية الألمانية، والتى مازالت الطبيعة فيها والحواديت والأساطير واقعًا معاشًا وعادة ممتعة ومنتظمة خاصة فى أيام الأعياد والاحتفالات. فهذه المناطق مازالت ثرية بالتقاليد والتراث والأغنيات القديمة. واللغة الأصلية هناك راسخة لم تضطرب بعد بالمفردات الأجنبية من ناحية، ومن ناحية أخرى لم يخمد تألقها بعد بتخمة الجديد، ولذلك فإنها تؤمن الذاكرة التى مازالت محتفظة بما حملت. وعموما فإننا نلاحظ أن التراث لدى الشعوب التى لم تتطور آدابها أقوى وأنقى من غيرها كتعويض روحى وفنى. وكان هذا هو الحال أيضًا فى منطقة Niedersachsen التى صانت التراث أكثر من كل المناطق الأخرى. فى تلك المنطقة بالذات كان من الممكن إصدار مجموعة من الحواديت الشعبية فى القرن الخامس عشر أو فى القرن السادس عشـــر فى زمن Hans Sachsens و Fischarts Zeiten فى ألمانيا.

وكان لقاؤنا مع فلاحة فى قرية Niederzwehrn الواقعة بالقرب من منطقة Kassel اسمها Viehmännin من المصادفات البديعة. كانت المرأة قد جاوزت الخمسين من عمرها، لكنها لم تبد عجوزًا، بملامحها شىء من الجمود والتفهم واللطف، وكانت تنظر بحدقتين

واسعتين بصفاء وحدة. كانت تحفظ المأثورات القديمة فى ذاكرتها بوضوح، وتقول إن تلك هبة لم تمنح لأى كان، والكثيرون لا يعرفون هذه الحواديت حتى نهايتها. كانت المرأة تحكى بتأمل وبثقة كبيرين وباستمتاع بيِّن بما ترويه، تبدأ فى سرد الحكاية باندفاع، ثم إذا استشعرت أن السامعين يتطلعون للتمهل تأخذ فى التباطؤ فى قص الأحداث، فيتحتم على المدون لما ترويه أن يكون محنكًا ممرسًا فى هذا العمل كى يتبعها بالقلم. أبقينا على الكثير من الحواديت كما سردتها لنا حرفيًا، ويمكن للقارئ أن يتعرف على تلك الحواديت من بساطتها وصدقها. ومن منكم يتشكك أو يتصور أن هناك تحويرًا أو تزويرًا تم فيما نقل إلينا، ومن ثم يعتقد أن الحواديث كتراث لا يمكن لها أن تكون قد ظلت حية هذا الزمن الطويل، فعليه أن يستمع لتلك الفلاحة،،وكيف كانت دقيقة فيما تسرد، جاهدة فى قص حقائق الأحداث، ولم تبدل ما تكرره علينا أبدًا، وتصحح على الفور ما تخطأ فيه سهوًا أو غفوةً. إن التعلق بالتراث من قبل فئات الناس المستمرة فى نفس نمط حياة الموروث أعتى كثيرًا من رغباتنا نحن فى التغيير؛ لذلك تحديدًا صان التراث تنوعه. إن الأساس الملحمى للتراث الشعبى يشبه اخضرار الطبيعة المتباين فى تدرجه، ذلك الاخضرار الذى يشبع ويروى دونما عناء، ولم يكن من الممكن التوصل إليه دون الجهد الذاتى والاقتراب اللصيق منه، الذى ينعكس من الخارج إشعاعًا وبريقًا.

بالإضافة إلى تدوين حواديت الجزء الثانى أعدنا كتابة الكثير جدًا من حواديت الجزء الأول، بعد أن استمعنا إليها من مصادر مختلفة

وحكائين آخرين. وتميزت منطقة Hessen بصيانة التراث والحفاظ على التقاليد القديمة على نحو أفضل من غيرها، باعتبارها منطقة جبلية تقع بين طريقين كبيرين للجيش، وتعمل فى الوقت نفسه بالزراعة. ويختص أهل هذه المنطقة، على العكس من أحوال بلدان أخرى، بالجدية والقدرة والاجتهاد، هذه سمات لن يغفلها التاريخ. حتى هيئة الرجال الجسيمة والجميلة والظلال ولفظ الراحة والترقق، وهى صفات تأتى من Sachsen فى Hessen نستشعر خشونة المنطقة البرية، لكنها خشونة تروق الإنسان بروعتها وبعبقها وبدرجة من الصرامة، كل هذا يشكل نمط الحياة ونسيجها، وهو جزء من الكل. إن شعب Hessen باعتباره من السكان القدماء للمنطقة، والذى تمسك بخصوصيته وكينونته عبر تغيرات الأزمنة أكثر من الشعوب الأخرى، يجب أن يدخل فى عداد شعوب وطننا.

كل ما جمعناه حتى الآن من حواديت ضمناه للطبعة الثانية للكتاب؛ لذلك تمت إعادة صياغة كل الجزء الأول تقريبًا، واستكمل منه ما كان ناقصًا، واستبدل بما كان به لبس ما قصه علينا الرواة الجدد من حواديت على نحو أنقى وأسهل، وظل الكثير من الحواديت كما كان، فضلاً عن قيامنا بالتدقيق فى الحواديت التى بدت لنا نابعة من مصدر أجنبى، أو تلك التى قد تكون حورت أو زورت فى جزء من التفاصيل، واستبعدنا كل هذا وذاك. فى الوقت نفسه أضفنا الحواديت الجديدة من النمسا ومن منطقة Bohme الألمانية. سيجد القارئ إذن حواديت جديدة فى الطبعة الثانية. وبالنسبة للحاشية فقد حرمنا من قبل بسبب

حجم الكتاب الضخم من إصدارها مكتملة، وقد خصصنا لها فى هذه الطبعة جزءًا ثالثًا مستقلاً، وبذلك تمكنا من نشر كل ما جنبناه على غير رغبة منا، واستطعنا أن نضم له الفصول الجديدة كما تمنينا، والتى من شأنها توضيح الهدف العلمى لهذه المجموعة.

أما عن طريقة التجميع فإن اهتمامنا انصب بالدرجة الأولى على الأمانة ونقل الحقيقة كما هى، ولم نضف من مصادرنا الخاصة أى شىء، ودونا الحواديت كما هى، ولم نجمل ما هو قبيح من ملابسات وأوضاع وسمات. لكن من البديهى أننا قمنا بصياغة ما قصه الرواة علينا، إلا أننا حرصنا على صيانة خصوصية كل ما سمعناه كى تظل الحواديت متنوعة التنوع الذى وهبتها الطبيعة إياه. إن كل من زاول عملاً مشابهًا لهذا العمل (تجميع الحواديث من التراث الشعبى) سوف يدرك أن العمل الذى حققناه عملاً عنى به وحرص عليه؛ لأن الجدية والتذوق ضروريان لا شك لمن يتعاطى مع "الزمن" للتمييز بين السهل والنقى والمتكامل فى الوقت نفسه، وبين المزيف والمفبرك.

لقد دونا حواديت كثيرة رويت بأشكال مختلفة، وبعد أن اكتملت تفاصيلها واتخذت كل أبعادها تبين أنها حدوتة واحدة، فتوجب إسقاط المتكرر منها، وانتقينا فى هذه الحالة الأفضل منها التى احتفظت بخصوصيتها وتفردها، وسجلنا بقية الحواديت المشابهة لها فى الجزء الثالث الخاص بالهوامش. إن هذه الطرق المتباينة فى قص الحدوتة الواحدة بدت لنا أغرب من تغيير مواقع الأحداث أحيانًا أو الانحراف عن حكاية الحدوتة؛ لأن الانحراف هنا قد يبرر بمحاولة الاقتراب من

الأصل. أما تكرار جمل منفردة، ومواصفات معينة، ومداخل الحواديت، فإن كل ذلك يفهم باعتباره سطوراً ملحمية، ما إن تبدأ الحدوتة فى موضوعها الخاص ونبرتها المتميزة حتى تخوض فى قصتها.

ولا يوجد فى ألمانيا، حسب علمنا، تجميع للحواديت، وكانت حتى الآن إما عدداً صغيراً تناقله الناس بالمصادفة، أو اعتبرها البعض مادة خامًا لصياغة قصص كبيرة منها. ونحن نعلن هنا بصراحة أننا نعارض هذا النوع من العمل، رغم أن كل إحساس حى بالشعر ينطوى على ثقافة ومتابعة تحصيل الثقافة، الأمر الذى بدونه يصبح نقل التراث عملية عقيمة ومنفرة. وهذا أحد الأسباب فى أن كل منطقة تقص تراثها بلسانها وتعكس فيه خصوصيتها. إن الفارق شاسع بين الذى - ولو بنصف وعى - يشبه النبتة فى تورقها الهادئ وينهل مباشرة من نبع الحياة فيترعرع، وبين الذى يتقصد تغيير كل شىء وفقًا لهواه تغييراً مزيفًا، وهذا ما لا نستطيع الاتفاق معه. المبدأ الوحيد الصحيح هو رهن بالثقافة، إن رؤية الأديب عليها أن تستهدف التثقيف الطبيعى لروح الشعب ومنع زحف الشهوات. وإذا جنبنا القيمة العلمية للتراث، أى إذا سلمنا بأنه يعكس رؤى تلك الأزمنة وثقافتها، فمن البديهى أن أية معالجة للتراث من خلال إعادة صياغته من شأنه أن يدمره، ولن يحرز الفن من ذلك شيئًا؛ إذ: هل يعيش الفن فى أمكنة أكثر دفئًا من تلك التى يلتقى فيها بالنفس، هناك حيث تتنسم وتنتعش الروح أو تتدفأ وتشتد؟ إن أية معالجة فنية للحواديت يزيل عنها طهارتها وبساطتها ونقاءها السلس، وينتزعها انتزاعًا من بيئتها التى نبتت فى رحمها،

والتى فى داخلها إنما تمجد دوماً. إن أفضل الأحوال التى يمكن أن تتم بها معالجة التراث هى الدقة وإضافة النكات وصبغها بطابع الأزمنة البعيدة وروحها، ورسم وصف رقيق للمشاعر كى تكون يسيرة فى التلقى للاستمتاع بها باعتبار الحواديت فنًا لكل الشعوب؛ لكننا ضد هذه المعالجة لأن ضررها أكبر كثيراً من نفعها؛ فهى تعتمد على أساس أن الحدوتة سوف تُقرأ أو تُسمع مرة واحدة فقط، وهذه الرؤية متأثرة بالعادات التى انتشرت فى زمننا مثل الرغبة فى إشعال الإثارة والتشوق. إن اليد المتمرسة بهذه المعالجة مثل اليد التى لها سحر الموهبة، لكنها موهبة تعيسة، تحول كل شيء تلمسه إلى ذهب حتى الطعام، وبذلك لا تقوى وهى منغمسة وسط الثروة إن تشبعنا أو ترويننا. إن علم الأساطير لا يمكن تأسيسه اعتماداً على قوة الخيال وقدرته. كم ستبدو الكلمات فى هذه الحالة جرداء دون روح ولا شكل؟! هذا الذى ذكرناه فى معارضة "معالجة التراث" ومحاولة تجميل الحواديت وتصويرها على نحو فنى أكثر مما هى عليه لا يعنى بحال تقييد حرية فهمها أو إدراكها وتلقيها؛ فمن منا يسعى لوضع حدود للفن والشعر؟

إننا نسلم كتاب الحواديت هذا لصدور رحبة، ونعتمد فى ذلك على مباركتهم لها، ونأمل ألا تظل فتات الشعر والفن هذه بعيدة عن الفقراء، وأن تستقر مكنونة فى أياديهم.

كاسيل، ٣ يوليو ١٨١٩

مقدمة الأخوين جريم

للطبعة الثالثة

تضم هذه الطبعة الثالثة عدداً جديداً من الحواديت، من بينها حواديت سويسرية، وبذلك يقترب عددها، قدر ما استطعنا، من الكمال. فضلاً عن ذلك فقد قمنا بتصحيح عدد آخر كبير منها لمرات عديدة. لكن الطبعة الثالثة خصصت للبحث العلمي، ولذلك سوف تجد قُرّاءها ضمن أوساط محددة وقليلة، خاصة وأن نسخ الطبعة الثانية لم تنفد بعد ومازال منها في مكتبة Reimerschen في برلين؛ لذلك سوف يتم إصدار الطبعة الثالثة على نحو خاص تتضمن مقدمات الطبعات السابقة حول مضامين الحواديت وغيرها.

إن الإدارك العميق للتراث والانطباع الإيجابي عن الحواديت وثرائها وتنوعها، رغم أن ذلك قد يبدو غروراً من جانبنا، قد حققوا لها النجاح والانتشار في الخارج أيضاً. وتعد الترجمة الإنجليزية لها، من بين التراجم الأجنبية، الأكمل والأفضل. وذلك لكون اللغة الإنجليزية قريبة من لغتنا، تتطابق تعابير مترادفاتها مع المترادفات الألمانية بشكل دقيق. وأصدرنا "مختارات من الحواديت" في مجلد صغير أول مرة في ١٨٢٥ وأعدنا نشره في ١٨٣٣ ثم في ١٩٣٦، وراعينا فيه اعتبار أن كل الحواديت لا تصلح لمطالعة الصغار.

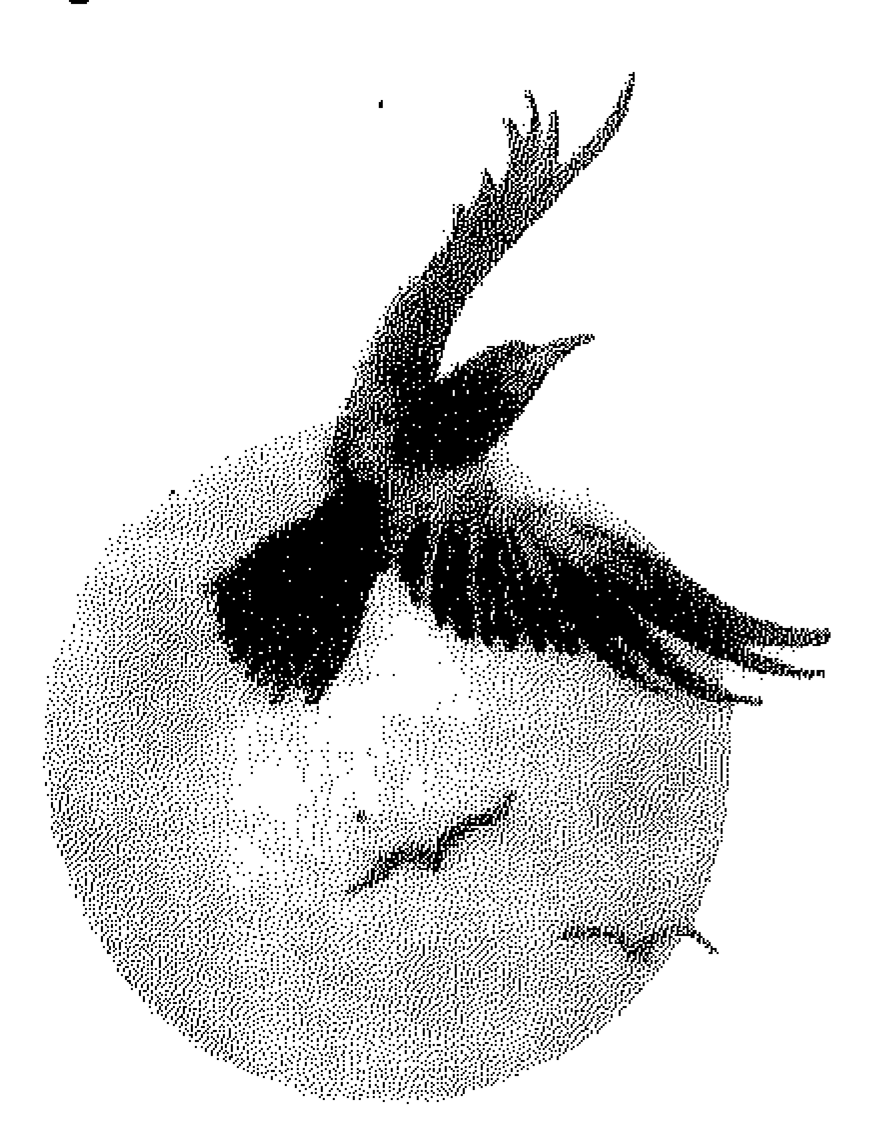
أما بالنسبة لقيمة هذا التراث العلمية فقد فوجئنا بأن هناك تشابهًا بين الحواديت وأساطير الآلهة. وبتدوين هذه العلاقة وحفظها مسجلة سيجد علم الأساطير الألمانية نبعًا عميقًا ينهل منه. إن الحواديت الألمانية فى تشابهها الشديد بأساطير الشمال قد عثرت على برهان يؤكد وحدة الأصل فى المضمون.

وإذا استمر الاهتمام بهذه الحواديت فى التطور، فإننا لن نبخل عليها بالعناية والجهد.

جوتينجن، ١٥ مايو ١٨٣٧

يوهانس المخلص

DER TREUE JOHANNES



كان يا ما كـان
فى بلاد الألمـان
عاش من زمـان
ملك ذو سلطـان:

وكان مريضاً، وقد أحس بنهايته تدنو، وبأن الفراش الذى يرقد فوقه هو لحده ومساقه إلى الموت، فطلب من حاشيته أن يأتوا إليه بيوهانس المخلص أحب خادم لديه، وقد لقب بـ "المخلص"، لأنه كان أوفى من خدم الملك على الدوام.

أتى يوهانس وقال له الملك:" يوهانس! يا أوفى من أحبنى وأخلص من خدمني، إننى أشعر بنهايتى، وليس لدى من هم سوى ابنى، لأنه مازال شابًا صغيرًا وليس بوسعه بعد الاعتماد على نفسه؛ لذا لن أحتمل الاستسلام لمنيتى بروح هادئة إلا إذا وعدتنى أنك ستلقنه كل ما عليه تعلمه، وبأنك ستصبح مربيًا وأبًا له بالوصاية." أجاب يوهانس:" ثق أننى لن أتركه وسأخدمه وأرعاه بإخلاص ولو كلفنى الأمر حياتى." أضاف الملك:" إذن يمكننى أن أمضى فى سلام، وعليك بعد رحيلى أن تطلعه على كل خفايا القصر والإرث، على كل الغرف، وكل القاعات، وكل الأقبية، وكل الكنوز التى تحويها، لكن احذر أن يرى الحجرة الأخيرة فى نهاية ممر القصر الطويل التى توارت فى سقفها صورة ابنة الملك من خلف القبة الذهبية. سوف يعشق ابنى صاحبة هذه الصورة عشقًا مدمرًا لو لمحها وسيهوى فى غيبوبة فاقدًا وعيه، ويعرض نفسه لمخاطر كبرى، وعليك أنت أن تصونه من تلك المهالك!" قطع يوهانس المخلص مرة أخرى على نفسه العهد لسيده الذى مال برأسه فوق الوسادة وفاضت روحه فى طمأنينة.

بعد أن وسّد الملك التراب قص يوهانس المخلص على الملك الشاب ما وعد به سيده، وأكد له أنه:" سيفى بالعهد ولو كلفه الأمر حياته." ثم أردف قائلاً:" انقضى زمن الحزن، وحان الوقت لتتعرف على إرثك، سأريك قصر أبيك." واصطحب يوهانس المخلص الملك الشاب وطاف به كل أرجاء القصر المهيب، راح معه ودار به فى جميع الأمكنة، ونزل به وصعد كل الطوابق، وتفقد شتى الأنحاء، ثم عرض عليه ثرواته

وكل الغرف الخلابة، لكنه لم يفتح له حجرة واحدة، تلك التى كانت بها "الصورة الخطرة".

توسطت الصورة سقف القبة فى القاعة، وكان لابد من أن يراها من يفتح الباب ويلحظ أن صاحبة ذلك الوجه هى أبدع وأروع وأحب شىء فى الوجود. انتبه الملك الشاب إلى أن يوهانس المخلص طالما مر على تلك الحجرة غير أنه لم يقترب من بابها أبداً أو يفتحه، فسأله:

- " لماذا لا ترينى هذه القاعة؟"

- أجاب يوهانس:" لأن بها ما يروعك!"

- قال الملك:" لقد تفقدت كل القصر، وأود أن أتعرف أيضًا على هذه الغرفة!"

- رد يوهانس:" قطعت على نفسى عهداً لأبيك قبل موته بألا تراها؛ لأن ما بداخلها لن يجلب لك سوى الويلات وسوء الحظ."

- أضاف الملك:" كلا .. إن نحسى وسوء طالعى ينتظرانى إذا لم أرها بعينى، ولن يهدأ لى بال، بل ولن أتحرك من موقعى قبل أن تفتح لى الباب!"

أحس يوهانس المخلص أن لا جدوى من محاولاته منع الملك فتنهد مهموماً وخطا بقلب حزين إلى الباب وهو يفتش عن مفتاحه بين مفاتيح القصر الكثيرة. فتح الباب وتعمد الخادم المخلص أن يتقدم الملك عله يحجب عن بصره الصورة، غير أن الملك وقف على أطراف أصابع

قدميه ومط عنقه من فوق كتفي يوهانس فرأى رسمة العذراء البديعة يبرق فيها الذهب وتلمع الأحجار الكريمة. وما إن أبصرها حتى سقط فى غيبوبة فاقداً وعيه. رفعه الخادم المخلص وحمله إلى فراشه وهو مكدر مغتم يفكر قائلاً لنفسه:" يا إلهي! لقد وقعت البلية! والآن .. ما العمل؟" جرّعه يوهانس نبيذاً حتى أفاق واسترد عافيته وسأل بالكلمات الأولى التى همست بها شفتاه:" قل لى من صاحبة الصورة الخلابة؟! إنى عشقتها عشقاً عظيماً.. يا يوهانس، لو أن كل أوراق الشجر فى كل الدنيا انقلبت ألسنة شعراء عظام مفوهين لأخفقت فى التعبير عن هذا الحب! إنى سأهب حياتى كلها كى أحظى بها، وعليك أنت يا خادمى المخلص معاونتى فى ذلك!"

فكر يوهانس المخلص ملياً فى كيفية البدء للبحث عنها بعدما أيقن أن الاعتماد فقط على ملامح وجهها من الصورة لن يفضى لنتيجة. أطال يوهانس التأمل إلى أن عثر على حيلة، وقال لملكه:" مولاى! إن كل ما حولك مصبوب من الذهب النقى: الموائد، والمقاعد، والأوانى، والكئوس والأقداح، والأوعية، وكل أدوات وأغراض القصر الأخرى. هذه الثروة تزن خمسة أطنان من الذهب. عليك أن تأمر أحد الحدادين فى مملكتك أن يصنع لك من هذا الذهب كل أجناس العصافير ومختلف ألوان الطيور وشتى أنواع الحيوانات البديعة والأدوات والأشياء الفريدة التى تثير دهشتها وإعجابها. وسنحاول بتلك الهدايا إنهاء المهمة، وليكن الحظ حليفنا!".

أمر الملك على الفور كل الحدادين فى المملكة بالعمل باقتدار ليل

نهار. وعندما فرغوا من المهمة كانت سفينة الملك على أهبة الاستعداد تنتظر، ونقلت الهدايا والتحف إليها، وارتدى يوهانس المخلص ملابس التجار وتخفى سيده باللبس نفسه. واندفعت السفينة مبحرة، وبدأت رحلة البحث عن صاحبة الصورة.

ومرت أيام وانقضت أسابيع ودارت شهور، وبعد زمن طويل اجتازت السفينة فيه بحوراً وبلاداً وحدوداً وصلت أخيراً إلى المدينة التى تسكن ابنة الملك فيها القبة الذهبية.

رست السفينة وقرر يوهانس المخلص أن يترجل وحده، وطلب من الجميع الانتظار قائلاً:" قد أعود ومعى ابنة الملك، اعتنوا بكل شىء، صفّوا الهدايا رصّوا القطع الذهبية وزيّنوا السفينة!" ثم دس فى ملابسه شتى القطع الذهبية النادرة ونزل إلى أرض المملكة الغريبة وقطع طريقًا مستقيمًا حتى قصر الملك. وفى حديقة القصر كانت فتاة جميلة تقف قرب بئر وهمت برفع دلوين ممتلئين ورأت القادم الغريب وسألته من يكون؟ فأجابها:" تاجر". ثم فتح عباءته لترى الهدايا الذهبية. صاحت الفتاة فى انبهار:" يالها من تحف رائعة وأشياء بديعة الجمال" أعادت الدلوين على الأرض، وراحت تتفحص بعناية كل قطعة منها وقالت:" لابد أن ترى الأميرة ما لديك، إنها تعشق الذهب، وسوف تبتاعها كلها."

سحبت جارية الأميرة التاجر من يده وصعدت به لسيدتها. رأت ابنة الملك ما لدى التاجر وغمرتها السعادة، وابتهجت قائلة: "حقًا؛ إنها

آية فى الجمال سأشتريها كلها!" أجابها يوهانس المخلص قائلاً: "يا سيدتى إننى لست سوى خادم وما لدى لا يعد شيئًا إذا قورن بما يمتلكه سيدى ويصطحبه معه فى السفينة من أثمن وأجمل التحف المصنوعة من الذهب فى كل الدنيا." طلبت الأميرة أن يحملوا إليها ما بالسفينة، غير أن يوهانس المخلص شرح لها أن الأمر يتطلب أيامًا عديدة، وأن الهدايا والأغراض سوف تشغل الكثير من القاعات والغرف والأمكنة حتى إن قصرها كله قد يضيق بها. استمعت الأميرة إلى التاجر بلهفة وفضول، ولم تخف رغبتها الجامحة لمشاهدة هذه الثروة الفريدة، وقررت الذهاب بنفسها للسفينة.

عاد يوهانس المخلص ومعه الأميرة صاحبة الصورة "الخطرة" ساكنة القبة الذهبية. ولما لحظها الملك كاد فؤاده يقفز من صدره فرحًا وابتهاجًا، ورأى أن حسنها فاق جمال الصورة روعةً وبهاءً. صعدت الأميرة إلى السفينة فاستقبلها الملك بود وترحاب وقادها إلى الداخل. وبينما كانت الأميرة منشغلة مع الملك الشاب أصدر يوهانس المخلص أمرًا للربان بالتحرك ورفع الأشرعة وشدها كى تنفذ المركبة فى الماء كالرمح المسنون فى الهواء!

انقضت ساعات وساعات والأميرة فى جوف السفينة تتفقد قطع الذهب وتشاهد باهتمام وتتفحص كل ما تقع عليها عيناها من تحف: الماعون والأوعية والكئوس والأقداح وتماثيل العصافير والطيور وأشكال الحيوانات والقطع والأدوات المنزلية وغيرها، وكلها قد صبت من ذهب خالص وصنعت بإتقان ومهارة فبدت خلابة تأسر الروح قبل العقل.



رأت الأميرة كل ما حوت السفينة وشكرت التاجر، ولم تشعر وهى مغيبة من روعة ما شاهدت أنها أمضت زمنًا طويلاً، وأن المركبة منطلقة بها فى عرض البحر، وأنها مازالت مسرعة كالطير. وعندما همت بالرحيل أدركت فوق ظهر السفينة أنها فارقت قصرها وابتعدت عن وطنها مثلما تنوء النجوم عن الأرض. تملكها الرعب وصرخت:" يا إلهى! لقد خدعت واختطفت، وكان الأفضل أن ألقى حتفى على أن أستقر فى يدى تاجر عابر!!" أمسك الملك بيديها قائلاً:" لست تاجرًا كما تظنين بل إننى ملك بالمولد مثلك أميرة بالأصل ولا أقل عنك شأنًا ومحتدًا، إننى استدرجتك بحيلة لأننى عشقتك عشقًا مدمرًا من أول وهلة رأيت رسمك وأنت تطلين من القبة الذهبية، وأطاح بى الوجد والهوى فى غيبوبة وأفقدنى الوعى!".

انتشت الأميرة عندما سمعت عبارة " القبة الذهبية " وصوبت إليه عينين ساحرتين تتأملانه: كان الملك شابًا جميلاً متسق القوام حسن القسمات. أحبته الأميرة وفى الحال وافقت على أن يتزوجا.

فى تلك الأثناء كان يوهانس المخلص جالسًا فى مقدمة السفينة يعزف موسيقى وينشد أغنيات وإذا به يلحظ ثلاثة غربان ترفرف فى الفضاء صوب السفينة وتتجاذب أطراف الحديث، وكان يوهانس يفهم لغة الطيور فتوقف عن الغناء وأصاخ سمعه:

– الغراب الأول:" إنه يقتاد ابنة الملك ساكنة القبة الذهبية إلى قصره!"

– الغراب الثانى:" اقتادها لكنه لم يحظ بها بعد!"

- الغـراب الثـالث:" بل حظي بهـا وهي الآن تجـالسـه وتؤنسـه داخل السفينة!"

- صـاح الأول:" لن يفيده كل ما فعل، حين يصل مملكتـه ويترجل من مـركبـه سيكون في انتظارهم فرس مـروّع يبادر بالهجوم عليهم، وبالطبع سـوف يتصدى له الملك، عندئذ سيطيح الجواد به في الهواء وسيموت بعدها ولن يرى عذراءه أبدًا!"

- أضاف الثاني:" وهل من حيلة لقهر هذا الجواد ونجاة الملك؟"

- أجاب الثالث:" بلى! هناك وسيلة واحدة: إذا امتطى آخر الفـرس بسـرعـة والتقط في التـو السـلاح المدسـوس في زمـامـهـا وقتلها بأعيرتـه في الحـال، عندئذ ينجو الملك من الموت، ولكن من يعرف هـذا السر؟ وحتى إذا عرفه أحد وأفشاه أو نطق به للملك، تنصب عليه اللعنـة فورًا وينقلب من أخمص قدميه حتى الركبتين حجرًا!!"

- قال الثاني:" لا بل إني أعرف المزيد: لن يحظى الملك بعروسه حتى لو فتك بالفرس! فسوف يجد الملك في القصر قميص عرسه في علبـة، وسيبدو أنه نسج من خيوط الذهب والفضـة، لكن الذهب ليس ذهبًا بـل نحس، والفضة ليست بفضة بل حامض الكبريت، وعندما يرتديه الملك سيحترق بدنه، العظم منه بعد اللحم!"

- سأل الثالث:" وهل من حيلة للخلاص من القميص ونجاة الملك؟"

- رد الثـانـي:" بلى! إذا حمل آخر قميص العرس بيده في قفاز ولفه

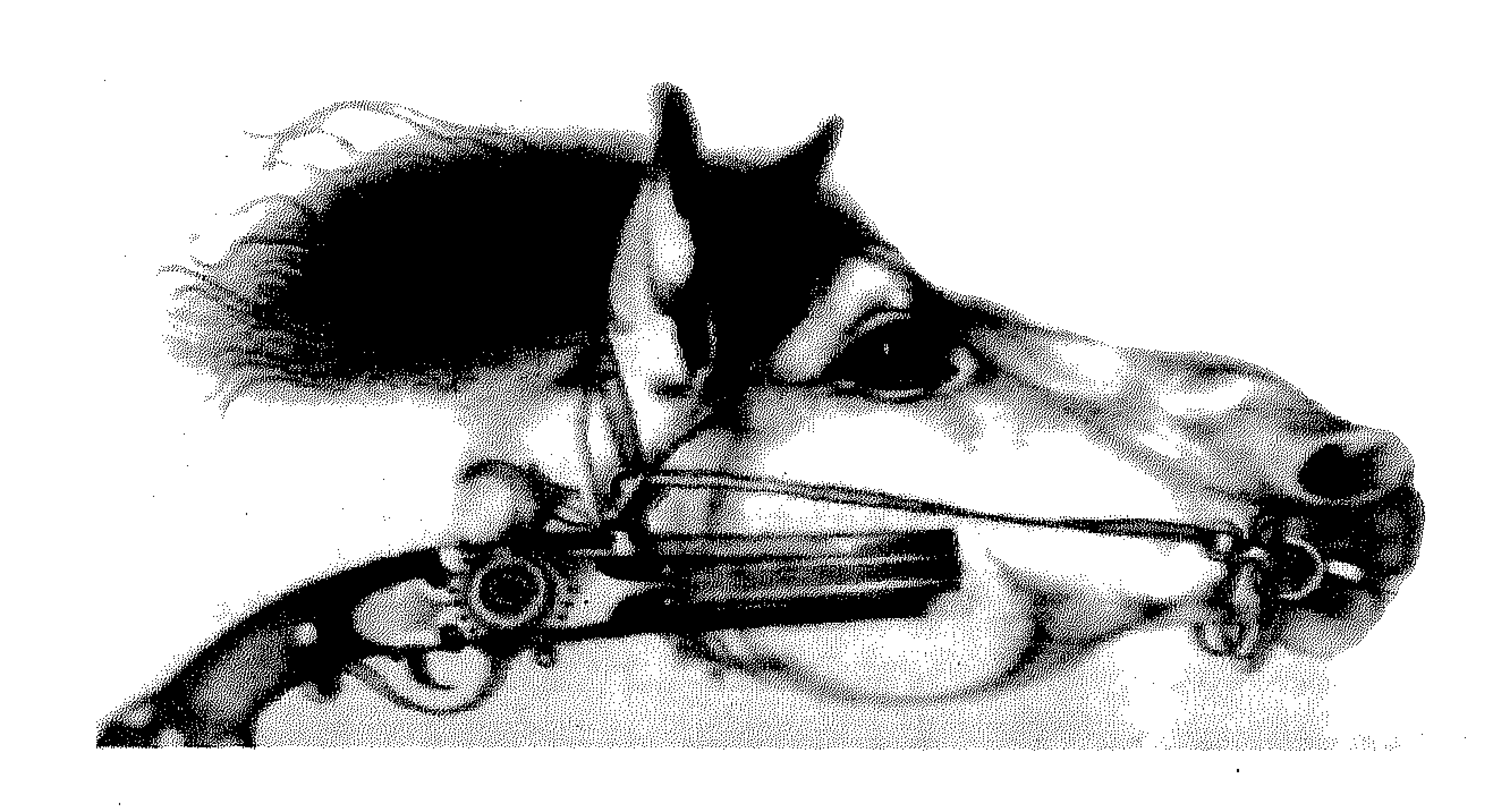
وألقــى بـه إلى النار ليحترق، حينئذ ينجو الملك من الموت. لكن من علــى دراية بهذا السر؟ وحتى إذا عرفه أحد وأفشاه أو نطق به للملــك، تنصب عليه اللعنة فوراً وينقلب من الركبتين إلى القلب حجراً!!"

- قــال الثــالث:" لا بل إنى أعـرف المزيد: لن يفلت الملك الشــاب من الهــلاك حتى إذا احترق قميص العرس! إذ بعد عقد القران وبدء الاحتفــالات سيحتضن الملك زوجه ويفتتحان حفل الرقص، وبعد وهلة سيشحب وجــه الملكة وتسقط مثل الصرعى، وإذا لم يسارع أحد برفعها إلى حجرتهــا ويمص ثلاث قطرات دماء من ثديها الأيمن ثم يعود يبصقها فسوف تموت الأميرة فى الحال. لكن من على دراية بهذا السر؟ وحتى إذا عرفه أحــد وأفشاه أو نطق به للملك، تنصب عليه اللعنة فوراً وينقلب من أخمــص قدميه حتى قمة رأسه حجراً!"

سمع يوهانس المخلص كل حديث الغربان بينما واصلت الطيور التحليق فى الأفق. اغـتم الخـادم الأمين وبدا حـزيناً منذ ذلك الحين وأصبح مقلاً فى الكلام والحوار، وفكر: إذا هو نطق بما سمع أو قص الحكاية على سيده فسوف يصير حجراً من أخمص القدمين إلى قمة رأسه، وإذا هـو لزم الصمت سيهلك الملك، فما العمل؟ وفجأة نفذ قراره قائلاً لنفسه:" سأفتديه وليكلفنى الأمر حياتى!".

وصلت السـفـينة أخـيـراً مملكة العـروسين. ووقع مـا باحت به الغربان: أقبل فرس متوحش عليهم وظن الملك أنه فى انتظاره ليقله إلى

القصر وكاد يمتطيه، غير أن يوهانس المخلص تقدم سيده وقفز مسرعًا فوق ظهر الجواد واستل فورًا السلاح المدسوس في زمامه وصوب في نفس اللحظة الأعيرة النارية إلى رأسه فأرداه قتيلاً. صاح الخدم الساخط وماجت الحاشية الحاقدة على يوهانس المخلص لما له من مكانة لدى الملك وصرخ الجمع قائلاً:" يا للعار! كيف يمكن قتل هذا الفرس البديع وكان سيحمل ملكنا إلى القصر؟!" أسكتهم الملك مجيبًا:" اتركوا يوهانس المخلص! فكوا قيده! من يدري ما الذي كان مخبأ لي مع هذه المهرة؟!"



اتجه الموكب إلى القصر، وهناك رأى الملك قميص العرس وقد وضع داخل علبة وبدا منسوجًا من الذهب والفضة. وهمّ بارتدائه لكن يوهانس المخلص كان يقظًا فى هذه المرة أيضًا وبوثبة واحدة قفز وانتزع القميص بيده فى قفاز وألقى به إلى النار يحترق! صاح الخدم وماجت الحاشية وأخذ الجمع يهمز ويلمز ويصرخ:" يا للعار! أترون؟! لقد تجرأ وحرق قميص العرس!" أسكتهم الملك قائلاً: "اتركوا يوهانس المخلص! فكوا قيده! من يدرى ما الذى كان مخبأ لى فى هذا القميص؟!"

بدأت مراسم الاحتفالات بعقد القران، وافتتح الملك الرقص واحتضن زوجته التى شحب منها الوجه، لكن يوهانس المخلص كان يراقبها بعناية، وعندما سقطت فوق الأرض وبدت ميتة، هرول إليها ورفعها إلى حجرتها وأرقدها فى فراشها ثم انثنى فوقها يمتص قطرات الدماء الثلاث من ثديها الأيمن ويعود يبصقها. نهضت بعدها الملكة تتنفس وبعثت للحياة من جديد. اغتاظ الملك بعدما رأى ما حدث واستنكره واشتد به الحنق والضيق من خادمه وصرخ فى وجه حرسه آمرًا:" ألقوا به فى السجن!"

فى الصباح نصبت منصة الإعدام تتدلى منها حبال المشنقة التى تؤذن بنهاية الخادم المخلص لأنه تعدى على الملكة وفعل فعلته، كما ظن به الملك. وفجأة ارتفع من فوق المنصة صوت يوهانس مناديًا:" سيدى! لكل من يعدم الحق فى طلب أخير!" قال الملك:" قل ما تريد!" قال يوهانس:" إنى مغبون وقد صدر الحكم علىّ جورًا. وكنت لك دومًا

مـخلصـًا أمـينًا!" وقص الخـادم على ملكه كل الحكاية. عندمـا فـرغ يوهانس المخلص أدرك الملك مـا اقترفـه من ذنب شنيع فى حق خـادمه الأمين وصرخ مروّعًا:" آه يا يوهانس، آه يا عزيزى! فلتغفر لى! اغفر لى!" ثم صـاح بالحرس أنزلوه! يا إلهى! كـيف أكـافئ هذا الإخـلاص العظيم على هذا النحو الذميم؟!" كان يوهانس المخلص قد تحـوّل إلى حجر أبكم أعمى أصم وقد تجمدت فى عروقه الدماء وفى جسده الحياة وسقط حجرًا!!



كرب الملك وشق على نفسه مصير خادمه المخلص، وأمر بحمل الحجر إلى غرفة نومه ووضعه قرب الفراش كى يتطلع إليه ليلاً وصباحاً ويرجو منه الصفح عنه والمغفرة! وكان الملك ينظر فى كل يوم إلى الحجر ويبكى بكاءً مريراً ويخاطبه بشجن:" آه يا عزيزى، آه يا يوهانس المخلص! لو بيدى لأعدت لك الحياة!"

ومرت سنون وانقضت أعوام ووضعت الملكة توأماً ونما طفلان جميلان فى سعادة ووئام. وفى يوم من الأيام والملكة فى المطبخ جلس الملك وطفلاه بجواره يلعبان، وأخذ يخاطب الحجر كما يفعل دوماً قائلاً: "آه يا عزيزى، آه يا يوهانس المخلص لو بيدى لأعدت لك الحياة!"

نطق الحجر!! دهش الملك وفوجئ عندما سمعه يتكلم ويقول: "بلى! باستطاعتك إذا قررت أن تفتدينى حباً وإخلاصاً!" رد الملك دون تردد:" أفتديك بكل ما لدى وأضحى بكل ما فى العالم من أجلك!" أضاف الحجر:" اقطع رأسى طفليك بيديك وانثر دماءهما على الحجر.. إذا فعلت عادت لى الحياة وبعثت من جديد!"

ارتعد الملك فزعاً عندما وعى ما عليه فعله من أجل يوهانس، لكنه تفكر فى إخلاصه العظيم وفدائه بحياته من أجله واستل السيف وأطاح برأسى طفليه، وبدمائهما بلل الحجر. وسرعان ما عاد يوهانس المخلص حياً نضراً كما كان وشكر الملك قائلاً: "مولاى! سأبقى عاجزاً فى كل ما تبقى لى من عمر عن رد جميلك وإخلاصك." ثم حمل يوهانس رأسى الطفلين وأعادهما فوق جسديهما وبللهما بالدماء فدب نبض الحياة فيهما وراحا يمرحان ويعبثان كما كانا وكأن شيئاً لم يقع! فزع الملك

مما رأى، غير أن السعادة غمرته ولمح زوجته مقدمة عليه فخبأ الطفلين ويوهانس المخلص فى الخزانة ثم سألها:" هل صليت اليوم فى الكنيسة؟" أجابته:" بالطبع، وتذكرت طيلة وقت الصلاة يوهانس المخلص ودعوت له!" قال الملك:" لو استطعنا بعثه حياً شرط أن نفتديه بطفلينا، هل توافقين؟" ارتعشت الملكة وشحب وجهها وكادت تسقط فى غيبوبة، لكنها تماسكت وتمالكت وقالت: "إنه دين علينا ولابد أن نوفيه." فرح الملك وابتهج وفك الخزانة أمام زوجته وأخرج الطفلين ويوهانس المخلص. وروى الملك عليها الحكاية وعاش الجميع فى سلام ومحبة ووئام حتى نهاية الأيام.

* * *

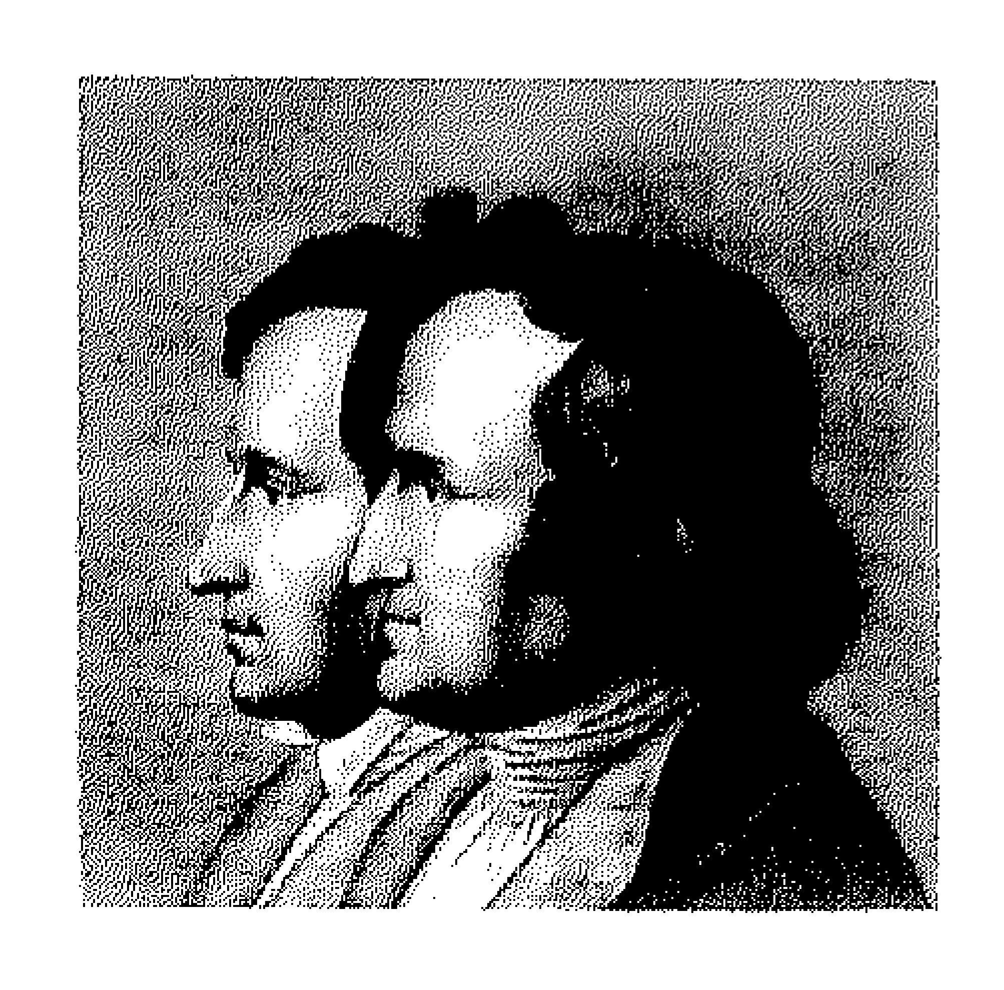
كان يا ما كان حدوتة زمان

حكاية يرويها الدهر والمكان

وأخرى يطويها العمر والنسيان

وهذه يحكيها جريم الأخوان

لك هنا والآن:



الـذئـب والـعـنـزات الـسـبـع الـصـغـار

DER WOLF UND DIE SIEBEN JUNGEN GEISSLEIN



يحـكى أن .. أن مـــاذا ؟
كانت عنزة .. أمًا لصـغار
سبع بالدار .. والذئب جار
والأم تحـار .. لأخـذ قرار:

فصـاحت العنزة تنادى بناتها، انطلقت العنزات السبع الصـغار تركـضن إليـها فى اندفاع من كل حـدب وصوب والتـفت حولها. قالت الأم:" أطفـالى الأحبـاء علىّ الآن الذهاب إلى الغـابة كى أقطف لكن العلف لتأكلن، وعليكن حماية أنفسكن من الذئب. إذا أتى إليكن سوف

يلتهمكن لحمًا وفراءً وعظمًا. ولتعلمن أنه يمكن أن تتعرفن على هذا المخلوق الشرير؛ لأنه يُفصح عن ذاته بسهولة: من صوته الخشن القاسي، ومن كفيه وقدميه السوداوين حتى لو تخفى في أي شيء." أجابت العنزات السبع الصغار: "سنحترس يا أمنا الحنون .. اذهبي ولا تخافي!".

مضت الأم إلى الغابة، ولم ينقض سوى وقت قصير حتى سمعت العنزات طرقًا على الباب وصوتًا من خلفه يقول: "يا أطفالي الأعزاء افتحوا لي! عادت أمكم وجلبت لكم معها شيئًا." تعرفت العنزات من خلال الصوت الفظ على الذئب، ولم تفتحن، وصحن من خلف الباب: "لست أمنا، إن صوتها رحيم وحسك أنت غليظ، أنت الذئب ولن نفتح لك الباب!".

رحل الذئب عنهن يتفكر في أمره ويدبر كيده. وذهب إلى أحد التجار وابتاع قطعة ضخمة من الطباشير وابتلعها ببطء حتى ترقق له صوته. ثم عاد إلى العنزات الصغيرات ودق الباب ثانية وقال بصوت منغّم:" يا أطفالي الأعزاء افتحوا لي! عادت أمكم وجلبت لكل واحدة منكن شيئًا." تعرفت العنزات في هذه المرة أيضًا على الذئب من كفيه السوداوين اللتين ارتكز بهما غفلة على زجاج النافذة، فقلن:" لست أمنا، كفوفها وأقدامها بيضاء، وأطرافك وحوافرك سوداء، أنت الذئب ولن نفتح لك الباب."

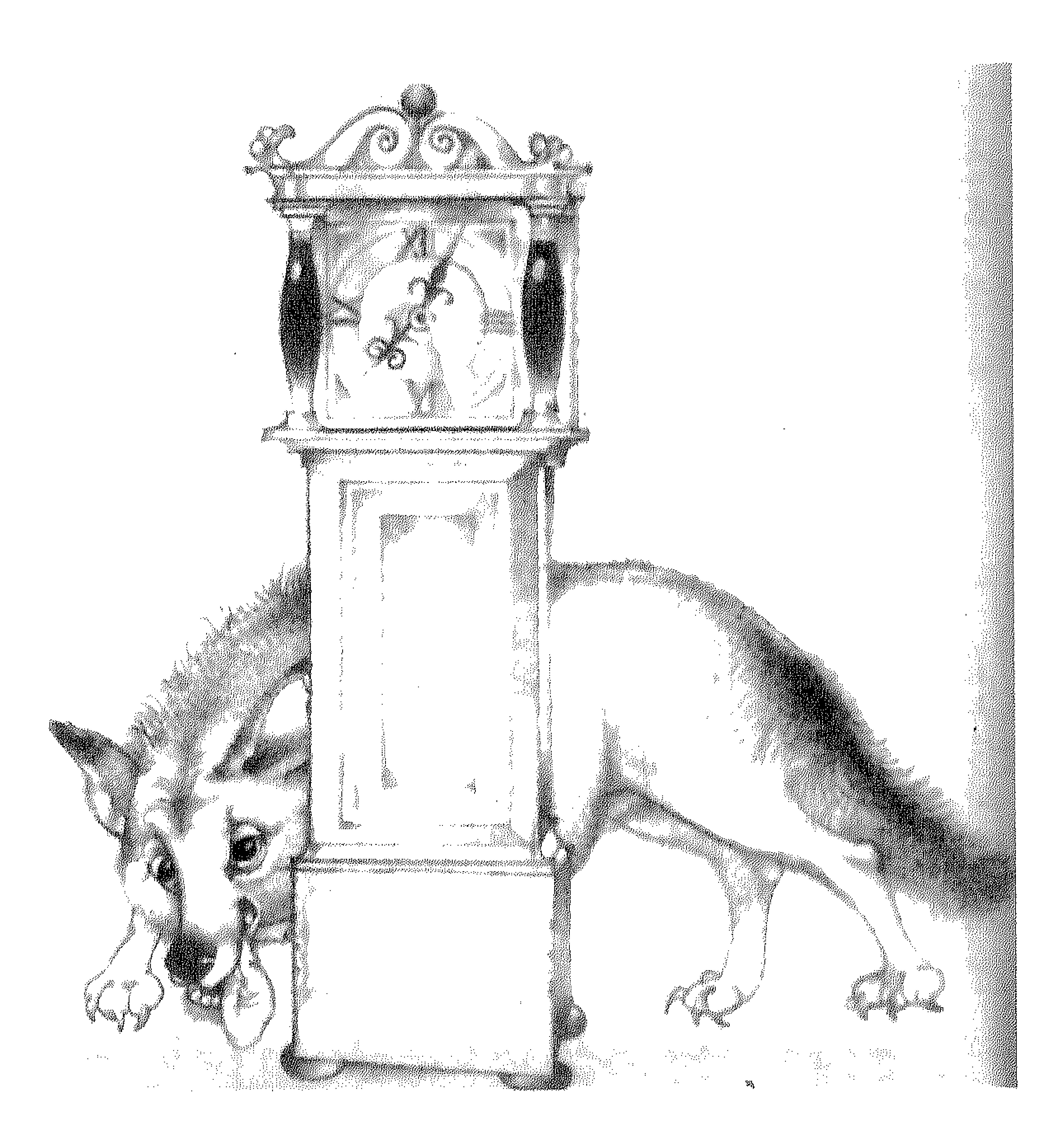
رحل الذئب عنهن يتفكر في أمره ويدبر كيده، واتجه إلى أحد

الخبازين وقال له: "قدماى تؤلمانى فقد تعثرت فى طريقى فانزلقتا، ضع لى فوقهما عجينًا!" مسح له الخباز قدميه بالعجين، ثم عرج الذئب على طحان وطلب منه أن ينثر فوق قدميه دقيقًا أبيض. استراب الفرّان وخشى أن يعاون الذئب بذلك على نسج مؤامرة يذهب ضحيتها ببعض أو بأحد سكان الغابة من الحيوانات الحبيبة، وامتنع الفرّان. هدده الذئب وتوعده إن لم يفعل سوف يفترسه، فأذعن الفرّان جبنًا! (هل يسلك البشر دومًا على هذا النحو المشين ويوقعون ببعضهم البعض بشكل أليم وبمخلوقات الله الآمنين؟!) لم يكد الذئب يفرغ من صبغ أكفه وأقدامه بالعجين والدقيق الأبيض حتى توجه على الفور إلى الكوخ للمرة الثالثة.

والثالثة هى من المرات
فيها ضرات أو مسرات
فإما الحياة وإما الممات
هكذا عاد الذئب للعنزات:

وصاح عليهن من خلف الباب بنبرة خفيضة مرققة:" يا أطفالى الأعزاء افتحوا لى! عادت أمكم وجلبت لكل واحدة منكن شيئًا من الغابة." أجابت العنزات:" أرينا كفيك أو القدمين من النافذة فنثق أنك أمنا!" رفع الذئب يديه وألصق الراحتين بزجاج الشباك، شاهدن العنزات لونهن الأبيض، وظنن أنها حقًا أمهن وما إن فككن الباب الموصد أمام الذئب حتى مرق كالرمح داخل الكوخ. وأدرك الصغار أنه الذئب المكار وقفزن تختبئن وتلذن بالفرار. قبعت الأولى تحت المائدة،

ووثبت الثانية فوق الفراش، وفرت الثالثة إلى الفرن وأحكمت غلقه، وهرولت الرابعة إلى المطبخ، واختفت الخامسة فى خزانة الملابس، وتوارت السادسة خلف قفص الغسيل، وجلست السابعة فى جوف ساعة الحائط الكبيرة وأوصدت بابها.



عثر الذئب المكار بسرعة واقتدار على العنزات الصغار وازدردهن واحدة تلو الأخرى دون الصغرى التى ظلت مختبئة فى ساعة الحائط. وبعد أن أشبع الذئب نهمه ترك الكوخ وجرجر نفسه إلى الخارج وقد تثاقل خطوه من الفرائس الدسمة. رقد منتفخًا فوق العشب تحت شجرة وارفة الظلال وراح يغط فى سبات عميق مغيبًا من التخمة.

وصلت الأم بعد فترة وجيزة بيتها، وياله من مشهد روّعها: الباب على مصراعيه، المقاعد والمائدة والأريكة وقد أطيح بها، أوعية الغسيل مهشمة قطعًا بعثرت فى كل زوايا الكوخ، الوسادات وأغطية الأسرة مزقت إربًا ونثرت فوق الفراش. فزعت الأم وارتجفت منها الروح وارتعد الجسد وهى تفتش عن صغيراتها العنزات. ولما لم تجدهن راحت تهتف باسم كل منهن، لكن أحدًا لم يجب حتى حل الدور على اسم الصغرى فصرخت من داخل مخبأها: " أمى الحبيبة إننى فى صندوق الساعة". أخرجتها الأم وروت لها العنزة الصغيرة كل الحكاية من البداية إلى النهاية...

والنهاية لذئب ويلات

أراد موت العنزات

لكن هيهات هيهات

الشر ولى والعدل آت:

طفقت الأم تبكى نكبتها، وخطت فى بؤسها حتى بلغت المرج. كان الذئب هناك ملقى فى ظلال الشجرة وهو ينخر بصوت بلغ المدى حتى اهتزت منه أفرع الشجرة وارتعشت منها الأوراق! تأملته الأم ولاحظت بطنه المنتفخة وشيئًا بداخلها يتلوى ويتقلب! فهمست تمنى نفسها: "يا إلهى! هل أبقيت أطفالى أحياء؟!" وفكرت كيف تتدارك الأمر. بعثت الأم بالعنزة الصغرى إلى الكوخ على عجل تحضر لها خيطًا ومقصًا وإبرة. وتسللت الأم بهدوء إلى الذئب وشقت كرشه بالمقص وعلى الفور أطلت رأس أول عنزة وراحت أخواتها تقفزن واحدة بعد الأخرى من بطن الغول، الذى ابتلعهن بوحشية ولكن بشراهة لم تمهله قضمهن بأنيابه أو طحنهن بأضراسه فانزلقن لمعدته ولم يصبهن أذى. ويالها من سعادة تلك التى غزت قلب الأم وياله من فرح غمر العنزات الصغيرات. رحن يمطرن أمهن بالقبلات ويضمونها بالأحضان ويعبثن حولها فى بهجة ويلهن فى مرح.

أوقفتهن الأم عن اللعب وأمرتهن بالبحث عن أحجار ثقيلة تحشو بها كرش الذئب الذنديق قبل أن يفيق. بدأت العنزات الصغيرات بسرعة تجرجر الأحجار الكبيرة والأم تملأ بها بطن الذئب وبنفس السرعة سدت الأم كرشه بالخيط والإبرة، ولم يشعر هو بشىء فقد كان مغيبًا فى نوم عميق!

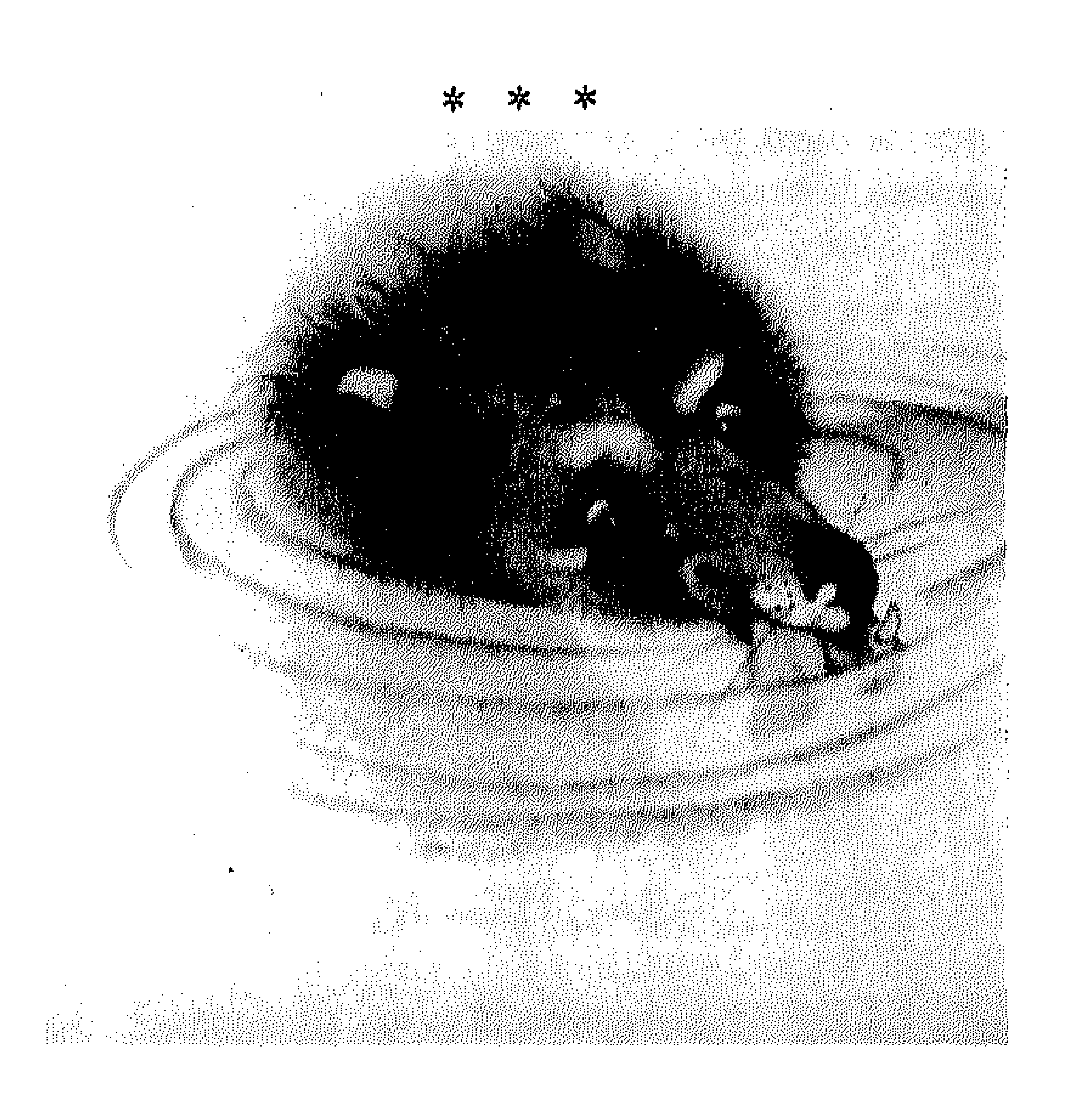
استيقظ الذئب أخيرًا.. ونهض على أرجله ظمآنًا ظمأ شديدًا شق حلقه بسبب الأحجار التى يحملها فى بطنه ويظنها العنزات. تثاقلت خطواته إلى بئر ماء قريب لينهل منه ويرتوى، فتحركت الأحجار

وتخبطت فصرخ يشكو الأوجاع ويتساءل": ما الذى يطقطق ويكركب فى أحشائى؟ فى ظنى أنها ست عنزات صغيرة بينما تبدو أحجاراً ثقيلة كبيرة!"

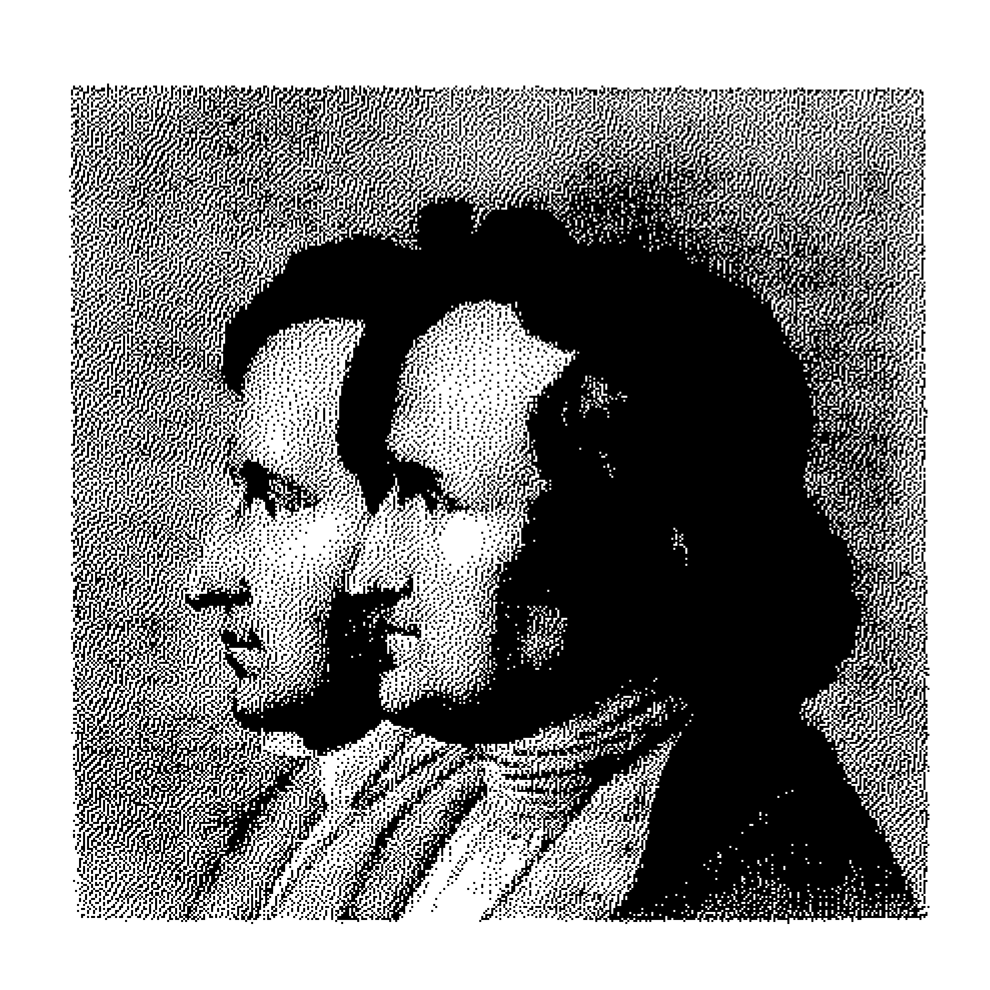
عندما بلغ الذئب حافة البئر انثنى فوقه يشرب فجذبته الأحجار إلى أسفل فسقط وغرق بائساً، عندئذ هرعت العنزات إليه ورحن يدورن مع أمهن ويرقصن وينشدن:

مـــات الذئـب
مـــات الذئـب
ونحن نرقص
حـول البـئـر.

* * *



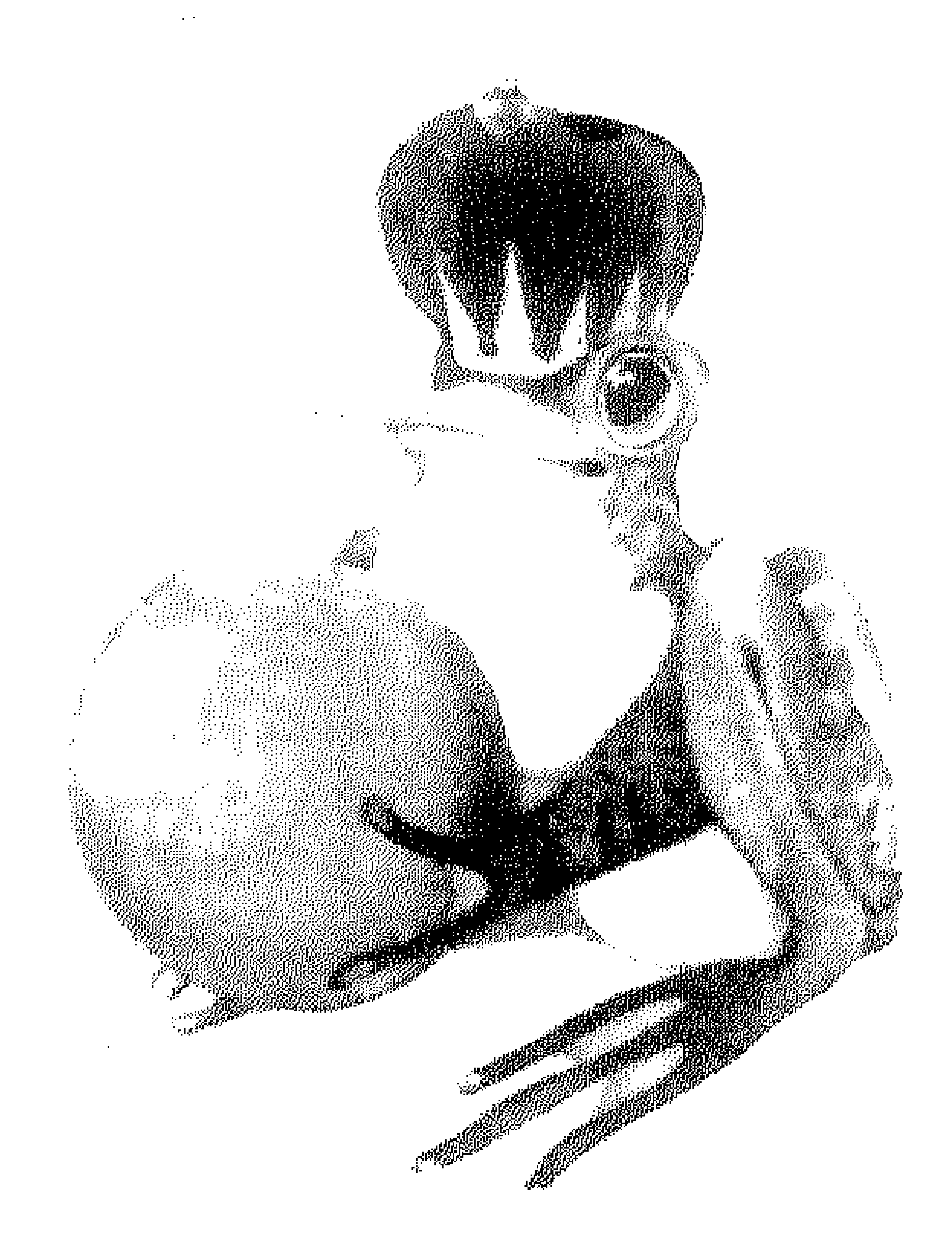
كان يا ما كان حدوتة زمان
حكاية يرويها الدهر والمكان
وأخرى يطويها العمر والنسيان
وهذه يحكيها جريم الأخوان
لك هنا والآن:



الملك الضفدع

أو:

هاينرش الفولاذى



كان يا ما كان

فى بلاد الألمان

والتمــنى كان

قــوة لا تــزال

تعين الإنســان

فى تلك الأيـام:

عاش ملك وكانت له بنات كلهن حسناوات، لكن الصغرى منهن بالأخص كانت بديعة وآية فى الجمال، حتى إن الشمس ذاتها رغم كل ما رأت فوق الأرض وكثرة ما شاهدت من إنسان كانت فى كل مرة تسطع فيها فوق وجهها تتعجب من حسنها وبهائها.

وبالقرب من القصر كانت ترقد غابة رحيبة ظليلة، وفيها شمخت شجرة زيزفون بجوارها فسقية ماء. وكانت الأميرة الصغيرة عندما تشتد حرارة النهار تتنزه فى تلك الغابة، تجلس على حافة بئر، وإذا أدركها الملل من القعود، أخذت تروّح عن نفسها بلعبتها المحببة، فتمسك بكرتها الذهبية تقذف بها عاليًا فى الهواء ثم تلتقطها وهى تهوى.

ومرة من المرات لم تهبط الكرة فوق راحتى الأميرة، وبينما كانت ابنة الملك تراقبها بعينيها، رأت كيف ضربت الكرة الأرض فقفزت ثم تدحرجت صوب البئر ووقعت فى المياه. وكان الماء عميقًا، عميقًا جدًا وكأنه ينحدر منصبًا فى جوف أرض دون قاع. انفجرت حينها الأميرة فى بكاء مرير، وراح نحيبها يعلو ويعلو، ومكثت تشكو حالها لنفسها حتى صاح بها صوت قائلاً:

- " والآن أيتها الأميرة..ماذا ستفعلين؟ إن نحيبك يرقق الحجر شفقة عليك!" استدارت ابنة الملك إلى مصدر الصوت، فإذا برأس ضفدع سمين قبيح تطل عليها من الماء، فقالت:

- "آه، أهو أنت أيها الضفدع، إننى أبكى كمدًا على كرتى الذهبية التى ابتلعها البئر".

– أجابها الضفدع: " كفى عن البكاء واهدئى! وإليك هذا الاقتـــراح: إذا أخرجت لك الكرة من الماء، بماذا تكافئينني؟

– ردت الأميرة:" بكل ما تبتغيه يا عزيزى الضفدع، بملابسى، لآلئى وأحجارى الكريمة، لا بل بالتاج الذهبى الذى أحمله فوق رأسى".

– قال الضفدع:" لا أبتغى لا ملابسك ولآلئك ولا أحجارك الكريمة أو تاجك الذهبى! لكن.. أحبينى! واسمحى لى أن أكون صديقًا لك، أن ألعب معك وأجلس إلى جوارك، أن آكل من صحنك وأشرب من كوبك وأنام فى فراشك. إذا قطعتى على نفسك عهداً بكل ذلك، سأقفز إلى الماء وأعيـــد إليك الكرة!"

– الأميرة: "نعم يا عزيزى الضفدع بالطبع لك كل ما تريد إذا أعدت لى كرتى".

لكن الأميرة وهى تأخذ على نفسها ذلك العهد ظنت أن الضفدع ساذج يثرثر أو يخرف لا أكثر ولا أقل، وأن ليس بوسعه سوى العودة إلى بقية الضفادع والحياة والنقنقة معهم؛ إذ كيف لضفدع أن يغدو صديقًا للإنسان؟! أما هو فبعد أن حصل على موافقة الأميرة على الاقتراح فقد غاص برأسه فى الماء وعاد بعد فترة وجيزة مجدفًا وفى فمه الكرة التى ألقى بها إلى عشب الغابة.

غمرت السعادة ابنة الملك وابتهجت عندما لمحت لعبتها المحببة ملقاة فوق الأرض، التقطتها وركضت بها فى عجلة، فصاح الضفدع بها:" انتظرى! انتظرى! احملينى معك، أنا لا أقدر على السير مثلك

بقدمين!" لكن عبثًا أخذ الضفدع المسكين يرفع من صوت نقيقه ويرفع أملاً فى أن يتناهى صياحه إلى سمع الأميرة التى سرعان ما غفلت عنه وانطلقت إلى القصر. ولم يبق أمامه مفر سوى العودة إلى الماء.

وفى اليوم التالى من أيام

ذاك العصـــــر والزمـــان:

جلست الأميرة إلى مـأدبة الطعـام مع والدها الملك وحاشيتـه، وبينما كانت تتناول وجبتها من الأطباق الذهبية، كان هناك من يزحف صاعداً درجات سلم القصر الرخامية مخلفًا وراءه أصوات أقدام مبللة: تريك- تراك، تريك - تراك، ثم طرق الباب ونادى من خلفه:" يا صغرى بنات الملك، افتحى لى أيتها الأميرة!" نهضت ترى من القادم، ولما رأت الضفدع عادت توصد الباب فى سرعة وبعنف وقد تملكها الجزع والاضطراب وهى تجلس مرة أخرى إلى مأدبة الطعام.

أحس الملك أن مهجة ابنته تضرب فى صدرها بقوة فقال:

- مم أنت فزعة يا بنيتى؟ هل هناك وحش عملاق يريد اختطافك؟

- الأميرة:" لا .. بل ضفدع كريه."

- الملك:" وما مراده منك؟"

- الأميرة:" آه يا أبتاه، بالأمس كنت فى الغابة أجلس قرب البئر ألعب بكرتى الذهبية فسقطت فى مياهه، وأعادها لى الضفدع لأننى بكيت بحرقة، لكن بعد أن وعدته أن يصبح صديقًا لى مكافأة له

على صنيعه. غير أنى لم أتصور أبدًا أنه يستطيع الخروج من الماء، وها هو الآن بالخارج يود الدخول والمجيء إلىّ!"

فى هذه الأثناء كان الضفدع يطرق الباب للمرة الثانية منشدًا:

ابـــنة المـــلك أنـــتِ

يا صغـــرى الأمـيرات

افتحى لى بالقصر بابًا

أى بـاب مـن الأبـواب

أنسـيت بالأمـس وعدًا

أم أخلـفت لـك عهـــدًا

قـــرب بـــئر المـــاء!

ابـنة المـــلك أنـــــتِ

يا صـــغرى الأمـيرات

افتحى لى بالقصر بابًا

أى بـاب من الأبـواب!

استمع الملك للضفدع وقال لابنته:" العهد يا طفلتى لا ينقض، عليك دومًا الوفاء بالوعد، اذهبى الآن وأدخليه!" راحت الأميرة وفتحت للضفدع الذى تبعها يقفز وراء خطواتها وبوثبة أولى بلغ مقعدها حول مائدة الطعام، ثم بوثبة ثانية صعد فوق الكرسىّ وبالثالثة كان قد حط فوق المائدة يرجوها:" قربى طبقك إلىّ حتى نطعم معًا!" فعلت الأميرة

على مضض. أكل الضفدع بنهم، أما هى فكانت تقضم الغذاء قضمًا وتغص به غصصًا. وما إن فرغ الضفدع من الطعام حتى قال:" أكلت فشبعت وشربت فثملت والآن تعبت فاحملينى لغرفتك نرقد معًا فى سريرك". بكت الأميرة جزعًا من الضفدع ومن جسمه المبلل البارد ولمسه ونومه جوارها فى فراشها الدافئ النظيف. اغتاظ الملك منها وقال:" لا يليق بك احتقار من عاونك وقت الشدة!" انثنت الأميرة مكرهة تلتقط الضفدع بطرفى إصبعين وصعدت به إلى حجرتها، هناك تركته فى إحدى زواياها، وهمت بالرقاد فى الفراش فوجدته يقفز إليها ويرسل نقيقه صوبها قائلاً: "إننى مجهد وأود أن أغفو مثلك مستريحًا فى الفراش، ارفعينى إليك وإلا أخبرت الملك!" ثارت الأميرة غضبى وخرجت عن صوابها وهى تصرخ به:" الآن صه أيها الضفدع القمىء"، وأخذته وبكل ما أوتيت من قوة قذفت به إلى الحائط.

اصطدم الضفدع بالجدار وسقط فوقه فإذا به يرتد في لحظة السقوط أميرًا مثلما هي أميرة، جميلاً مثلما هي جميلة. وكانت عينا الأمير وديعتين رقيقتين تشعان دفئًا ومحبة فعشقته الأميرة في الحال كما عشقها وتزوجا. أخذ الأمير الشاب يقص على زوجه الأميرة الحكاية؛ إذ إنه:

في يوم من الأيام

ساحرة من اللئام

شريرة من الأنام

سحرته ضفدعًا، وأن ابنة الملك صغرى الأميرات وزوجته الآن وحدها دون غيرها من فتيات العالم والزمان هي التي كان بمقدورها أن تفك عنه السحر وتحرره من الحياة في الماء وتعيده أميرًا. روى الأمير الشاب لزوجته الأميرة الشابة كل الحكاية من البداية إلى النهاية، ثم رقد الاثنان وناما بعد أن عقدا العزم على السفر في اليوم التالي إلى مملكته.

في الصباح أنارت الشمس وجهي الزوجين فاستيقظا. لحظتئذٍ وصلت عربة إلى القصر بثماني مهرات بيضاء مزركشة ومزينة بريش النعام فوق رؤوسها وبسلاسل وشرائط من الذهب فوق ظهورها. وخلف العربة ارتفعت هامة الخادم المخلص "هاينرش". وقد كئب هاينرش واغتم حزنًا على سيده عندما كان حبيس السحر في جسد ضفدع، ومن

شدة الأسى ربط صدره ثلاث مرات بسلاسل فولاذية جعلها تلتف حول القلب منه كى لا يقفز خارج أضلعه من الكمد.

استعد الزوجان للرحيل وهاينرش معهما وتهيأت العربة لتنقلهم إلى المملكة الجديدة حيث قصر الأمير. حمل هاينرش سيده الأمير وزوجته الأميرة وأقعدهما فى العربة خلف الجياد. وكان هاينرش المخلص مغتبطًا مبتهجًا بزوال السحر عن سيده، وعندما بدأت العربة تتحرك سمع الأمير قرقعة وصلصلة حديد كما لو كان هناك شىء يتحطم، فصاح بخادمه:" هاينرش! العربة تتكسر!" أجابه هاينرش:" لا يا سيدى ليست العربة بل قلبى يسقط قيدًا من قيود أشجانى، لهفة عليك وأسفًا عندما كنت ضفدعًا تعيش فى الماء.

ومرة أخرى،

ومرة ثالثة ..

ارتفعت أصوات صلصلة وقرقعة وعلت ضوضاء من عربة الأمير الذى ظل يظن، ومازال حتى يومنا هذا، أن العربة هى التى تتكسر، لكنها كانت حلقات السلاسل الفولاذية التى ربط بها هاينرش المخلص صدره ثلاث مرات وجعلها تلتف حول القلب منه، كانت تتساقط عن مهجته لأن سيده الأمير تحرر من السحر والشرور وأصبح سعيدًا وكان حزينًا.

* * *

كان يا ما كان حدوتة زمان

حكاية يرويها الدهر والمكان

وأخرى يطويها العمر والنسيان

وهذه يحكيها جريم الأخوان

لك هنا والآن:



الأخ والأخت

BRÜDERCHEN UND SCHWESTERCHEN



كان يا ما كان
في بلاد الألمان
عاش من زمان
أخ وأخت بمكان
ذاقا فيه الهوان:

وفى يوم من الأيام قال الأخ لأخته وهو يسحبها من يدها: " أختاه هيا نهرب! لم نعش هنا يومًا هنيًا مذ ماتت أمنا. زوجة أبينا تبرحنا ضربًا ليل نهار وتنهرنا وتركلنا برجلها خارج البيت، وتقذف لنا

بكسرات الخبز العفنة، بينما يعيش كلبها عيشة أفضل، وتلقى له من تحت المائدة بطعام شهى. آه لو كانت أمنا على قيد الحياة وعلمت بما يجرى لنا! تعالى يا أختاه نرحل من هنا إلى الدنيا الفسيحة!"

سارا طيلة اليوم، عبرا المروج واجتازا الحقول، وتعثرا فى الأحجار وتلطخا بالأوحال. وتحت أمطار تسح وقفت الأخت تسأل أخاها:" أحقًا هو المطر أم أنها عبرات قلوبنا ودموع الرب؟!" بعد فترة من الزمن فى السير وجدا نفسيهما فى غابة رحيبة متعبين منهكين خوفًا وجوعًا وظمأً، فاستندا إلى جذع شجرة باسقة، وراحا فى نوم عميق.

كانت الشمس فى وسط الفضاء تبث شعاعها الدافئ من بين أفرع الشجرة وأوراقها. أفاقت الأخت وأيقظت الأخ فقال:" أختاه! إنى ظمآن، آه لو أجد بئرًا أو ينبوع ماء، لنهلت منه حتى رويت عطشى، أختاه أتسمعين ما أسمع؟ إنه خرير ماء!" ونهض هو وأخته يفتشان عن مصدر الصوت. فى هذه الأثناء كانت الساحرة الشريرة زوجة الأب تتبعهما وقد تسللت وراءهما ورأت كيف لاذا بالفرار فصبت لعنة سحرها على كل ينابيع الغابة وجداولها وعيون الماء دون أن يدرى الأخ أو تشعر الأخت بشىء.

وبعد حين عثر الأخ أخيرًا على ماءٍ صافٍ يتلألأ متساقطًا فوق أحجار جدول صغير فهرع إليه وهم بالشرب، لكن الأخت سمعت الخرير فى اللحظة الأخيرة يهمس همسًا:

من يرشفني ترشافًا،
أصبح نمرًا طوّافًا.
من يرشفني ترشافًا،
أصبح نمرًا طوّافًا.

صرخت فى أخيها قائلة:" لا تشرب! أتوسل إليك ألا تشرب وإلا أصبحت نمرًا متوحشًا ومزقتنى!" نهض الأخ ولم يكن قد طال الماء بعد وقال:" حسنا سأنتظر إلى أن نعثر على ماء آخر." وراحا يبحثان وسط الغابة فوجدا بئرًا وأقبل الأخ ينكب عليه، لكن الأخت سمعت هسهسة الماء فى اللحظة الأخيرة تقول:

من يشربنى صافيا،
يغدو ذئبًا ضاريا.
من يشربنى صافيا،
يغدو ذئبًا ضاريا.

صاحت الأخت فى وجه أخيها:" لا تشرب! أتوسل إليك لا تشرب وإلا غدوت ذئبًا وافترستنى!" لم يشرب الأخ فى هذه المرة أيضًا، وقال لها: "حسنًا، سأنتظر حتى نعثر على ماء آخر، لكن المرة القادمة سأنهل نهلاً من الماء حتى يبتل حلقى وأروى ظمئى." وواصلا السير ومرا فى طريقهما على نهير وسمعت الأخت ماءً خرخارًا يحف سمعها قائلاً:

من ينهلنى جاريا،
صار غزالاً حافيا.

من ينهلني جاريا،
صار غزالاً حافيا.

زعقت الأخت قائلة:" لا تشرب! أتوسل إليك ألا تشرب وإلا صرت غزالاً وشردت مني!" لم يبال الأخ في هذه المرة بما قالته أخته وانكب على الماء، وما إن لامست القطرات الأولى شفتيه حتى انقلبت هيئته إلى غزال! مروّعًا انتحب هو وبكت هي كمداً وبؤساً، وقالت له: "اهدأ! لن أتركك أبدًا!" أجلسته بجوارها وانتزعت شريط جوربها الذهبي ولفته حول عنق الغزال وراحت في رفق تنسل من فروه وترتق له منه حبلاً طويلاً ناعمًا ربطته به وسحبته كي لا يشرد منها، ومضيا يبحثان عن مأمن. مر وقت وانقضت ساعات وهما داخل الغابة الممتدة يندفعان في أغوارها أكثر فأكثر وأعمق فأعمق. وفجأة لمحت الأخت كوخًا خشبيًا. اقتربت بخطى حذرة ومن ورائها الغزال. وعند الكوخ تسللت إلى النوافذ فلم تر أحداً، أنصتت قرب الجدار فلم تعِ حسًا، فتحت الباب وولجت الكوخ وكان خاليًا، هكذا أصبح هذا الكوخ مأويهما وبيتًا لهما مكثا فيه. راحت الأخت تجمع أوراق الشجر والطحلب وصنعت منها مرقداً وثيراً لأخيها الغزال.

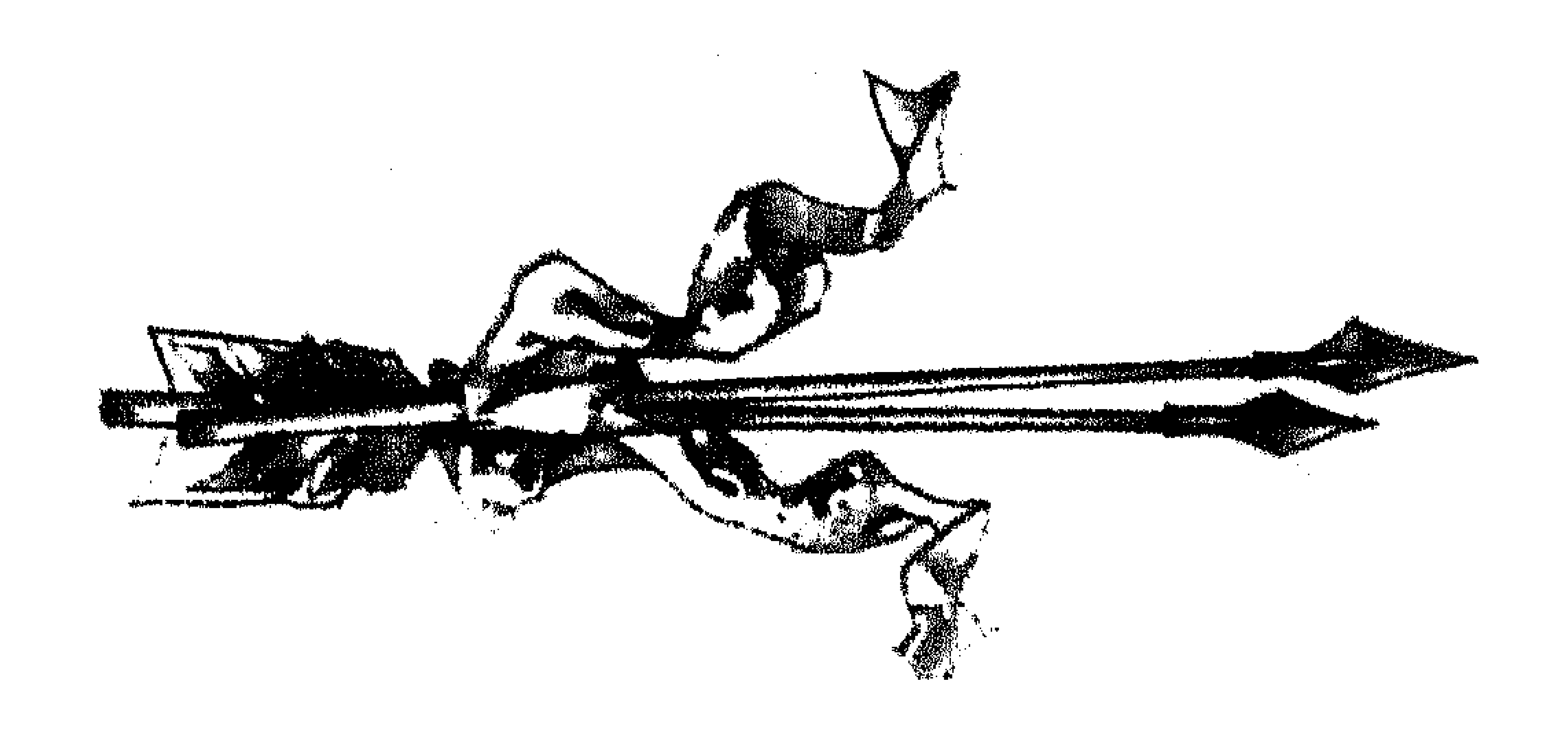
كانت الأخت تذهب في كل صباح إلى الغابة تجمع حبات الفراولة والجوز وثمار الخضراوات وتأكل هنيئًا، وتجمع لأخيها الأعشاب النضرة الطرية وتطعمه من راحتيها فيشبع ويلهو حولها. وفي المساء كانت ترقد برأسها إلى ظهر الغزال يتسامران وينعسان في

هدوء وطمأنينة. انقضت أيام وراءها أيام وراءها شهور ثم أعوام في سعادة وهناءة، ولم يكن ينقصهما سوى زوال السحر عن الأخ لتغدو الحياة جنة بهيجة.

وفي يوم من أيام
ذاك العصر والزمان
كذا بنفس المكان:

قال الغزال: " أختاه! ضقت ذرعًا، ونفد صبري، ولم أعد أحتمل البقاء داخل الكوخ أكثر من ذلك، إنني أخوك لكنني غزال، فاتركيني أذهب للصيد لأعدو وأمرح!" وألح الغزال وتوسل حتى رضخت أخته لرغبته قائلة: "حسنًا! عد إذن في مساء وأطرق الباب وقل: (أختي أدخليني!) كي أثق بأنك لست زائرًا من وحوش الغابة المفترسة، وإلا لن أفتح الباب!" قفز الغزال مغتبطًا وبوثبة واحدة كان خارج الكوخ. رمح في المراعي منطلقًا تحت سماء عارية وشمس وضّاحة. وبعد لحظات رأى من بعيد ملكًا وحاشيته في رحلة صيد. ولحظ الملك بدوره غزالاً بديعًا يجري فانطلق الحشد وراءه وبدأ الكر والفر. ولكن في كل مرة كاد فيها أحد الصيادين الإيقاع به، كان الغزال يفلت بحذق وسرعة، واثبًا تارة فوق شجيرات الغابة، وسابحًا تارة أخرى في أحد الجداول الرفيعة، قافزًا مرة، وهاربًا مرة أخرى إلى أن هبط الظلام واختفى عن الأبصار. عاد الغزال في المساء إلى الكوخ وطرق الباب قائلاً: "أختاه أدخليني!" فتح الباب وولج الأخ ورقد طوال الليل هادئًا.

(بـو .. بـو .. بـو ..) نفخت أبواق الصيد فى الصباح مرة أخرى تعلن بدء رحلة جديدة. سمعها الغزال ووقف قرب الباب يتوسل لأخته أن تطلق عنانه ثانيـة، فـقـالت: "حـسنًا .. لكن عـد فى المسـاء ولا تنس قـول عبارتك كى أدخلك!" انطلق الغزال ولمحه الملك والصيادون مجدداً وميزوه بالشريط الذهبى حول عنقه، وهرول الجمع وراءه، غـير أن الغـزال كان سـريعًا خفيف الحركة. واستمرت المراوغة بحماسة طيلة النهار والليل حتى أدمس الظلام. وعندما نفد صبر الصـيادين راحوا يحاصـرونه داخل دائرة وأصـابوه فى قدمه إصابة هينة. سار الغزال بعدها مبطئًا إلى البيت وقدمه تدمى. فتمكن أحد الصيادين من مراقبته واقتفى أثره حتى الكوخ وشاهد كيف دق الغزال الباب وسمع كيف تكلم بلغة البشر قـائلاً: "أختـاه! أدخلينى!" ثم كيف فتح الباب وأوصد خلف الغـزال فى عـجلة. هرع بعـدها الصـيـاد إلى الملك دهشًا وقص عليه الحكاية فقـال الملك: "إذن سنشن جـولة ثالثـة من الصـيـد فى باكـر الصـبـاح وراء الغزال!"



ظلت الأخت تبكي بعدما رأت أخاها مصابا، جففت له الدماء ووضعت فوق الجرح أعشابًا وأمرته أن يرقد حتى الصباح. وفى فجر اليوم التالى نهض الغزال وقد التئم الجرح الطفيف وسمع أبواق الصيد تطلق صفيرها (بو.. بو.. بو) ومن بعده صياح الصيادين: "ها.. ها.. ها.." استعدادًا لبدء الرحلة. ولم يتمالك الغزال نفسه فتوسل لأخته للمرة الثالثة، ولتكن الأخيرة، أن تفرج عنه كى يلهو مع الصيادين قائلاً: "لا تخافى من شىء يا أختاه! لن يتمكن منى أحد بسهولة." انتحبت الأخت وأجابته: "سيقتلونك، وسأظل وحيدة فى هذه الغابة بعيدة عن العالم، كلا! لن أتركك تذهب لحتفك!" قال الغزال:" أختاه! سأموت فى هذا الكوخ كمداً وحزنًا وأنا أسمع بوق الصيد يرسل صفيره بينما أجلس هنا فى الزاوية تمزقنى رغبة جامحة أن أقفز فى أثره وأن أراوغ الصيادين!" سلمت الأخت بالأمر وبقلب مهموم فتحت له الباب.

والثالثة هى من المرات

فيها ضرات أو مسرات

فإما الحياة وإما الممات

هكذا عاد الغزال للغابات:

لمحه الملك من بعيد، وأمر على الفور صياديه بالإمساك به وبألا يلحقوا به أذى. راح الصيادون من كل حدب وصوب يركضون وراء الغزال، وهو يحاورهم ويخادعهم من الصباح الباكر إلى أن هبط الظلام. وفى المساء صاح الملك على أحد الصيادين قائلاً: "الآن قدنى إلى هذا الكوخ الصغير!" وطرق الملك الباب قائلاً: "أختى العزيزة!

أدخليني!" وعندما فتح الباب تطلع الملك فرأى أروع ما شاهدت عيناه: كانت الفتاة، وكان الحسن مجسماً تجسيمًا والجمال ممثلاً تمثيلاً. دخل الملك الكوخ الصغير وارتعدت الأخت فزعًا من القادم الغريب الذى كان يحمل فوق رأسه تاجًا ملكيًا من الذهب.

طمأنها الملك بنظرات عينيه الودودة الهادئة، وتطلعت الفتاة إلى الملك فكان أروع ما رأت عيناها: كان رجلاً وضيء الطلعة بهى الملمح والملبس. أحبته كما أحبها ومد لها يده مصرّحًا: "هل تجيئين معى إلى قصرى وتصبحين زوجًا لى؟" ابتسمت مجيبة: "نعم، ولكن عندى غزال أود أن أصطحبه معى أينما ذهبت ويبقى جوارى أينما كنت ومدى الحياة !" قال الملك:" نصطحبه ويظل معك كيفما شئت." لم يكد الملك والأخت يهمان بالخروج من الكوخ حتى أقبل عليهما الغزال عائدًا. صعدت الفتاة الجميلة فوق ظهر الفرس، ومضى الملك بها إلى القصر وفى أثرهما الغزال. وهناك أقيمت احتفالات العرس.

عاش الملك والملكة سنواتٍ وأعوامًا، وكان الغزال مدللا يعيش فى القصر ويلهو فى الحديقة ويمرح قرب أخته. ولكن دوام الحال من المحال.

فى يوم من الأيام
والساحرة من اللئام
تظن بأن الأيتام
قُضى عليهم بالإعدام:

إذ اعتقدت زوجة الأب بأن الصبى قد وقع فى شباك الصيادين بعد أن سحره الماء الملعون غزالاً وانتهى أمره، وأن الأخت التى عاشت بعده وحيدة لابد من أن تكون وحوش الغابة قد افترستها وانتهى أمرها هى الأخرى. وعندما بلغها النبأ بأن الفتاة أصبحت ملكة، وأن أخاها الغزال يعيش معها فى سعادة وسلام، كئبت واغتمت غمًا عظيمًا، وشرعت تمعن الفكر فى حيلة جديدة تصب بها لعنة سحرها عليهما مرة أخرى. وكان للساحرة ابنة وحيدة دميمة، مشوهة، بوجهها عين واحدة وسط جبينها!! وكانت الابنة تتوسل لأمها الشريرة أن تجعلها بديلة للملكة تسعد بحظها وتهنأ بحياتها مع الملك. وكانت أمها دائمًا تجيبها قائلة: "سأتدبر أمرى عندما يحين الوقت، إنى أنتظر يومًا بعينه من العام".



وانقضى العام، وذات يوم من دون الأيام وضعت الملكة طفلاً مليحًا أزهر اللون حسن القسمات. وكان الملك قد خرج كعادته فى إحدى رحلات الصيد وتسللت الساحرة ومعها ابنتها خفية إلى القصر وسحرت نفسها فى هيئة جارية الملكة وولجت حجرتها وقالت لها:" انهضى يا سيدتى الملكة قبل أن يبرد الماء، لقد أعددت لك الحمام ! سيرد لك عافيتك بعد الوضع وتنتعشين." عاونت الساحرة وابنتها الملكة فى النهوض من الفراش والوصول الى الحوض حيث رقدت فى الماء. وكانت الساحرة قبل ذلك قد دهنت جدران الحمام بماء النار فاختنقت الملكة من الدخان والحرارة المتصاعدين وماتت دون أن يرتاب أو يشعر أحد فى القصر بشىء. أرقدت الساحرة الشريرة ابنتها فى فراش الملكة ومنحتها هيئتها وجمالها، إلا أنها أخفقت فى خلق عين ثانية لها فسترتها بغطاء يخفى رأسها ثم أظلمت الحجرة.

وفى المساء عاد الملك من رحلة الصيد وعلم بمولد ولى العهد وبأن الصبى رائع فتّان، فابتهج واستبشر وركض إلى حجرة الملكة يُطمئن نفسه على حالها ويرى الطفل. هناك صاح من الظلام صوت الساحرة يقول:" اترك الستائر مسدلة، الملكة منهكة بعد الوضع، ويجب أن ترقد فى هدوء!" تقهقر الملك، ولم يلحظ أن المسجاة فوق الفراش ليست زوجته.

انتصف الليل، وكان الجميع بالقصر نيامًا عندما رأت مربية الطفل الساهرة قرب مهده الهزاز سيدتها الملكة وهى تفتح الباب برفق مقبلة بهدوء على الصبى، تحمله بين ذراعيها، تضمه إلى صدرها،

تربت عليه وترضعه ثم تعيده وتدثره بالغطاء، وتذهب بعد ذلك إلى الغزال فى ركن من أركان الحجرة، تملس فوق ظهره بعطف، ثم تغلق الباب من خلفها وتختفى!

سألت المربية فى اليوم التالى الحرس والخدم إذا كان أحد منهم قد شاهد الملكة أو سمع خطاها فى منتصف الليل بالغرفة أو فى طرقات القصر، لكن الجميع أنكر ذلك ! أخذت الملكة تزور الطفل مرات عديدة وتتردد على الغزال فى منتصف الليالى دون أن يعى أحد شيئًا سوى المربية التى همت ذات مرة تتحدث وتقص ما جرى لكنها رهبت الأمر.

مر وقت وانقضت أيام ونطقت الملكة أخيرًا بالكلام تسأل:" كيف حال طفلى؟ كيف حال غزالى؟" وأضافت:" سأزورهما مرتين أخريين فقط وبعدها لن أعود!" ثم اختفت. خرجت المربية أخيرًا عن صمتها وروت الحكاية للملك، فقرر أن ينتظر زوجته فى الليل ساهرًا قرب الطفل. وفى هذه الأثناء ولجت الملكة الحجرة عند منتصف الليل وأبصرها الملك وتأملها لكنه لم يجرؤ على مخاطبتها! سألت:" كيف حال طفلى، كيف حال غزالى؟" وأضافت:" سآتى مرة واحدة فقط وبعدها لن أعود !" حملت الطفل بين ذراعيها، ضمته إلى صدرها، ربتت فوق صدره وأرضعته ثم أعادته إلى مهده ودثرته بالغطاء. قصدت بعد ذلك الغزال، ملست فوق ظهره بعطف وأغلقت الباب وراءها واندثرت.

انتظرها الملك فى المرة الأخيرة حاسمًا أمره. أتت فى منتصف الليل وسألت:" كيف حال طفلى؟" و:" كيف حال غزالى؟" ثم حملت الطفل

بين ذراعيها، ضمته إلى صدرها، ربتت فوق صدره وأرضعته ثم أعادته إلى مهده ودثرته بالغطاء وذهبت بعد ذلك إلى الغزال ملست فوق ظهره، وقالت: "لن أعود أبدًا!" قفز الملك عندئذ إليها يصيح: "لا يمكن إلا أن تكوني زوجتي الحبيبة!" أجابته: "نعم! زوجتك المحبة!" وفي اللحظة نفسها تحررت الملكة بإرادة الله من السحر وبعثت من جديد نضرة حسناء كما كانت دومًا. قصت الملكة على زوجها الحكاية فحكم على الساحرة الشريرة وابنتها الدميمة بالهلاك. قيدت الابنة في الغابة وافترستها الوحوش الضارية واستعاد الغزال هيئة الإنسان بعد أن حرقت الساحرة وصارت رمادًا، وعاش الأخ والأخت معًا سعداء هانئين حتى آخر العمر.

كان يا ما كان — حدوتة زمان
حكاية يرويها — الدهر والمكان
وأخرى يطويها — العمر والنسيان
وهذه يحكيها — جريم الأخوان

لك هنا والآن:



الأقزام الثلاثة فى الغابة

DIE DREI MÄNNLEIN IM WALD



كان يا ما كان
فى بلاد الألمان
من قديم الزمان
روت الأغصان
فى آذان إنسان
حكاية كل آن:

من زمان عاش أرمل وأرملة فى جيرة وحيرة وحرمان، وكان لكل منهما ابنة، وكانت البنتان صديقتين. وذات مرة من المرات وهما

يتنزهان عرجن على بيت المرأة فرأت ابنة الرجل وقالت لها: " اذهبى وأبلغى أباك أننى أريد الزواج منه، وإذا تزوجته سوف تغتسلين أنت كل صباح فى الحليب وترتوين بالنبيذ، بينما تستحم ابنتى فى المياه وتشرب الماء."

قصت الفتاة على أبيها ما جرى. تساءل الرجل قائلاً لنفسه: "الزواج هناء لكنه أيضًا بلاء! ماذا أفعل؟" ظل حائرًا عاجزًا عن أخذ قرار. وفى النهاية سحب حذاءه الشتوى ذا الرقبة الطويلة وقال لابنته: "فى نعل حذائى ثقب، اذهبى وعلقيه فى مسمار الحائط وصبى بداخله ماء حتى يمتلئ، إذا تسرب الماء من الحذاء لن أتزوج وإذا احتفظ به سأذهب للأرملة." فعلت الفتاة ما أمرها به أبوها، وبقى الماء داخل الحذاء؛ إذ كان ثقيلاً فوق الثقب الصغير. ركضت الفتاة تبلغ أباها الذى ذهب بنفسه ليستوثق من ذلك، وبعد أن تأكد عقد قرانه على المرأة.

وفى صباح أول يوم بعد الزواج استيقظت الفتاتان ووجدت ابنة الرجل أمامها حليباً تغتسل فيه ونبيذًا تشربه، وأمام ابنة المرأة ماء للاغتسال وماء للشرب. وفى صباح اليوم الثانى بعد الزواج كان أمام كليهما ماء للاغتسال وماء للشرب. أما فى اليوم الثالث فكان أمام ابنة الرجل ماء للاغتسال وماء للشرب وأمام ابنة المرأة حليب للاغتسال ونبيذ للشرب! هكذا انقلب الحال وظل على هذا المنوال. كانت المرأة تبغض ابنة زوجها؛ لأنها جميلة ووديعة، بينما كانت ابنتها قبيحة كريهة، وكانت تبتدع لها المكائد لتكدر عليها حياتها.

وفي يوم من أيام الشتاء

وصقيع من الأرض إلى السماء

والريح تعصف في الظلماء :

وقد تجمدت الثلوج والماء، وكست الجبال حتى قممها والوديان وما بها، في ذاك المساء جلست الزوجة ترتق رداءً من الورق، وبعد أن انتهت منه صاحت بابنة زوجها وأمرتها:" ارتدى هذا الثوب واذهبى للغابة واجمعى لى حبات الفراولة حتى تمتلئ هذه السلة وإياك أن تعودى دونها!" أجابت الفتاة:" يا إلهى! الفراولة! لا تنبت فى الشتاء! والصقيع حجّر الأرض والثلوج تغمر كل شيء، ولمَ الذهاب فى رداء من ورق؟ إن أنفاسى ستتجمد وهى تخرج من صدرى، وستنزع الريح روحى من بدنى!" قالت زوجة الأب:" هل تعصيننى؟ اذهبى ولا تعودى إلا بسلة الفراولة، وها هو طعامك!" ثم دست المرأة فى يدى الفتاة كسرة خبز جافة، وظنت أنها ستهلك جوعًا وبردًا.

امتثلت الفتاة لقدرها، وارتدت الثوب الورق، ومضت فى سبيلها تحمل السلة! لم يقع بصرها على أى شيء ولا أدرك سمعها أى صوت، ولم يكن فى الخارج سوى السكون والزمهرير والظلمة. وصلت الفتاة إلى الغابة ولحظت من بعيد بيتًا صغيرًا، وعندما اقتربت منه أبصرت ثلاثة أقزام ينظرون من داخله، حيتهم بود وتمنت لهم يومًا سعيدًا وطرقت الباب برقة، فصاحوا: "ادخلى!" ولجت الفتاة البيت، وجلست

على أريكة قرب الفرن تستدفئ وأخرجت كسرة الخبز وبدأت تأكل.

– قال الأقزام: " اعطنا مما تأكلين!"

– أجابتهم: " بسرور!" وراحت تقتسم الخبز معهم.

– وسألوها: " ماذا تبتغين من الغابة بثوبك الورق فى هذا الصقيع؟!"

– قالت: " آه، علىّ أن أجمع من حبات الفراولة ما يملأ هذه السلة ولا يمكننى العودة لبيتى قبل ذلك."

انتهت الفتاة من قضم كسرة الخبز ونهضت. أعطاها الأقزام مقشة وطلبوا منها أن تزيح لهم ثلوج الطريق التى انهمرت أمام مدخل البيت الخلفى. فأخذتها الفتاة دون تردد أو استياء ومضت فى سبيلها وسمعتهم يتحدثون فيما بينهم قائلين:

– " يا لها من فتاة طيبة خلوقة، تقاسمت معنا خبزها، ما الذى يمكن أن نهبه لها ؟"

– قال القزم الأول: " أنا أهديها جمالاً فوق جمالها فتغدو مع كل يوم أكثر حسنًا وبهاءً."

– وقال القزم الثانى: "وأنا سأجعل الذهب يتساقط من فمها مع كل كلمة تنطق بها."

– وقال القزم الثالث: "وأنا سأبعث لها بملك يتزوجها فتصبح ملكة."

أمـا الفـتـاة فكانت فى هذه الأثناء تكسح الثلوج من خلف بيت الأقزام كما أمروها، فماذا رأت؟! وكم ابتهجت بالمفاجأة التى وجدت؟! فلقد عثرت الفتاة على حبات الفراولة الناضجة اليانعة فى كل شبر من الأرض كانت تزيح من فوقه الثلوج، حبات الفراولة الحمراء القانية تطل من بين الثلوج الشاهقة!! غمرت البهجة مهجة الصبية وطفقت تجمع الفراولة حتى طفحت السلة بها، ثم شكرت الأقزام مستبشرة وحيتهم وضغطت على يد كل منهم وانصرفت.

عادت إلى بيتها وعندما بدأت تلقى التحية قائلة: "مساء الخير!" سقطت على الفور قطعتان ذهب من فمها!! وشرعت الفتاة تقص عليهم كل الرواية وما جرى لها فى الغابة من حكاية، وكانت قطع الذهب تنهمر واحدة تلو الأخرى بعد كل كلمة ينطق بها لسانها حتى كاد البيت يطفح بالذهب!!

قالت ابنة الزوجة بتهكم:" يا له من غرور! تقذفين من فمك بالذهب هنا وهناك.. هكذا بكل بساطة." وتمنت لو كانت هى التى ذهبت للغابة تفتش عن حبات الفراولة. صاحت أمها مروّعة: "لا يا ابنتى الحبيبة، الطقس قارس البرودة، وستهلكين فى الطريق من الصقيع!" غير أن الابنة ألحت وأصرت ولم تترك للأم خياراً. جلست المرأة تحيك رداء من الفراء لابنتها وزودتها بالفطائر وشرائح الخبز والكعك.

قصدت ابنة الزوجة الغابة، وسارت حتى وصلت إلى البيت الصغير ومنه أطل الأقزام الثلاثة فلم تلق عليهم التحية، ولم تلتفت إليهم،

ولجت البيت وجلست على الأريكة قرب الفرن وأخرجت طعامها لتأكل. قال الأقزام الثلاثة: "أعطنا مما تأكلين!" أجابت: "ما معى لا يسد رمقى، فكيف لى أن أقتسمه معكم؟!" وبعد أن فرغت من الأكل طلب الأقزام منها أن تحمل المقشة وتكسح لهم ثلوج الطريق خلف البيت، فقالت لهم: "لست خادمتكم، نظفوا ما تريدون بأنفسكم!" وعندما بلغت باب الدار وهمت بالخروج سمعتهم يتحدثون فيما بينهم قائلين:

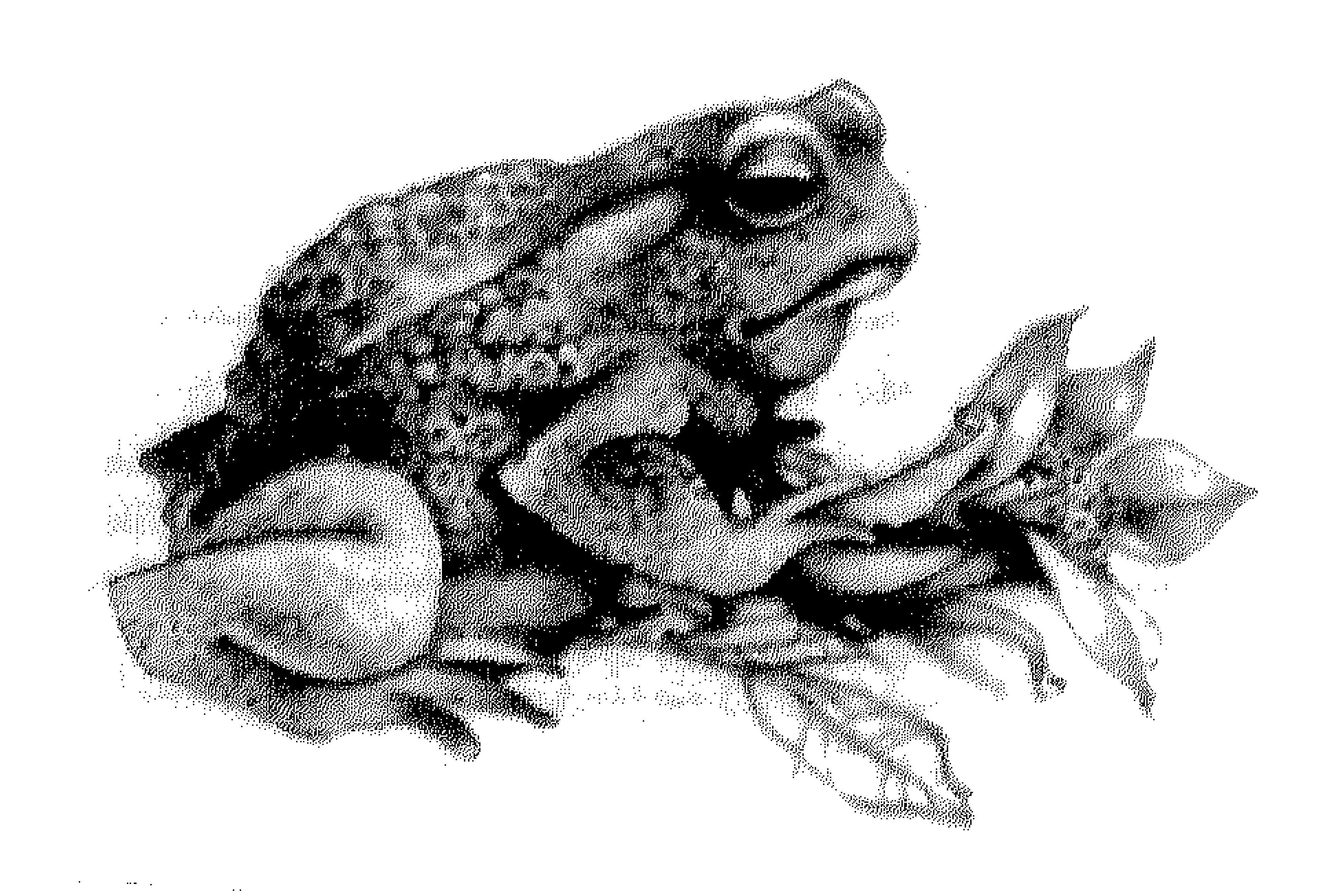
- "يا لها من فتاة شريرة كريهة وحسودة لا تجود بشىء على أحد، ما الذى يمكن أن نهبه لها؟!"

- قال القزم الأول: "أنا أهديها قبحًا فوق قبحها فتغدو مع كل يوم ينقضى أكثر دمامة وبشاعة."

- وقال القزم الثانى: "وأنا سأجعل ضفدعة تقفز من حلقها مع كل كلمة تنطق بها."

- وقال القزم الثالث: "وأنا سأجعلها تموت ميتة حزينة."

فى هذه الأثناء كانت ابنة الزوجة تفتش خلف بيت الأقزام عن حبات الفراولة اليانعة، ولم تجدها فعادت إلى بيتها مكدرة مغتمة. وفى البيت طفقت تقص عليهم ما جرى، وعندما بدأت تتفوه قفزت من حلقها ضفدعة كبيرة، وهكذا مع كل كلمة كانت تنطق بها، فاشمأز الجميع منها واقشعرت أبدانهم.



تفاقمت غيرة المرأة من ابنة زوجها وازداد حسدها خاصة بعدما رأت كيف تغدو الفتاة مع كل يوم يمر أكثر روعة وحسنًا، وكم تصبح ثرية بالذهب الذى يتناثر من فيها. فكرت زوجة الأب فى وسيلة تلحق بها أذًى كبيرًا! وتوصلت أخيرًا لحيلة. أخذت غلاية ماء ووضعتها فوق النار وراحت تغلى فيها شبكًا وخيطًا ثم أخرجته من القدر وألقت به فوق كتفى الفتاة المسكينة وناولتها بلطة وقالت لها:" اذهبى الآن إلى النهر واثقبى فتحة فى الجليد واغسلى البلطة فى الماء البارد. أطاعتها الفتاة وانساقت للنهر. وأقبلت عليها وهى تفتح ثقب فى الجليد عربة براقة خلابة جلس فيها ملك البلاد. توقفت العربة بالقرب منها وتطلع الملك إليها وسألها فى هدوء:" من أنت يا فتاتى وماذا تفعلين هنا؟!" أجابت:" أنا بنت فقيرة وأغسل البلطة فى ماء النهر البارد." أشفق الملك عليها

ورثى حالها ونظر إليها فرأى آية من الحسن والجمال، فاندفع يقول لها على الفور:" هل ترغبين فى الرحيل معى؟" أجابته باندفا ع: "أود وأرغب من كل قلبى." فقد تذكرت الفتاة كيد زوجة أبيها ومكائد ابنتها والعيش المرير فى كنفهما وابتهجت للخلاص منهما.

صعدت جوار الملك وانطلقت العربة بهما، وفى القصر عقد القران وأقيمت أجمل الاحتفالات، وحدث ما نطق به الأقزام الثلاثة. وبعد عام وضعت الملكة صبياً جميلاً. وعلمت زوجة الأب بأن الحظ السعيد اكتنف الفتاة فاصطحبت ابنتها إلى القصر وتسللا دون أن يلحظهما الملك. ودخلا حجرة الملكة وأمسكت المرأة الملكة من رأسها وابنتها من قدميها ورفعاها من الفراش وأسقطاها من الشرفة إلى تيار السيل الجارف فى النهر، ثم عادا، وفى عجلة أرقدت المرأة ابنتها الدميمة فى سرير الملكة وأخفتها بالغطاء حتى رأسها.

عاد الملك وأراد الحديث إلى زوجته، طرق الباب ودخل، فقالت له المرأة خفية:" هدوء! اترك الملكة اليوم، إنها تتصبب عرقًا وبحاجة إلى الراحة!" لم يَرْتَب الملك فى شيء وعاد فى صباح اليوم التالى يحاور زوجته، فإذا بضفدعة جسيمة تخرج من حلقها مع كل كلمة تتفوه بها، بينما كانت من قبل قطعًا من الذهب!! احتار الملك وسأل عما حدث؟ أجابت العجوز بأنه العرق والمرض، وأن الحال سيعود على ما كان بعد أن تسترد الملكة عافيتها.

وكان الطباخ قد شاهد فى المساء بطة تسبح صوب القصر وسمعها تتساءل:

- "ماذا تفعل أيها الملك؟ هل أنت نائم أو يقظ؟ وماذا عن ضيوفى؟"

- أجاب الطاهى: "ينامون ملء جفونهم"

- أضافت: "وكيف حال طفلى الصغير؟"

- قال الطاهى:" ينعس فى مهده الهزاز."

صعدت البطة وظهرت فجأة فى هيئة الملكة، وأرضعت الطفل وهزت له مهده هزة هينة، وسحبت فوقه الغطاء، ثم ارتدت بطة مرة أخرى وعادت تسبح فى المياه إلى أن اختفت. على هذا النحو جاءت مرتين وفى المرة الثالثة قالت للطباخ:" اذهب وقل للملك أن يأتى بحسامه ويلوح به فوقى ثلاث مرات!" تعرّف الطاهى على صوت سيدته الملكة، وهرول فى الحال إلى الملك وأبلغه بالأمر. استل الملك سيفه وقفز إليها ولوح به ثلاثًا فوق الروح. فى المرة الثالثة نظر الملك فإذا بزوجته أمامه. غمرت قلبه السعادة وأخفى الملكة فى غرفة صغيرة حتى موعد تعميد طفليهما: يوم الأحد.

فى يوم الأحد بعد تعميد الطفل يسأل الملك:

- "ما جزاء من يحمل إنسانًا من فراشه ويلقى به إلى تيار السيل الجارف فى النهر؟"

- أجابت العجوز:" أن يوضع فى برميل تثقبه المسامير من كل جانب

ويقذف به من قمة الجبل إلى النهر ذاته."

– رد الملك:" إذن لقد نطقت بالحكم على نفسك وعلى ابنتك أيتها العجوز!"

وأمر الملك بسحبها وابنتها ووضعهما في برميل تثقبه المسامير من كل جانب. أغلق البرميل وألقى به من قمة الجبل إلى تيار السيل الجارف في النهر.

كان يا ما كان حدوتة زمان

حكاية يرويها الدهر والمكان

وأخرى يطويها العمر والنسيان

وهذه يحكيها جريم الأخوان

لك هنا والآن:



هينزل وجريتل

HÄNSEL UND GRETEL



كـــان يا مـــا كـــان

فـــى بـــلاد الألمـــــان

شـــــرد طيـــــر نشــوان

وغـــــرد في بســـتـــان

حكاية فـــيـــهـــا ألوان

فـيـهـا أشـجـان وريحـان:

عاش أمام غابة فسيحة قاطع أخشاب مع زوجه وابنه هينزل وابنته جريتل. وكان قاطع الأخشاب فقيراً يرتزق بالكاد ما يسد رمقه ويطعم زوجته وطفليه. واشتد الغلاء فى البلاد فلم يكن لدى الرجل حتى ما يقتاته من الخبز! وفى ليلة من الليالى وهو راقد فى فراشه تنهد وفكر قلقًا، وقال لزوجته:

- "ماذا سنفعل؟ وبِمَ سنطعم أطفالنا المساكين ونحن لا نمتلك ما نطعم به أنفسنا؟"

- قالت الزوجة:" أتدرى ماذا نفعل؟ نقود الطفلين فى ساعة مبكرة من صباح الغد إلى الغابة ونشعل لهما حطبًا يتدفآن ونعطى كلاً منهما كسرة خبز ثم نذهب لعملنا ونتركهما وحيدين، وبذلك نتخلص منهما لأنهما بالطبع لن يجدا طريق العودة للبيت!"

- رد الرجل:" لا يا امرأتى لن أفعل هذا، الحيوانات المفترسة ستعثر عليهما وتمزقهما إربًا."

- قالت الزوجة:" إذن سنموت كلنا جوعًا! يا لك من أحمق! إنك لا تصلح لشىء سوى لتقطيع ألواح الخشب ومسحها بالفارة." ولم تترك المرأة زوجها إلا بعد أن وافقها على ما دبرته.

- أضاف الزوج بشجن: "آه.. كم يؤلمنى مصير الطفلين المسكينين!"

لم يغف الطفلان فى هذه الأثناء من وطأة الجوع عليهما وسمعا

كل ما قالته زوجة الأب لوالدهما. بكت جريتل بكاءً مريراً، وقالت لأخيها: "لقد هلكنا!" أجابها هينزل: "اهدئي ولا تثيرى صخبًا، وسأتدبر أنا الأمر!" وبعد أن تأكد هينزل من أن الوالدين يغطان فى نوم عميق ارتدى سرواله وتسلل من البيت في هدوء. كان القمر مضيئًا ينير الدرب ويضرب فوق حصى الطريق الأبيض بشعاع يتلألأ فيه بريقه كما الذهب. راح هينزل يجمع الحصى فى جيبيه قدر ما استطاع ثم عاد وقال لجريتل: "لا تخافي يا أختاه! نامى واستريحى، لن ينسانا الله!" ثم رقدا فى أسرتهما.

مع إطلالة الفجر الأولى قبل شمس الصباح نهضت زوجة الأب وأيقظتهما قائلة:"هيا انهضا أيها الكسالى! سنذهب للغابة ونجمع الأخشاب." وأعطت المرأة لكل منهما كسرة خبز وأضافت:" لا تأكلاها إلا عند الظهيرة؛ لأنها كل ما ستطعمانه اليوم." أخفت جريتل الخبز تحت ردائها؛ لأن جيوب هينزل كانت ممتلئة بالحصى والزلط وانطلق الجميع فى الطريق إلى الغابة. وكان هينزل يلتفت من حين إلى آخر ويتطلع خلفه إلى البيت فى صمت حتى تعجب أبوه وسأله:" أسرع يا هينزل! إلام تنظر؟!" أجاب الصبى: "إلى قطتى البيضاء تجلس فوق سطح البيت وتود أن تودعنى." ردت المرأة: "يا لك من أحمق! إنها شمس الصباح تسطع فوق مدخنة المنزل." غير أن هينزل لم يكن ينظر إلى قطته، بل كان يستدير بين الفينة والأخرى ليلقى بحبات الحصى فوق الطريق.

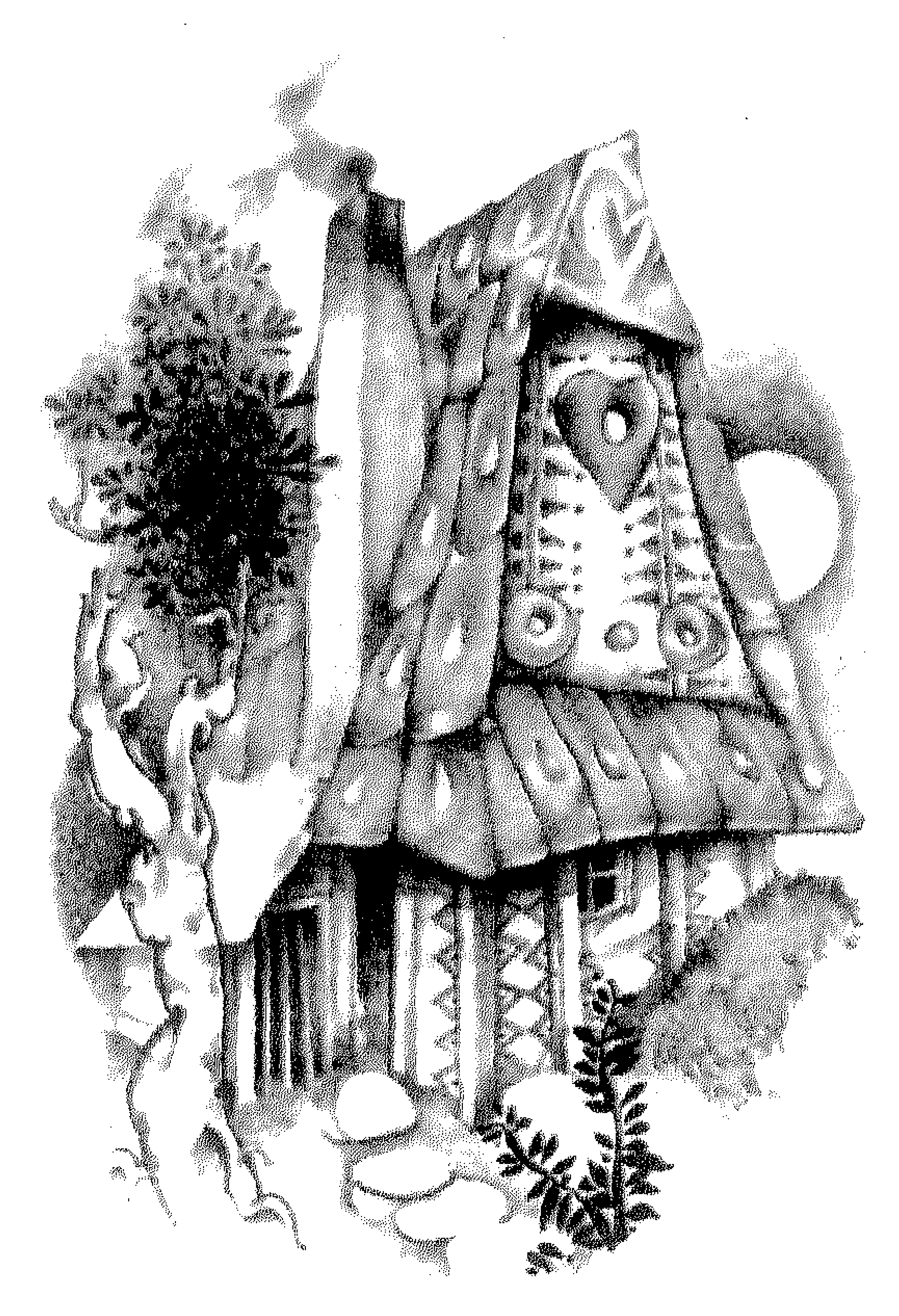
وفى وسط الغـابة توقـفـوا وقـال الأب: "الآن ابدءوا فى جـمع الأعشاب يا أطفالى كى أوقد نارًا تدفئكم." مضى الصبى مع أخته مكروبين لجمع الأغصان الجافة من فوق تل قريب. وبعد لحظات أضرم الأب النار فى الأعشاب وعندما استعرت ألسنتها قالت زوجة الأب: "الآن استريحوا يا أطفال قرب النار، وسنقصد نحن الغابة لنجلب الأخشاب ثم نأتى إليكم ونعود معًا إلى البيت." جلس الصبى والصبية قرب النار، وأخرجت جريتل الخبز وراحا يأكلان وهما يسمعان رجع ضربات بلطة أبيهما تكسر الأخشاب. لكنها لم تكن البلطة بل غصن قوى من أغصان شجرة عقفه الأب فراح يهتز يمنًا ويسارًا مع الريح ويقرع فى الجذع. مر وقت طويل نعس خلاله الطفلان، وعندما أفاقا كان الظلام قد أدمس. أخذت جريتل تبكى وتقول: "والآن كيف سنخرج من رحم الغابة؟" واساها هينزل وطمأنها قائلاً: "تمهلى حتى يصعد القمر إلى قلب السماء وسنجد الطريق!"

أنار القمر بعد حين دروب الغابة، وقاد هينزل أخته من يدها وسارا مقتفيين آثار الأحجار والحصى التى ألقى بها الصبى فى الطريق. كان الحصى والزلط فى ضوء القمر مثل النقود الذهبية التى سُكّت لتوها يتلألأ برّاقًا ويكشف لهما الطريق وضّاحًا. مضى الطفلان فى سبل الغابة الملتفة طيلة الليل. ومع بزوغ الفجر بلغا منزل أبيهما. دقا الباب، ففتحت زوجة الأب، وما إن رأتهما حتى راحت تصيح: "أيها الأشرار لماذا استغرقتما فى النوم طويلاً؟ اعتقدنا أنكما لن تعودا أبدًا؟!" أما الأب فقد ابتهج وزال عنه كربه بعودة أبنائه.

مر زمن والأسرة تعيش فى فقر وضنك، ثم اجتاح الغلاء البلاد مرة أخرى، وسمع الطفلان زوجة أبيهما تقول له فى الفراش: "نفد الطعام، ولم يتبق لدينا سوى نصف الرغيف، لابد أن يرحل عنا الأطفال، وعلينا هذه المرة أن نزج بهما إلى جوف الغابة فلا يجدا الطريق ثانية.. وإلا سنهلك!" فكر الأب مكدر حزين وقال لها: " كان من الأفضل أن تقتسمى آخر كسرة خبز مع أطفالك!" لكن المرأة لم تنصت لما قال وأخذت تسبه وتلقى باللوم عليه وتقول: "من يبدأ أمرًا عليه أن ينهيه." لم يجد الرجل مفرًا وقد تحتم عليه إطاعتها فى المرة الثانية؛ لأنه انصاع لها فى المرة الأولى.

لم يكن الطفلان نائمين فى هذه المرة أيضًا وسمعا حديث والديهما. انتظر هينزل بعض الوقت ثم نهض يسترق الخطى للباب وأراد فتحه لجمع الحصى مثلما فعل فى المرة السابقة، غير أن المرأة كانت قد أغلقته بالمفتاح. أخذت جريتل تبكى وواساها هينزل قائلاً: "لا تخافى، نامى واهدئى! لن ينسانا الله!".

فى الصباح الباكر أيقظت المرأة الطفلين وأعطت كلاً منهما كسرة خبز أصغر من المرة الأولى، وانطلق الجميع على الطريق إلى الغابة، لكن هينزل كان يلتفت خلفه بين الحين والآخر ويلقى بفتات خبزه على الطريق حتى قال له الأب: "ما الذى يستوقفك يا هينزل وتنظر إليه من ورائك؟ سر فى طريقك!" أجاب الصبى: "أنظر إلى حمامتى



صبّح اليوم الثالث عليهما فى الغابة وبدأ البحث من جديد. غير أن الطفلين كانا يندفعان أكثر فأكثر إلى أعماق الغابة، وعندما انتصف اليوم لمحا طائرًا صغيرًا نصع بياضه مثل ثلوج الشتاء وقد حط على غصن من الأغصان وطفق يرسل أنغامًا عذبة رقيقة استوقفتهما. هبط الطائر قريبًا من الطفلين، وعاد يحلق فتبعه هينزل وجريتل. ساقهما

الصغيرة، إنها تقف فوق سطح البيت وتود لو ودعتنى." ردت زوجة الأب: "يا لك من أحمق! إنها شمس الصباح تسطع فوق مدخنة البيت فتبرق!" لم يكن هينزل يلتفت إلى حمامته بل لكى يلقى بفتات الخبز فوق الطريق. ومضت المرأة بالطفلين إلى جوف الغابة العميق الذى لم يره أحد منهما فى عمرهما القصير. أضرمت النيران كما فى المرة السابقة وقالت زوجة الأب للطفلين: "ابقيا جالسين وإذا أدرككما التعب ناما قليلاً وسنمضى نحن للغابة نجمع الأخشاب ونعود إليكما فى المساء."

انتصف اليوم واقتسمت جريتل مع أخيها كسرة خبزها وجلسا إلى أن نعسا وناما، وعندما أفاقا كان الظلام قد أدمس. جزعت الفتاة وأخذ هينزل يهدئ من روعها وقال: "لا تهابى شيئًا، انتظرى حتى يصعد القمر إلى قلب السماء ويضيء لنا الطريق، وسنجد فتات الخبز التى نثرتها ونقتفى أثرها إلى البيت".

عندما توسط القمر السماء أجلى عتمة الدجى واستوضح الصبى الدرب وطفق يفتش عن فتات الخبز التى اقتاتت بها آلاف وآلاف الطيور فى الغابات والحقول فلم يجدها. مكث الطفلان جائعين لم يأكلا سوى حبات قليلة من فراولة الغابة ومضيا فى سبيلهما يبحثان عن البيت زمنًا طويلاً. سارًا ليلاً ثم صبحًا وليلاً ثم صبحًا حتى كلّت أرجلهما بحمل جسديهما واشتد الجوع عليهما إلى أن ركنا إلى جذع شجرة وراحا فى سبات عميق.

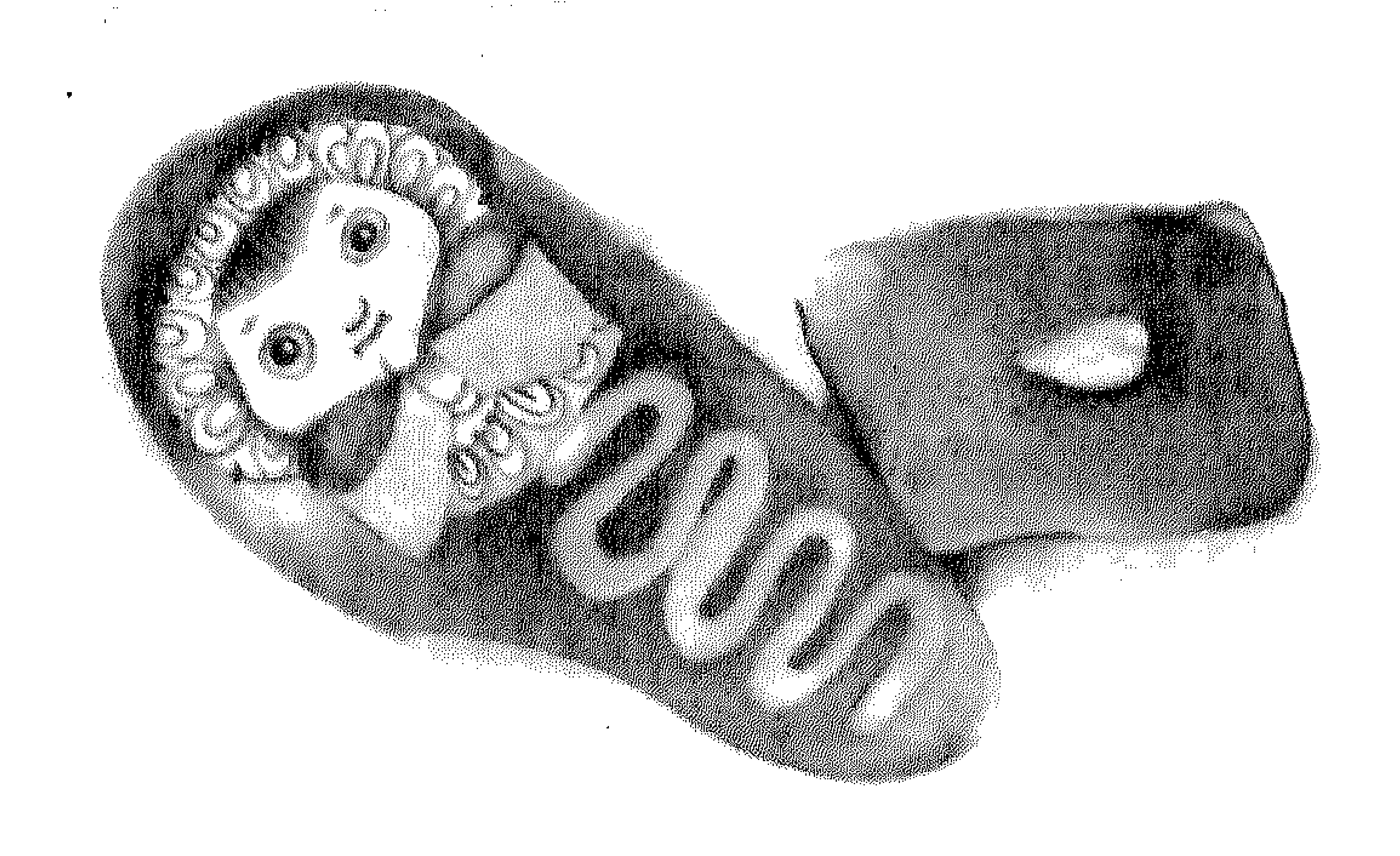
الطائر إلى حيث بيت صغير، وهناك رفرف بجناحيه فوق سقفه. اقترب الطفلان من البيت فإذا به قد شيد من الخبز واكتسى بالفطائر والكعك وبنيت نوافذه من السكر والحلوى!! بهج الطفلان وقال الصبى لأخته: "سيكون غداءً طيبًا، أنا أريد قطعة من السقف، وأنت يا جريتل تستطيعين أن تأكلى من النوافذ إنها حلوة بالتأكيد." تسلق هينزل جدار البيت ووصل إلى قمته وكسر قطعة منه وراح يتذوقها فى هناءة، ووقفت جريتل قرب نافذة وأخذت تقضم منها، فى هذه اللحظة صاح من داخل البيت صوت ودود يقول:

من قرض عشى مرتاح!

من قضم بيتى وراح؟

أجاب الطفلان: **هى ريح بصوت صياح!**

طفل السماء قد لاح.



لم يأبه الطفلان لا للصوت ولا لأى شىء آخر، وانقضا على الحلويات يأكلان بنهم. اقتطع هينزل كسرة كبيرة من السطح وكذا جريتل من النافذة وجلسا فى كياسة وهدوء مثل الملائكة ينعمان بالطعام والشبع. انفرج الباب فجأة وتسللت منه امرأة عجوز نحف منها الجسد وجف كالحجر تستند إلى عكاز، فزعت هيئتها الطفلين فزعًا كبيرًا حتى سقط ما بين أيديهما من حلوى. تمايلت العجوز برأسها فى تلطف وقالت: "أيها الأطفال الأحباء! ما الذى أتى بكما إلى هنا؟ هيا ادخلا البيت وابقوا عندى ولن يمسكما سوء!" سحبت المرأة الطفلين إلى الداخل، وأعدت لهما طعامًا شهيًا وفطائر بالتفاح والجوز وأدفأت لهما حليبًا طازجًا ثم فرشت لهما الأسرَّة بأغطية بيضاء ناعمة. رقد هينزل وجواره جريتل ومن فرط السعادة هيئ لهما أنهما يسبحان ويحلمان بين السحاب.

كانت الساحرة الشريرة قد شيدت للطفلين بيتًا من الحلوى كى تستدرجهما، وكانت قوتها عظيمة، وفى السحر كبيرة، وإذا سقطت فريسة بين يديها طهتها والتهمتها على الفور، وأصبح يومها بالذبيحة عيدًا. وللسحرة عيون حمراء لا يستطيعون الرؤية بها بعيدًا، لكن أنوفهم تشتم كل شىء مثل الحيوانات البرية، ويستشعرون بها اقتراب أى إنسان. وعندما شرد الطفلان فى الغابة، واقتربا منها عرفت الساحرة وضحكت فى شماتة قائلة:" سقطا فى يدى ولن يفلتا أبدًا".

فى صباح اليوم التالى قبل أن ينهض الطفلان أفاقت العجوز وهمهمت لنفسها: "يا لها من وجبة شهية!" وحملت الساحرة هينزل

بيدين معروقتين وتركته فى الحظيرة، وأغلقت عليه بابًا بقضبان حديدية كى لا يفر. صرخ الصبى بكل ما أوتى من قوة لكن أحدًا لم يسمعه، ثم ذهبت الساحرة إلى جريتل وأيقظتها بدفعة قاسية وقالت: "انهضى أيتها الكسولة احملى الماء وضعيه فوق النار واطهى لأخيك وجبة دسمة! إنه فى الحظيرة وبعد أن يسمن لحمه ويزداد شحمه سآكله." انفجرت الفتاة مفزّعة فى بكاء عنيف، لكن الساحرة الشريرة أجبرتها على فعل ما أمرتها به.

بدأ هينزل يتناول أشهى الوجبات، بينما اقتاتت أخته جريتل على قشور السرطان وحسب. كانت الساحرة تتسلل فى كل يوم إليه لتتحسس من إصبعه الذى يدسه لها من بين القضبان ما إذا كان قد أصبح بدينًا وحان موعد ذبحه، لكن الصبى الحذق كان يخرج لها عظمة صغيرة عثر عليها فى الحظيرة فلا تميزها العجوز بعينيها العكرتين الحمراوين عن إصبعه، وتظن أنه مازال نحيفًا بحاجة للطعام وتتعجب لذلك.

وبعد انقضاء أربعة أسابيع نفد صبر الساحرة، ولم تستطع الانتظار مزيدًا من الوقت، وصاحت على الفتاة قائلة: "هيا يا جريتل أسرعى بالماء، غدًا سوف أذبح هينزل، سيان عندى سمن أم لا." ارتفع عويل الفتاة المسكينة حتى بلغ الفضاء البعيد وراحت تدعو وتتضرع إلى الله وتقول:" يا إلهى يا رحيم أنقذنا! لو كانت وحوش الغابة البرية افترستنا لكان أفضل لنا ولكنا هلكنا معًا." أجابتها الساحرة: "وفرى

على نفسك هذا العويل، لن يفيدك شيئًا!" أطلت العجوز على الصبى فى الحظيرة وأحضرت أخته الماء وأشعلت النار تحت القدر الكبير!!

قالت المرأة الشريرة: "فى البداية أود أن أخبز العيش، لقد عجنت العجين وحميت الفرن." ثم دفعت جريتل إلى الفرن الذى تصاعدت منه ألسنة النيران من كل جانب كى تزج بها إليه وتشويها وتأكلها. قالت الساحرة:" ازحفى للداخل وانظرى إذا ما كانت الحرارة قد ارتفعت بما يكفى للخبز!" أدركت جريتل مكر الساحرة وأجابتها: "لست أدرى كيف أندس فى الفرن؟!" قالت المرأة:" يالك من بلهاء! الفرن يتسع لى فكيف لا يتسع لك؟" ثم انثنت فوق الفرن ودست رأسها داخله وفى هذه اللحظة دفعتها الفتاة من الخلف بعنف فانزلقت الساحرة الزنديقة، وبسرعة أغلقت جريتل باب الفرن وسحبت المزلاج وظلت المرأة تعوى وتكتوى بالنار إلى أن احترقت وتفحمت!

هرولت الأخت إلى أخيها وحلت أسره وهى تصيح من فرط البهجة بالخلاص:" هينزل! لقد تحررنا!" انطلق الصبى يقفز كما العصفور من القفص. تعانقا وتبادلا القبلات، وراحا يركضان بجرأة فى كل ناحية وركن من البيت بعد هلاك الساحرة الشريرة. وفى غمرة الفرح أخذا يفتشان فى البيت فعثرا على صناديق تطفح باللؤلؤ والأحجار الكريمة. قال هينزل بمرح: "لا بأس .. إنها أفضل من الزلط والحصى" وحمل منها قدر ما استطاع وملأ بها جيوبه، وأخفت جريتل منها الكثير فى ثيابها. قال هينزل لأخته: "والآن فلنرحل عن غابة الساحرة!"

مضى الأخ والأخت ساعات وساعات وفى طريقهما مرا على نهر كبير، تأمله الصبى وقال:" ليس بوسعنا عبوره ولا أرى سبيلاً أو جسراً ينقلنا للضفة الأخرى." أجابته جريتل:" ولا تبحر السفن هنا، لكن هناك بطة بيضاء تسبح سوف تساعدنا إذا طلبنا منها حملنا للبر الآخر." وصاحت الفتاة:

بطة يا بطة يا حبيبة!
خصلك بيضاء وعجيبة
جريتل تاهت وغريبة
وهينزل شارد يا مجيبة
خذينا فالضفة قريبة!

أقبلت البطة عليهم وطأطأت رأسها كى يجلس الطفلان، وثب هينزل فى البداية وطلب من أخته أن تقفز وراءه، لكن الفتاة أخذتها الرأفة بالبطة الطيبة وفضلت أن تنقلهما واحداً بعد الآخر. وبعد أن بلغا البر الثانى مضيا فى سبيلهما زمنًا قصيراً، وسرعان ما انجلى الطريق عن غموضه، وتعرف الطفلان شيئًا فشيئًا وخطوة فأخرى على معالم الغابة وما هى إلا لحظات قصار حتى عثرا على البيت! فحثا الخطى واقتحما الشقة وارتميا فى أحضان أبيهما.

رأى الطفلان أن الأب لم يعش لحظة سعادة واحدة بعد أن زج بهما إلى وسط الغابة وتركهما وحيدين، وعرفا أن زوجة أبيهما قد ماتت. فى هذه الأثناء نفضت جريتل ثيابها فتناثرت حبات اللؤلؤ وتدحرجت الأحجار الكريمة فوق الأرض، وكان هينزل يغترف بكلتا

راحتيه من جيوب سرواله وينثر اللؤلؤ والأحجار الكريمة، وانتهت المشكلات وعاشت الأسرة الصغيرة فى سعادة وسلام.

خلصت الحدوتة .. ولكن .. مازال هناك ثعلب يركض، من يستطيع اصطياده سوف يحيك لنفسه منه معطفًا من الفراء كبير، دافئ، وثير!!!

* * *

كان يا ما كان حدوتة زمان

حكاية يرويها الدهر والمكان

وأخرى يطويها العمر والنسيان

وهذه يحكيها جريم الأخوان

لك هنا والآن:



الثعبان الأبيض

DIE WEISSE SCHLANGE



كـــــان يا مـــــا كـــــان
فـــى بـــلاد الألمـــــان
مـلـك عـظـيم الـشـــان
علم أســــرار المكـــان
عــرفــه كل قـــاص ودان:

واشتهر الملك فى طول البلاد وعرضها بالحكمة، وبالعلم بكل ما استتر من أمور كان يسبر أغوارها المحرمة ويدرك أعماقها المبهمة ويطلع على أسرارها العصية المطوية، وكأنه يستوحى كل هذا وذاك من

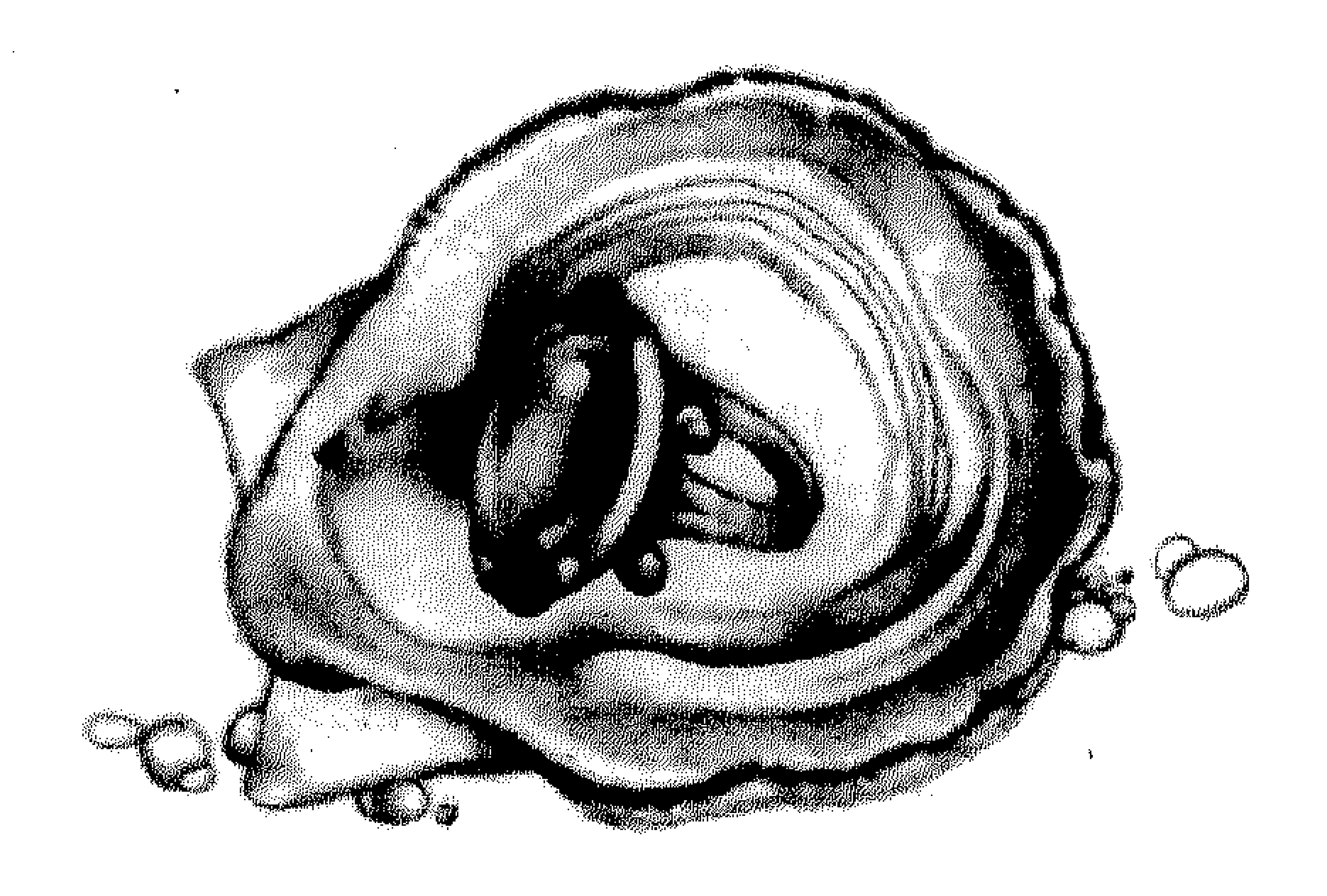
هواء السماء! وكان لدى الملك الحكيم مسلك عجيب. فقد اعتاد استدعاء خادمه الأمين بعد أن يفرغ تلامذته من نقل تعاليمه وشروحه من فوق اللوحة وينفض الجميع من حوله ليحضر له سطلاً مستوراً بغطاء محكم رصين. ولم يكن الخادم نفسه يعلم ما بداخله ولا أي إنسان عداه؛ لأن الملك كان يحرص دوماً على إخفائه وعلى ألا يأكل ما به إلا إذا اختلى بنفسه وأصبح وحيداً. وبقي الوضع على ما هو عليه زمناً طويلاً، لكن استمرار الحال من المحال.

وذات مـــــرة من المــرات
والفضـول أقـوى الصـفـات:

تملكت الخادم رغبة قوية وفضول كبير وعجز عن المقاومة فتسلل بالسطل لحجرة صغيرة من غرف القصر وأغلق الباب بالمزلاج وكشف الغطاء فرأى ثعباناً أبيض يرقد في القاع! لم يتمكن الخادم من جمح شعوره، وأراد أن يجرب مذاقه فقطع جزءاً صغيراً منه ووضعه في فمه. ما كاد لحم الثعبان يقرب شفته ويلمس لسانه حتى وعت آذان الخادم الشاب همس صوت رقيق من خلف النافذة. اقترب منها وأصغى للصوت وعرف أنها العصافير تحدث بعضها بعضاً حول مختلف الشئون مما رأت في الغابات وشاهدت في الحقول. هكذا منحه الثعبان الأبيض هبة فهم لغة الحيوانات والطيور ومخلوقات الله الأخرى!

وشاء القدر أن تفقد الملكة في اليوم ذاته أجمل خاتم لديها. واتجهت شكوك الملك وظنون الملكة إلى الخادم الأمين؛ لأنه وحده كان

يطرق كل الأمكنة ويدخل كل الحجرات ويفتح شتى الغرف والقاعات. وأمر الملك خادمه بالمثول أمامه وتوعده وصب عليه اللعنات وأمهله يومًا واحدًا كى يعثر على الخاتم أو يجد الفاعل وإلا اعتبره الملك هو السارق ويحاكمه. حاول الخادم كل صنوف المحاولات لإقناع سيده ببراعته لكن هيهات. راح الخادم مضطربًا فزعًا يفكر فى فناء القصر كيف يخرج من مأزقه. وهناك رأى البط جالسًا يستريح على حافة الماء ينظف نفسه بمناقيره ويسوى ريشه ويتبادل أسراره فى طمأنينة واسترخاء. ظل الخادم واقفًا ينصت إلى حديثه حول كره وفره فى الصباح وحول العلف اللذيذ الذى وجده، وإذا بواحدة من البط تقول بتثاقل: " ابتلعت اليوم فى عجلة خاتمًا كان ملقى تحت نافذة الملكة، وها هو ذا يرقد ثقيلاً فى معدتى."



رفعها الخادم فى نفس اللحظة من جناحيها ومضى بها إلى المطبخ وقال للطاهى:" اذبحها لقد سمنت!" أخذها الطباخ وأجابه:" بلى، قد ازداد لحمها وكثر شحمها وتنتظر منذ حين شيها." ذبح الطباخ البطة وفض أحشاءها فوجد الخاتم بها. كذا تمكَّن الخادم بسهولة من إثبات براءته أمام سيده. وشعر الملك بحرج وتأنيب الضمير وود مكافأته تعويضاً له عن اتهامه بما لم يفعل ووعده بمنصب رفيع فى القصر، لكن الشاب رفض كل شىء، وأعرب للملك عن رغبته فى الترحال حول العالم وطلب لذلك فرساً ومالاً ونفذ مولاه ما رآه.

وفى يوم بعينه من الأيام
فى ذاك العصر والزمان:

قرر الشاب بدء رحلته، وامتطى الفرس، وراح يتجول فمر فى طريقه على بركة ماء، ولمح فيها ثلاث سمكات ملقاة تجهد فى التنفس فى الماء الضحل. سمع الشاب حديثها، رغم أن المرء قد يظن أن الأسماك لا تتكلم، وكانت تشكو حالها لأنها ستموت ببؤس فى بركة ضحلة ماؤها قليل وهواؤها ضنين. وكان قلب الشاب رحيماً فترجل هابطاً من فوق جواده وأخذها وألقى بها فى النهر. أخذت السمكات تتقلب وتغطس وتطفو من السعادة ثم اشرأبت برؤوسها وقالت له:" نود أن نشكرك وسنجازيك خيراً لأنك أنقذتنا!"

مضى الشاب فى سبيله، ولم يكن قد انقضى سوى زمن قصير قبل أن يتناهى إلى سمعه صوت ملك النمل يشكو حاله ويقول: "لو أن البشر تغرب عنا بحيواناتها الفظة! ها هو الحصان الغبى يدك بحوافره

وأقدامه الثقيلة أهلى وأحبابى من النمل!" ابتعد الشاب عن الأرض المعشبة وانتقل بفرسه إلى الطريق المرصوفة بالحجارة. وإذا بملك النمل يصيح به قائلاً: "أود أن أشكرك وسنجازيك خيرًا على فعلتك!"

انطلق الشاب بجواده ومر فى طريقه بغابة رأى فيها غرابًا وغرابة يقذفان بأبنائهما الصغار من فوق مرتفع شاهق قرب عشهما ويقولان: "هيا، انصرفوا لقد كبرتم وعليكم إطعام أنفسكم بأنفسكم، ليس بوسعنا إيواءكم أكثر من ذلك!" هبطت الطيور الصغيرة البائسة فوق الأرض مرفرفة تضرب بأجنحتها الهزيلة يمينًا ويسارًا وتشكو حالها قائلة: "كيف يتوجب علينا نحن الصغار إطعام أنفسنا بينما لم نتقن بعد الطيران والتحليق؟ والآن ما عسى مصيرنا أن يكون غير الحياة على الأرض والموت جوعًا!" ترجل الشاب الطيب وسحب سيفه وذبح فرسه وتركه لصغار الغربان يأكلون. انكبت الطيور على الفريسة تلتهمها بنهم وتصيح به قائلة:" نود أن نشكرك وسنجازيك على فعلتك!"

طوى الشاب على قدميه طرقًا طويلة وصل بعدها مدينة كبيرة، كانت الضوضاء فيها عالية والزحمة فى شوارعها بادية، وفى إحداها أقدم رجل فوق مهرة يعلن بيانًا ويقول: "ابنة الملك تبحث عن زوج، من منكم يريد فليتقدم، لكن ليعلم الجميع ومن يأتى للمنافسة أن عليه حل مهام صعبة، من يخفق فيها يقضى عمره كله أسيرًا لإنجازها، فقد حاول كثيرون وفشلوا وأضاعوا حياتهم وهم يعيدون ويكررون المحاولة." لم يهب الشاب المخاطر بعد أن رأى ابنة الملك وسحره جمالها، وذهب للملك غير آبه بشىء.

قادوه إلى البحر وقذفوا أمام أعينه بخاتم من ذهب فى الماء ثم أمره الملك بالتفتيش عنه فى القاع والإتيان به وقال:" إذا عدت دون الخاتم ستظل طيلة عمرك تغطس إلى أن يغرقك الموج." استصعب الجميع مصير الشاب الجميل وتركوه وحيداً على الشاطئ. وقف هو على الساحل يتدبر أمره ولمح فجأة ثلاث سمكات سابحة تقبل عليه، تعرّف عليها، فقد كانت هى نفسها ذات السمكات الثلاثة التى أنقذها من الموت فى البركة الضحلة. وكانت الوسطى منها تحمل فى فمها قوقعة ألقت بها إلى قدمه فوق الشاطئ. التقطها الشاب وفتحها فإذا بالخاتم داخلها!

اجتاح الفرح قلب الشاب وغمرته السعادة وأسرع إلى الملك يحمل إليه الخاتم، آملاً فى مكافأته بزواج الأميرة. غير أن ابنة الملك المزهوة بجمالها، المتكبرة بمحتدها علمت أن الشاب الجميل ليس فى مثل أصلها ولا من مثل حسبها فأعرضت عنه وطلبت منه حل مهمة ثانية. وخرجت لحديقة القصر ومعها عشر شكارات من ذرة العويجة البيضاء، ونثرتها فوق عشب البستان وأمرته: "أن يجمعها كلها غير ناقصة حبة واحدة قبل بزوغ الشمس!" جلس الشاب فى الحديقة يفكر كيف يتدبر أمره، ولما لم يجد حلاً، كئب وحزن منتظراً أول شعاع من ضوء النهار ينذر بانتهاء أجله.

أنار أول بريق نور فى السماء الحديقة ورأى الشاب الغربان العشرة التى افتداها بجواده وقد اصطفت صفًا واحداً، ولمح أيضًا ملك النمل يسوق الآلاف والآلاف من جيوشه وقد أتت فى الليل وجمعت كل

حبات الذرة باجتهاد كبير. ومع بزوغ الشمس خرجت الأميرة إلى الحديقة ووجدت دهشة مذهولة أن الشاب حل المهمة الصعبة، ولم تنقص حبة واحدة من حبات الذرة، لكن قلبها كان مازال عاصيًا عصيًا لا تستطيع إرغامه على حب الشاب، وقالت لأبيها: "كلا.. لن يصبح زوجًا لى بحل المهمتين الأوليين، عليه أن يأتينى بتفاحة من شجرة الحياة!"

أين هى شجرة الحياة؟ لم يكن الشاب يدرى عنها شيئًا، لكنه نهض وهم بالرحيل بحثًا عنها أينما ساقته قدماه. مضى فى سبيله دون أمل فى العثور عليها. اجتاز ثلاث مملكات، وفى إحدى الليالى بلغ غابة منهكًا يائسًا وجلس تحت شجرة ورقد لينام. لكنه سمع حفيف أغصان وسقطت فجأة تفاحة ذهبية فى راحته ثم حلقت فى اللحظة نفسها ثلاثة غربان واقتربت منه تحط فوق ركبتيه وقالت له: "نحن الغربان الثلاثة التى أنقذتها فى يوم من الأيام من الهلاك، كبرنا وعلمنا بأنك تبحث عن شجرة الحياة، فحلقنا وطرنا فوق البحور واجتزنا العالم من بدايته حتى نهايته إلى أن عثرنا على شجرة الحياة باسقة وأتينا لك بالتفاحة وها هى ذى!"

طرب الشاب وابتهج، واستعد لطريق العودة. وصل مملكة الأميرة وقدم لها التفاحة الذهبية من شجرة الحياة، ولم تجد ابنة الملك حججًا أخرى ولا مهام أصعب، تناولت التفاحة وشطرتها نصفين وأكل كل منهما نصفه، فاجتاح فؤادها فجأة حب عظيم للشاب، وعقد قرانهما وعاشا معًا عمرًا مديدًا فى سعادة ووئام وهناءة وسلام.

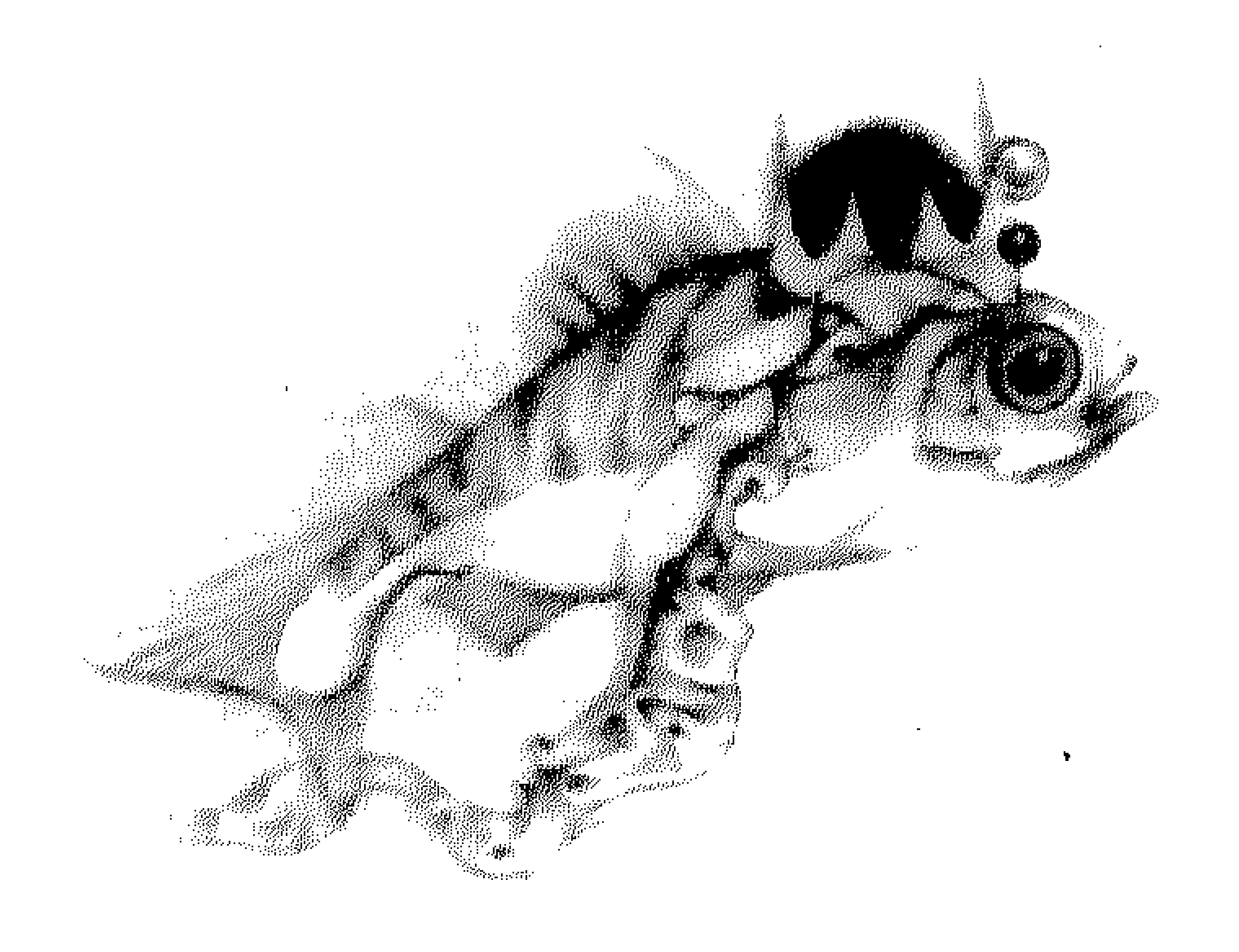
كان يا ما كان		حدوتة زمان
حكاية يرويها		الدهر والمكان
وأخرى يطويها		العمر والنسيان
وأخرى يحكيها		جريم الأخوان

لك هنا والآن:



الصياد وزوجته

VON DEM FISCHER UND SEINER FRAU



كـــان يا مـــا كـــان

فـــى بـــلاد الألمـــان

عـــاش مـن زمـــان

فى فـــقـــر وحـــرمـــان:

صياد وزوجته، وكانا يسكنان مرحاضا خشبيا أمام البحر. وكان الصياد ينهض فى الصباح ويذهب إلى البحر فى كل يوم ويظل فى قاربه يصطاد ويصطاد ويصطاد.

وفى يوم من الأيام شرد الصياد بفكره فى عرض البحر وهو يحدق فى صفحة الماء الرائقة وهى تبرق مثل المرآة الصافية وإذا بالشبكة تندفع إلى أعماق البحر ويثقل حملها ويصعب سحبها. انتبه الصياد وجذبها بقوة فوجد بها سمكة كبيرة من سمكات موسى. طفقت السمكة على الفور تتحدث إليه قائلة:" اتركنى يا صياد أعيش! أنا لست بسمكة، أنا أمير مسحور! ماذا تجنى لو قتلتنى، إن مذاقى مر، أعدنى للماء أتوسل إليك واتركنى للحياة!" قال الصياد:" حسنا حسنا! السمكة التى تتكلم تستحق الحياة وأتركها بالطبع تعيش وتسبح!" قذف الصياد بالسمكة إلى البحر، وراحت هى تغوص فى جوف الماء مخلفة وراءها أثرا طويلا من الدماء.

عاد الصياد إلى بيته وسألته زوجته عن صيده كما تفعل فى كل مرة، فأجاب:" اصطدت سمكة موسى كبيرة لكنها قالت أنها أمير مسحور فرددتها إلى الماء." قالت الزوجة:" ولم تطلب منها أن تحقق لك أية أمنية؟!" قال:" وما عساى أتمنى لنفسى؟!" قالت:" كوخا صغيرا نعيش فيه على سبيل المثال! عد إلى سمكتك الآن وقل لها أن تهبنا عشا أو كوخا صغيرا وستلبى رجاؤك بالتأكيد!" لم يدر الصياد ماذا يفعل، لكنه انساق إلى البحر. لم تكن مياه البحر كما تركها رائقة براقة مثل المرآة، بل عكرة ضرب لونها إلى الاخضرار والاصفرار. سرّح الرجل نظره على الشاطئ وصاح:

سمكة موسى يا أمير

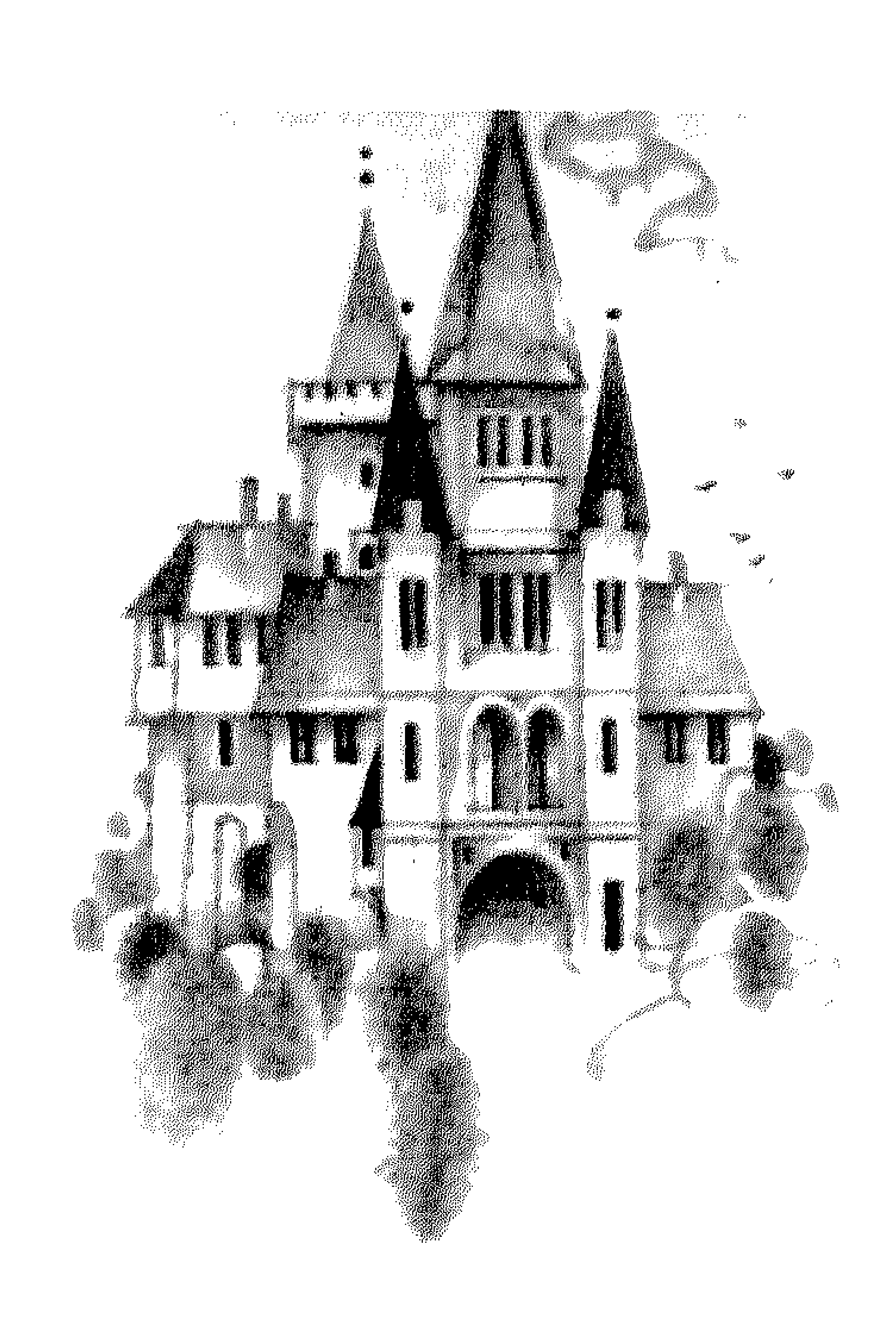
فى البحر أنت لى نصير

حياتى مع زوجى فى سعير
أمرتنى إليزابيل بالمسير
وأنا صياد فقير

أقبلت السمكة تسبح وقالت:" ماذا تريد زوجتك؟" أجاب الصياد:" قلت لزوجتى أننى اصطدتك فقالت علىّ أن أتمنى لنفسى شيئا تحققه لى وهى لا تحتمل العيش فى المرحاض أكثر مما عاشت، وتود لو أهديتنا كوخا صغيرا!" قالت السمكة:" عد لزوجك، ستجدها أمام الكوخ." ذهب الصياد لبيته فوجد المرحاض وقد غدا كوخا صغيرا وزوجته تجلس أمامه فوق أريكة تنتظره. سحبته من يده وساقته للداخل وهى تقول:" هيا بسرعة! انظر! أليس هذا أفضل بكثير؟!" كان فى مدخل الكوخ طرقة صغيرة تقود إلى صالة جميلة وبجوارها غرفة نوم بالأسرة، وخلف الكوخ مخزن من حجرة خشبية فيها كل ما يحتاجه الزوجان من الأدوات والمعدات، وفناء صغير يركض فيه البط والدجاج، وفوق ذلك حديقة صغيرة مزروعة بكل أنواع الخضروات والفاكهة. قالت المرأة:" انظر! أليس هذا رائعا؟!" أجاب الصياد:" بلى! يجب أن يظل الحال هكذا، ولنعش مرفهين." أجابت المرأة:" هذا ما سوف نراه."

انقضى أسبوعان وفى ساعة مبكرة من أول يوم فى الأسبوع الثالث نهضت المرأة من فراشها وقالت لزوجها:" أتدرى؟ إن الكوخ ضيق، والحديقة والفناء كذلك، ألم تستطع سمكتك أن تهبنا بيتا أرحب، لا .. بل إننى فى الواقع أود أن أسكن قصرا ضخما مشيدا من

الأحجار. عد إليها وقل لها أن تهبنا قصرا!" قال الزوج:" يا امرأة ماذا تبتغين بعد! الكوخ يكفينا؟ ولماذا العيش فى قصر؟!" أجابته:" ماذا تقول؟ اذهب الآن وستلبى سمكتك طلبك!" كرب الرجل، إذ لم يكن يريد العودة إلى السمكة وراح يحدث نفسه ويقول:" ليس هذا عدلا"، لكنه انساق فى نهاية المطاف إلى الساحل.



عندما وصل الصياد إلى الشاطئ لم تعد مياه البحر تضرب بلونها إلى الاخضرار والاصفرار بل انقلبت رمادية وصفحتها عكرة بينما ظلت الأمواج.

ساكنة. صاح الصياد:

سمكة موسى يا أمير
فى البحر أنت لى نصير
حياتى مع زوجى فى سعير
أمرتنى إليزابيل بالمسير
وأنا صياد فقير

أقبلت السمكة تسبح وقالت:" ماذا تريد زوجتك؟" أجاب الصياد بكدر:" أن تسكن قصرا ضخما من الأحجار!؟ قالت السمكة:" عد إليها! إنها تقف أمام القصر." ذهب الصياد لبيته وتطلع فوجد زوجته تنتظره على درج قصر ضخم وقد شيد من الأحجار. قادته من يده لتدخله من بوابة القصر إلى قاعة ضخمة بنيت جدرانها من الرخام. فتح الخدم الأبواب ذات الضلفتين على مصراعيها أمامه. كانت الحوائط تتوهج براقة والرسومات والزخارف البديعة فوقها تتلألأ، وذهب الكراسى فى القاعات يبرق وكرسيتال الثريات التى تدلت من الأسقف تلمع. أما أرضيات الغرف والحجرات فقد اكتست بأثمن صنوف السجاد والموائد كادت تنوء بحمل أنواع الأطعمة ومختلف أصناف المأكولات وشتى أنواع النبيذ وأشهى المشروبات. وخلف القصر امتد فناء رحيب فيه

إسطبل وحظيرة، ومبانى عدة متفرقة للعربات، ثم حديقة خلابة ازدهرت فيها أروع الورود. قالت الزوجة:" همم.. أليس هذا جميلا؟!" أجاب الزوج:" بلى! يجب أن يظل الحال هكذا، ولنعش فى القصر سعداء". ردت الزوجة:" هذا ما سوف نراه."

كانت أرض المملكة ترقد أمامها ممتدة عندما نظرت زوجة الصياد صباح اليوم التالى من النافذة تتطلع من قصرها إلى العالم. لكمت زوجها بمرفقها قائلة:" قم! وانظر من الشباك! أليس بوسعنا أن نصبح ملوك هذه البلاد؟! اذهب لسمكتك واطلب منها أن نصبح ملوك البلاد!" أفاق الرجل دهشا يقول:" آخ يا امرأة ولم نصبح ملوكا؟" أجابت:" حسنا، إذا كنت أنت لا ترغب فأنا أريد، هيا عد للسمكة وأبلغها أننى أريد أن أصبح ملكة!" ذهب الرجل وهو يحدث نفسه مكتئبا حزينا:" لا .. ليس هذا عدلا ولن يكون."

وصل الرجل إلى البحر وكان الماء قد غدا ثقيلا وصفحته قد صارت سوداء تماما، يفور جوفه وينفث رائحة جد كريهة. وقف الصياد على الساحل يصيح:

سمكة موسى يا أمير
فى البحر أنت لى نصير
حياتى مع زوجى فى سعير
أمرتنى إليزابيل بالمسير
وأنا صياد فقير

أقبلت السمكة تسبح وقالت:" ماذا تريد زوجتك بعد؟" أجاب الصياد:" أن تصبح ملكة"، ردت السمكة:" عد إليها لقد أصبحت الملكة!" رحل الرجل وعندما بلغ القصر وجده قد صار ضخما عظيما، علت منه الأسوار وارتفع فيه برج شاهق وأمام المدخل المهيب اصطف جنود فى دروع بالهيل والهيلمان، وشمخت من الداخل جدران الرخام النقى وتألقت زخارفها من الذهب وانسدلت الستائر من المخمل وقد تدلت منها الأشرطة والأهداب. عبر الصياد من الأبواب إلى القاعة التى جلست فيها زوجته فوق عرش عال يسطع بالذهب ويتلألأ بالأحجار الكريمة وفوق رأسها تاجا جديدا وبيدها صولجان الحكم ومن حولها كل رجال الدولة والقصر. قال الرجل:" آه يا زوجتى! لقد أصبحت ملكة؟!" أجابت:" نعم! أنا الآن ملكة!" قال:" وكيف هو الحال مع الملوكية؟ الآن ليس هناك ما نتمناه لأنفسنا أكثر من ذلك!" أجابت وهى تتململ فى عرشها وتتمايل بجسمها يمينا ويسارا:" كلا! إن وطأة الملل تشتد علىّ ولم يعد بوسعى الاحتمال، اذهب لسمكتك واطلب منها أن أصبح القيصر!" قال الرجل:" لا يا زوجتى لن أفعل هذا، الملوك كثر لكن القيصر واحد فى البلاد وليس بوسعها جعلك القيصر، لا، لا، لن أقل لها شيئا من هذا القبيل!" صرخت المرأة فى وجهه:" ماذا .. أترفض؟ إننى الملكة وأنت مجرد زوجى ليس إلا ..، اذهب الآن! جعلتنى السمكة ملكة، باستطاعتها إذن أن تجعلنى القيصر، إننى أريد حتما أن أصبح القيصر." غلب الصياد على أمره وانساق للسمكة مرة أخرى لكن خوفا

عظيما واضطرابا كبيرا تملكاه وفكر:" يا لها من وقاحة، سوف تندم السمكة بالتأكيد على صنع الجميل."

وصل الصياد البحر وكان الماء قد امتقع لونه أكثر فصار أسود كالحا وبدت المياه وكأنها تفور وتقلّب جوفها وتخرج ما فيه وتنثر فوق السطح الفقاقيع والرغوات، فزع الصياد وجزع لكنه وقف على الشاطئ يصيح:

سمكة موسى يا أمير
فى البحر أنت لى نصير
حياتى مع زوجى فى سعير
أمرتنى إليزابيل بالمسير
وأنا صياد فقير

قالت السمكة:" ماذا تريد زوجتك بعد؟" قال الصياد:" آخ أيتها السمكة .. إنها تريد أن تصبح القيصر." أجابت السمكة:" عد إليها لقد أصبحت القيصر!" رجع الرجل إلى القصر فوجده كله قد صار من المرمر الناعم مزينا بتماثيل الرخام المنقوشة بالذهب وأمام مدخل القصر جنود يقرعون الأرض بأحذيتهم فى مارش عسكرى هنا وهناك وتدق فرق منها الطبول وتنفخ مجموعات أخرى الأبواق. وقد تجمع داخل القصر كل البارونات والكونتات والدوقات وكأنهم خدم وراحوا يفتحون الأبواب المصبوبة من الذهب النقى من أمامه. دخل الصياد إلى القاعة وكانت زوجته تجلس فوق عرش أعلى من عروش الملوك بكثير. كان عرش القيصر كتلة ضخمة واحدة من الذهب وقد وضعت زوجته

فوق رأسها تاجا طوله ثلاثة أذرع محلى بالماس والياقوت وفى إحدى يديها الصولجان وفى الأخرى رمز حاكم كل ممالك البلاد، وعلى جانبيها اصطف الدوقات والكونتات والأمراء فى صفين متوازيين الأمامى قصير والخلفى طويل.

قال الصياد:" يا امرأة! لقد أصبحت الآن القيصر؟!" أجابت:" نعم! الآن أنا القيصر!" اقترب الرجل منها حتى كاد يلتصق بها وراح يتأملها لحظة ثم قال:" آه يا زوجتى كم هوجميل أن تكونى القيصر!" قالت:" ولماذا تقف وتتطلع إلىّ هكذا، إننى أصبحت القيصر، لكننى أود أن أكون البابا، اذهب إلى سمكتك!" قال الرجل:" لا يا امرأة لن أطلب منها أمرا كهذا، البابا واحد فى كل بلاد المسيحيين ولن تتمكن السمكة من جعلك البابا." قالت الزوجة:" هراء ما تقوله، جعلتنى القيصر، إذن باستطاعتها أيضا أن تجعلنى البابا، اذهب الآن! إننى القيصر وأنت مجرد زوجى!" ارتعد الرجل خوفا وذهب وساقاه ترتجفان به وترعشان كل بدنه منساقا للبحر مرة أخرى.

حطت الغيوم فى هذه الأثناء على البلاد ولفتها الرياح وكان البحر ينفث رغوه وزبده، وعندما وصل الصياد إلى الساحل كانت السماء سوداء، ثقيلة بالسحاب، صاخبة بالرعد وبالبرق. ولاحظ الصياد فى عمق البحر سفينة تتقلب فى الأخطار. ومن بعيد لم تظهر من الأفق سوى بقعة زرقاء صغيرة جدا كانت كل ما تبقى من صفاء السماء. جلس الصياد على الشاطئ مثقل القلب مهموما يصيح:

سمكة موسى يا أمير
فى البحر أنت لى نصير
حياتى مع زوجى فى سعير
أمرتني إليزابيل بالمسير
وأنا صياد فقير

سألت السمكة:" وماذا تريد زوجتك بعد؟" قال الرجل:" آخ .. إنها تريد أن تصبح البابا!" قالت السمكة:" اذهب لقد أصبحت البابا!" عاد الصياد فوجد كنيسة عملاقة مهيبة تحدها قصور من كل جانب وتنيرها من الداخل آلاف وآلاف الشموع. كانت زوجته قد ارتدت ثيابا من ذهب وجلست فوق عرش ارتفع بها أكثر من عرش القيصر ووضعت فوق رأسها ثلاثة تيجان من الذهب واحدا فوق الآخر ومن حولها ازدحم رجال الدين والدولة وكل ملوك وقياصرة العالم والجميع ينحنى ويلثم قدميها. نظر الصياد إلى زوجه مليا وبعد أن تأملها لحظات قال لها:" هل أنت الآن راضية؟" ثم راح يتأملها وكأنه يحدق فى قرص الشمس الساطعة! وفجأة اعتدل ووقف بانتباه وقال لها:" كيف هو الحال فى البابوية؟!" لم تجب زوجته وجلست جهمة متصلبة دون حركة ولا كلمة. قال الصياد:" كونى سعيدة يا زوجتى لقد أصبحت البابا!! الآن ليس بوسعك أن تصبحى أكثر مما أنت!" أجابت الزوجة:" هذا ما سوف نراه!"

رقد الزوجان فى فراشهما وغط الزوج فى سبات عميق لأنه كان قد ركض كثيرا أما هى فلم يترك الجشع لقلبها سلاما ولا لروحها هدوءا. طفقت تفكر فيما يمكن أن تكون بعد ذلك. لم يغف لها جفن وأخذت تتقلب على جنبيها أرقة قلقة. فى هذه الأثناء كان الفجر بدأ يكسو السماء بنور خافت والشمس تهم ترسل أول شعاع. لمحت المرأة خيط النور من النافذة وهى تتطلع إلى الدنيا واعتدلت فى فراشها تهمس لنفسها:" همم .. أفلا أستطيع أنا التحكم فى الشمس والقمر وأمرهما بالظهور والاختفاء؟! " ثم لكمت زوجها فى أضلعه بمرفقها قائلة:" انهض واذهب لسمكتك، إننى أريد أن أمتلك قدرة إلهية؟!" أقشعر بدن الصياد من الفزع وسقط من فوق السرير يفرك عينيه وظن أنه يحلم أو لم يسمع ما قالته وأجابها برعب وجزع:" آخ .. أستغفر الله العلى القدير وأستعين به على الشيطان الرجيم .. يا امرأة .. هل قلت شيئا؟" أجابت:" أقول لك أننى لا أحتمل أن أنظر للشمس والقمر يصعدان قلب السماء ويختفيان منها بينما أجلس هنا لا حول لى ولا قوة ولا أتحكم فيهما!!! اذهب فوراً لسمكتك!" هوى الرجل أمام قدميها قائلا:"آه يا امرأة .. لن تستطيع السمكة ذلك، جعلتك القيصر والبابا، لكن ما تبتغينه الآن ليس بمقدورها، اتوسل إليك أن تستعيدى صوابك وابقى البابا كما أنت! ماذا تريدين بعد؟!"



أخذت المرأة تجأر وتهدر فى وجه زوجها وتقول بصراخ وعويل:" أريد أن أمتلك قدرة إلهية!!" وتملكتها الشرور وراحت تزأر بالكلمات، وتطايرت خصلات شعرها وهى تمزق رداءها وبدت كائنا متوحشا أو روحا ملتاثة، وأخذت تدك زوجها بقدميها ورجليها وتزعق قائلة:" لا، لا .. إننى لا أحتمل، اذهب فى التو!"

ارتدى الصياد سرواله وذهب للبحر وكانت السماء قد امتقعت وأصبحت سوداء داكنة السواد تنذر بالشؤم والبلية والريح تعصف بتوحش وتطيح بالصياد مرارا فوق الأرض، والرعد والبرق يتواصلان

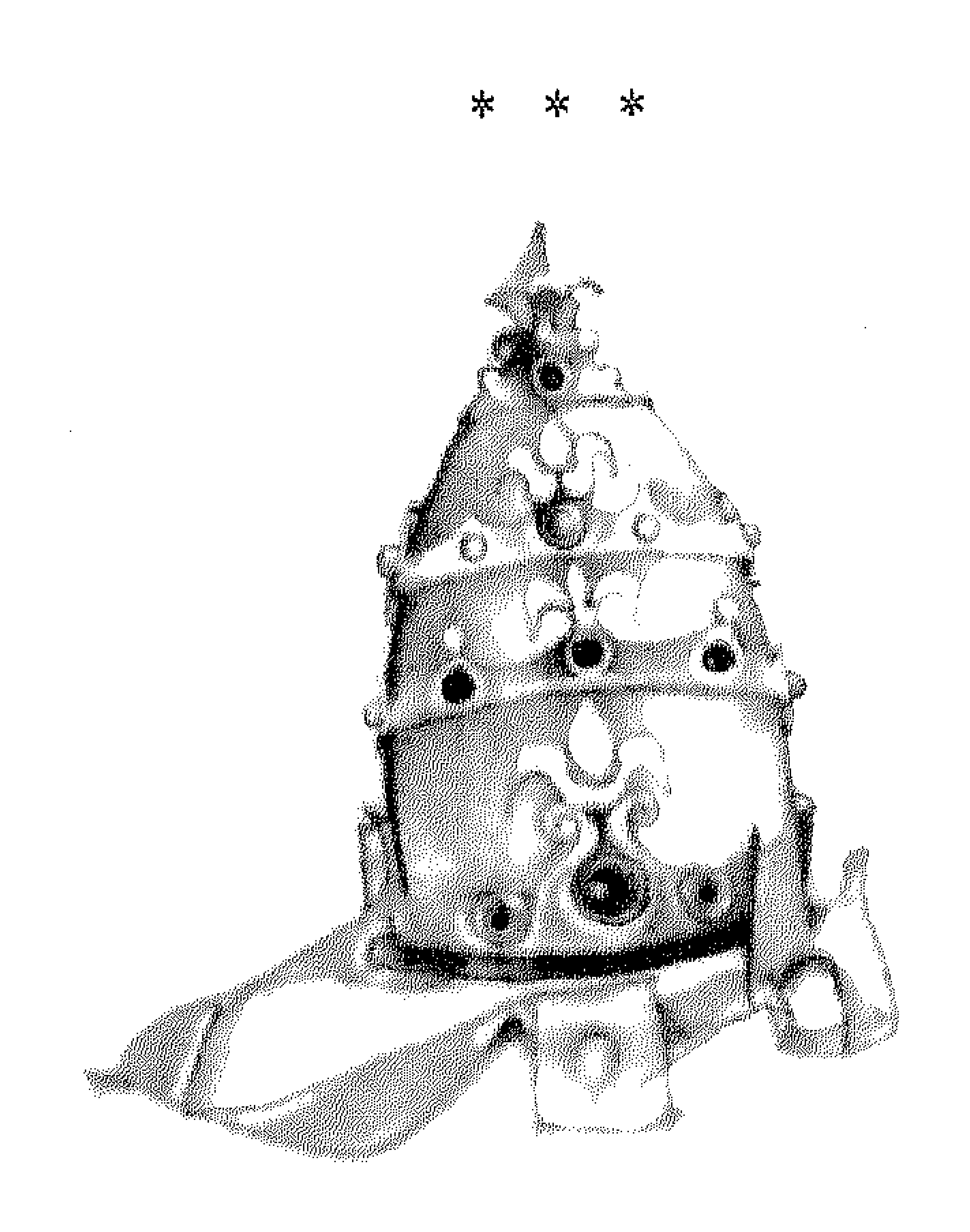
دون هوادة، وأمواج البحر تعلو شاهقة وتبدو أبراج قصور وقلاع تيجان قممها من الزبد والرغو. هتف الصياد بكل ما أوتي من قوة دون أن يسمع صوته شد ما ارتفع صخب الطبيعة:



سـمكة مـوسى يا أمـيـر
فى البحـر أنت لى نصـيـر
حياتى مع زوجى فى سعير
أمـرتنى إليـزابيل بالمسـيـر
وأنا صـيـاد فـقـيـر

قالت السمكة:" ها .. وماذا تريد زوجتك بعد؟" قال الرجل:" آخ .. إنها تريد أن تمتلك قدرة إلهية! استغفر الله!" أجابت السمكة:" عد إليها! لقد عادت لمرحاضها." ومازلت المرأة تعيش فى المرحاض حتى يومنا هذا!!

* * *



كان يا ما كان حدوتة زمان
حكاية يرويها الدهر والمكان
وأخرى يطويها العمر والنسيان
وهذه يحكيها جريم الأخوان

لك هنا والآن:



الخياط الشجاع

SCHNEIDERLEIN



كـــان يا مـــا كـــان
فـــى بـــلاد الألمـــان
ترزى بحـــصـــان
اقـــتــحم الميـدان
فـــرحـــا نشـوان:

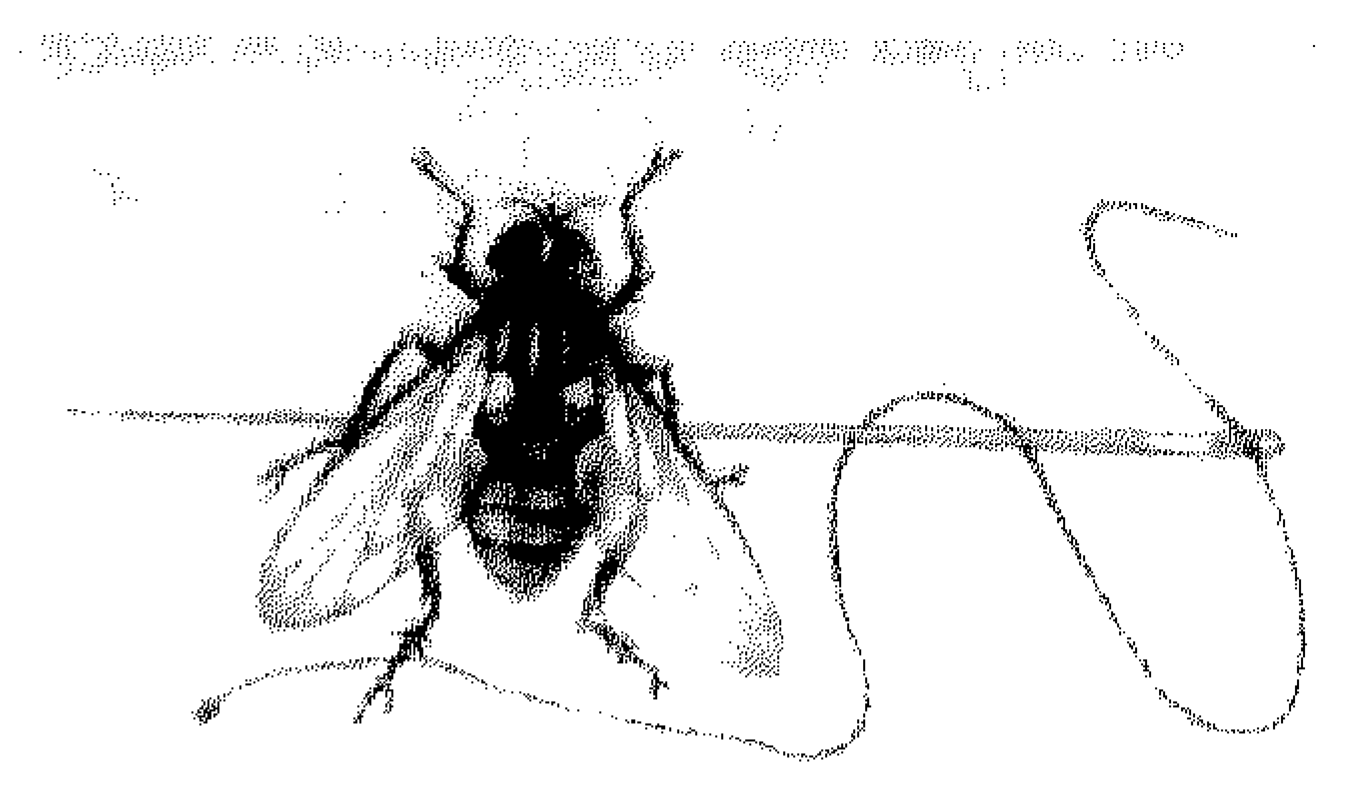
وفى صباح أحد الأيام، فى صيف انقضى من قديم الزمان، جلس خياط قصير نحيف القامة هزيل البنية فى ورشة عمله فوق حافة مائدة قرب النافذة. وكان مبتهجا رائق المزاج، راح يزاول مهنته بحب وحماسة عندما أقدمت فلاحة فى الشارع صوب بيته تصيح:" مربى

الفاكهة للبيع!" سعد الخياط لشراء المربى التى يفضلها وأطل برأسه من النافذة ونادى:" يا امرأة! أقدمى! هنا ستبيعين بضاعتك كلها!" صعدت المرأة الدرجات الثلاث بسلتها الثقيلة واجبرها الخياط على إفراغ كل ما لديها كى ينتقى أفضل ما عندها. فرز الخياط برطمانات المربى واحدا تلو الأخر بدقة وأخذ يفحصها ويرفعها ويشمها بعناية ثم يتأملها وقال فى النهاية:" همم .. تبدو طازجة، زنى لى إذن كفة من الميزان حتى لو بلغت الربع كيلو، فالأمر سيان عندى!" اغتاظت الفلاحة غير أنها لزمت الصمت لتصرف بضاعتها وأعطته ما أراد ومضت حانقة عليه وعلى المربى.

همهم الخياط وهو ممسك بالبرطمان:" همم .. ربنا يجعلها لى صحة وعافية ويبارك لى فيها كاملة!" تناول الخبز ومسح المربى فوقه وأطال النظر إلى الشطيرة برضى وأردف قائلا:" لذيذة بالتأكيد! لكن علىّ أولا أن أنتهى من هذه السترة." وضع كسرة الخبز بالمربى جواره وأخذ السترة ومن فرط سعادته راح يخيط بسرعة ويوسع فى المسافة بين الغرز أكثر فأكثر. فى هذه الأثناء صعدت رائحة المربى إلى الحائط حيث حطت أعداد كبيرة من الذباب وقد اجتذبتها العبق فهجمت على المربى بأفواج ضخمة وأفواج. انتبه الخياط وقال:" آه .. من الذى دعاكم إلى هنا؟" وراح يهش ويطرد الضيوف الثقلاء. غير ان الذباب لم يكن يفهم اللغة الألمانية لذلك ظل مرابطا فوق المربى، بل وعاد فى دفعات أضخم عددا ليهاجم الشطيرة! اعتل مزاج الرجل والتقط منديلا وأخذ يضرب فوقه بعنف، ثم سحب المنديل وراح يحصى عدد القتلى فكانوا

سبعة تتمدد أمامه وتمط أرجلها فى الهواء. حدث الخياط نفسه قائلا:" يا لك من رجل باسل! إن هذه المدينة بأكملها يجب أن تعلم كم أنت جسور شجاع!"

وفى عجلة خاط الترزى لنفسه حزاما وحاك فوقه بالأحرف الكبيرة عبارة:" سبعة بضربة واحدة!" وأخذ يتأمل الرقم ثم همس لنفسه:" أية مدينة! لا بل على العالم كله أن يعرف كم أنت مقدام همام!" ومن الغبطة والفرح كان قلبه يخبط ويضرب فى صدره بسرعة هنا وهناك مثل ذيل الحمل عندما يتراقص فى الهواء. لف الخياط الحزام حول وسطه وقرر أن يخرج للدنيا معتقدا أن الورشة أضيق كثيرا من أن تتسع لكل هذه البسالة! وقبل أن يغادر المكان راح يفتش عما يمكن أخذه ويكون مفيدا له فى الطريق. لم يجد سوى قطعة من الجبن عفا عليها الزمان، دسها فى جيبه وانصرف. وأمام بوابة البيت لمح طائرا حبيسا بين أفرع شجر الدغل فقال له:" ستنضم أنت الآخر إلى قطعة الجبن، قد أحتاج إليك!" حرره من الأغصان وحبسه فى جيبه، وانطلق بعد ذلك فى سبيله بحيوية لا يعتريه التعب لأنه كان خفيفا نشيطا مقداما.



قاده الطريق إلى جبل ضخم. تسلقه وبلغ قمته وهناك وجد عملاقا جبارا جالسا يتطلع من حوله فى هدوء وروية. بحذر لكن بثقة ذهب إليه الخياط يحدثه:" يوما سعيدا يا زميل! أتدرى .. إننى فى طريقى إلى العالم الذى تجلس أنت هنا تتأمله، أو لعلى أحاول أن أشق طريقى إليه فهل تأتى معى؟" رمق العملاق الخياط الهزيل بازدراء شديد وقال:" آه يا من يرثى له! أيها السافل ابن الكلب!" أجاب الخياط:" حسنا .. أتستطيع القراءة؟ لتر إذن من تحدث!" حل أزرار سترته وأظهر حزامه. قرأ العملاق:"سبعة بضربة واحدة"، واعتقد أن الخياط قتل سبعة رجال بضربة واحدة، وبدا عليه شيء من الاحترام للرجل. رغم ذلك فضّل العملاق أن يتحقق من الأمر بنفسه فالتقط حجرين فى راحته الجسيمة وراح يضغطهما حتى نشغ الماء منهما يتقطر! قال العملاق:" الأمر هين كما ترى قلدنى إذن وأرنى قوتك!" أجاب الخياط:" انها لعبة بالنسبة لأمثالنا"، ودس يده فى جيبه وأخرج قطعة الجبن وراح يضغط عليها إلى أن اعتصر كل ما بداخلها ثم قذف بها إلى الهواء وقال:" حسنا يا زميل .. ألم يكن هذا أفضل مما فعلت؟!"

دهش العملاق وكاد لا يصدق ما رأته عيناه فرفع حجرا بيده وقذف به بعيدا فى الفضاء حتى أن العين المجردة عجزت عن تتبعه من سرعته ثم قال:" والآن أقف أثرى يا ذكر البط أنت!" قال الخياط:" الرمية جيدة لكن الحجر رد وسقط فوق الأرض، أما أنا فسأقذف بحجر لن يهوى أبدا." أخرج الرجل العصفور من جيبه وأطلقه إلى السماء، طار العصفور جذلا بحريته وارتفع محلقا ولم يعد. سأل الخياط:" هل

أعجبتك هذه الدفعة؟" أجاب العملاق:" تستطيع الرمى، لكن الآن سنرى إن كنت قادرا على حمل شئ ثقيل." سار العملاق مع الخياط إلى شجرة بلوط جميلة وقال:" لو كنت قويا حقا ساعدنى فى نزع هذه الشجرة من الأرض!" قال الرجيل:" بسرور، ارفع أنت الجذع فوق كتفيك وسأجمع أنا الأفرع والأغصان وأحملها وهى طبعا الأثقل!" اقتلع العملاق الشجرة من جذعها، وقفز الخياط فوق فرع من أفرعها، ولم يستطع العملاق الاستدارة لذا لم يتمكن من رؤيته وهو جالس يمزح فوق الشجرة كما لو كان رفع هذا الحمل الثقيل لهوا أو عبثا بالنسبة إليه، بل وراح يصفر مقطعا من أغنية يقول:

امتطى ثلاثة خياطين الجياد..
وانطلقوا من بوابة الأجداد..

هكذا جر العملاق الشجرة والرجل معا ومضى بضع لحظات ثم ناء بالحمل فتوقف وقال للخياط:" سأترك الشجرة تسقط، أتسمعنى؟" نزل الخياط بحذر وبكلتا يديه ضم أفرع الشجرة كما لو كان يحملها طوال الوقت وأجابه:" عملاق جبار مثلك وتعجز عن حمل شجرة!" مر العملاق والخياط بعد ذلك على شجرة كريز وامسك العملاق بقمتها وقد تدلت من أغصانها أشهى الثمار، وثناها فى قبضتيه وأمر الخياط أن يتناولها ويأكل منها! كان الرجل ضئيل الحجم وأضعف كثيرا من أن يحكم قبضتيه على أفرع الشجرة، وعندما تركها العملاق فى يدىّ الخياط الهزيل طار بها محلقا فى الهواء ثم هوى فوق الأرض دون أن يلحقه أذى. قال العملاق:" ما هذا ؟ ليست لديك إذن القوة الكافية

لتقبض عليها؟" أجاب الرجل:" القوة متوفرة، وهل تتصور أن رجلا أصاب سبعة بضربة واحدة ليس بوسعه القيام بهذا العمل؟ لقد قفزت من فوق الشجرة لأن الصيادين يطلقون النار فى الأدغال، اقفز إلىّ إن استطعت وانظر بنفسك!" وثب العملاق وظل معلقا بين الأفرع المتشابكة وهكذا فاز الخياط الهزيل فى جولة أخرى من المنافسة.



قال العملاق للرجل:" إن كنت بهذه الشجاعة فهيا بنا نصعد إلى أعلى قمة الجبل لنرقد هناك حتى الصباح. صعدا وهناك فوجئ الخياط بعمالقة آخرين كثيرين يلتفون حول نار أضرموها وفى يدى كل واحد منهم حمل مشوى ينهش فيه. تطلع الرجل حوله وتأمل المكان المتسع وتذكر ورشته الضيقة الخانقة وتنفس بعمق وارتياح. أعد العملاق له فراشا وطلب منه أن يستلقي. لكن السرير كان ضخما شأنه شأن العملاق، واكتفى الخياط بركن من أركانه انزوى فيه ونام. وعندما انتصف الليل ظن العملاق أن الرجل يغط فى نوم عميق، فنهض وتناول قضيبا من الحديد وضرب به فوق الفراش ضربا عنيفا وظن أن الرجل بذلك قد هلك. وفى الصباح الباكر ذهب العمالقة إلى الغابة ونسوا الخياط تماما، وإذا به مقبل عليهم بمرح وجرأة. فزعوا منه وتصوروا أنه سيفتك بهم وفروا جميعا يختبئون منه!

واصل الخياط زمنا طويلا تجواله إلى أن ساقته قدماه إلى فناء قصر ملك من الملوك. كان الخياط منهكا من السير وكان العشب نديا فرقد فوقه ونام. لاحظت المارة الرجل الغريب واقترب الناس منه يتأملونه من كل جانب ويقرءون ما كتب فوق الحزام: "سبعة بضربة واحدة". اعتقد الجميع أنه بطل من أبطال الحرب وأخذوا يتساءلون فيما بينهم بحيرة:" ما الذى أتى ببطل الحرب فى وقت السلام إلى هنا؟!" وراحوا ينبئون الملك وينصحونه ألا يترك البطل الذى يقضى على سبعة بضربة واحدة يرحل بأى حال من الأحوال، عله يفيد البلاد إذا اندلعت حرب فى يوم من الأيام. رحب الملك بالنصيحة وبعث له برسول من

القصر يدعو المحارب الهمام للمجيء بعد أن يفيق. ظل رسول الملك واقفا إلى أن مط الخياط أطرافه وفتح عينيه ثم قدم له الدعوة الملكية. أجابه الخياط:" إنما جئت إلى هنا لهذا الهدف تحديدا وعلى اتم الاستعداد الآن لخدمة الملك."

قوبل الرجل بحفاوة واحترام ومنح بيتا خاصا واشعل بذلك غيرة الضباط الآخرين وحرك فى صدورهم الحسد وتمنوا لو رحل عنهم ألف ميل. وكانوا يتباحثون فيمام بينهم قائلين:" ما العمل؟ إذا تشاجرنا معه، ما عسى أن تكون النتيجة، إنه يسقط سبعة بضربة واحدة! ولن يصمد أمثالنا أمامه." ثم كانوا يرددون:" لم نخلق كى نتصدى لرجل مثله يصيب سبعة بضربة واحدة." وشيئا فشيئا ويوما بعد يوم أغتم الملك وجزع خوفا من أن يفقد كل رجاله من الضباط وتمنى هو الآخر لو لم ير هذا البطل ولو أنه تخلص منه بطريقة من الطرق، لكنه كان يخشى انتقامه الذى قد يفضى إلى الفتك وتقتيل كل الناس ثم اعتلاء عرشه والاستيلاء على البلاد. فكر الملك طويلا واستشار المستشارين وخلص أخيرا إلى حيلة ماكرة.

أرسل الملك إلى الخياط برسول من القصر يقول له أن الملك يقدم له عرضا: فى إحدى غابات المملكة يعيش عملاقان قاما بالقتل والنهب وأضرما الحرائق وتسببا فى أضرار كبرى ولا يجرؤ أحد على الاقتراب منهما دون المخاطرة بحياته، فإذا هو قتلهما بوصفه بطلا عظيما من أبطال الحرب فسوف يزوّجه ابنته الوحيدة ويملّكه نصف البلاد هدية الزواج، ولمساعدته فى القيام بهذه المهمة فقد خصص له الملك مائة من

أفضل الفرسان ليعينوه على قتل العملاقين. فكر الخياط:" إنها مهمة لأمثالي من الرجال وعرض كهذا لن يقدم لي كل يوم، ابنة الملك جميلة و.. نصف المملكة ! يا له من سخاء!!" ثم أجاب رسول الملك:" حسنا .. سآتي الملك بالعملاقين مقيدين ولست بحاجة للمائة فارس، من يصيب سبعة بضربة واحدة لا يهاب اثنين."

اعتلى الخياط جواده ومن ورائه المائة فارس. وعند حافة الغابة التي يسكنها العملاقان قال الخياط لمرافقيه:" أبقوا أنتم هنا، أريد وحدي إنهاء المهمة مع العملاقين!" ثم ركض إلى جوف الغابة وتطلع من حوله ونظر يمينا ويسارا، وبعد لحظات لمح العملاقين. كانا نائمين تحت شجرة يخنفران بشخير عال حتى أن الأفرع والأغصان كانت تميل إلى الأرض من ناحية وتضطرب في الهواء نم الناحية الاخرى. راح الخياط بخفة وسرعة يملأ جيوبه بالحجارة، وتسلق الشجرة إلى أن توسطها تماما وأصبح فوق العملاقين مباشرة ثم أخذ يقذف صدر أحدهما بحجر تلو الآخر. ظل العملاق نائما لا يشعر بشيء لكنه في النهاية تنبه ولكم الآخر قائلا:" لماذا تضربني؟!" أجاب زميله:" أنت تحلم، أنا لم أضربك." وراحا يغطان في النوم مرة أخرى. استأنف الخياط عمله وألقى بالحجارة هذه المرة فوق العملاق الثاني الذي صاح مغتاظا وسأل زميله:" ما هذا، لماذا تقذفني بالحجارة؟" أجاب الأول:" لم اقذفك بأية حجارة!" ومرة ثانية أخلد العملاقان إلى النوم. وبدأ الخياط لعبته للمرة الثالثة وفتش عن أكبر حجر في جيبه وصوبه إلى صدر العملاق الأول بكل ما أوتي من قوة فنهض العملاق يصرخ:" يا لك من شرير وقح!" ثم

قفز من رقاده كالمتات يدفع زميله بعنف إلى الشجرة فارتعشت أوصال العملاق الثانى من وطأة الركلة وجن جنونه ورد عليه بالمثل. حميت المشاجرة واشتد معها غضب العملاقين حتى انتزاعا شجرة من جذورها وراحا يضربان بها بعضهما البعض إلى أن هلكا.

سقط العملاقان قتيلين فوق العشب، وهبط الخياط محدثا نفسه:" آه .. إنه حسن الحظ وحده الذى جعلهما لا ينتزعان الشجرة التى كنت أجلس فوقها وإلا لتحتم عليّ القفز مثل السنجاب لشجرة أخرى، لكن .. من يقتل عملاقين سوى أمثالى أنا من المهرة؟!" سحب الخياط سيفه وأغمده فى صدرى العملاقين عدة مرات وأصابهما بجروح عميقة وركض بجواده للفرسان المائة ينبئهم:" أن المهمة قد أنجزت، وأن العملاقين قتلا بعد معركة حامية الوطيس حتى أنهما انتزعا شجرة للدفا ع عن نفسيهما فى التصدى لى، غير أن ذلك كله لم يفدهم شيئا عندما يعقد رجل من أمثالى يصيب سبعة بضربة واحدة العزم على الفتك بهما!" انبهر الفرسان وتبلدوا من المفاجأة وسألوا:" وأنت؟ ألم تصب بأى أذى؟!" أجاب الخياط:" لم تمس شعرة فى مفرقى." لم يصدق الفرسان ما رواه الرجل، وراحوا بأنفسهم يتفقدون ساحة المعركة: وجدوا العملاقين يسبحان فى دمائهما ومن حولهما أغصان الشجرة وأوراقها قد تناثرت فى كل جانب.

طالب الخياط الملك بالمكافأة، وندم الملك أشد الندم وفكر من جديد كيف يتخلص من بطل الحرب الهمام الذى ابتلى به؟! واستدعاه إلى قصره مجددا وقال له:" عليك قبل أن تتزوج ابنتى وتحصل على

نصف مملكتى أن تسجل عملا بطوليا آخر: فى غابة من غابات البلاد يعيش وحيد القرن ، وهو غول مريع تسبب فى أضرار كبرى ويجب اصطياده!" أجاب الخياط:" وحيد القرن هذا أخشاه أقل مما خشيت العملاقين، أنا الرجل الذى أصاب سبعة بضربة واحدة."

توجه الخياط إلى الغابة ولم يتسلح سوى ببلطة وحبل. وهذه المرة أيضا ترك الفرسان المائة عند بداية الطريق ينتظرون، وراح هو يجوس فى عمق الغابة. وسرعان ما تقدم وحيد القرن إليه يقفز عليه ويهاجمه ويتهيأ لافتراسه. قال له الخياط:" رويدا .. رويدا، ليس بهذه العجلة تتم الأمور! وظل واقفا أمام شجرة إلى أن كاد وحيد القرن يصل إليه راكضا ومصوبا قرنه إلى الرجل، وقبل أن يصيبه بوهلة واحدة قفز الخياط بخفة فنطح الوحش الشجرة وغاص بقرنه فى جذعها وظل مسمّرا لا يقدر على الحركة. نظر إليه الخياط وقال:" وقع العصفور فى المصيدة!" ثم لف الحبل حول عنقه وحرر قرنه من الشجرة بالبلطة وساقه للملك. لم يرغب الملك فى مكافأة الخياط بما وعد، وأوكل إليه مهمة ثالثة.



والثالثة هي من المرات
فيها ضرات أو مسرات
فإما الحياة وإما الممات
هكذا عاد الترزى للغابات:

وكان عليه في هذه المرة اصطياد خنزير برى دمر الغابة وهشم ما بها. قبل الرجل المهمة قائلا:" بسرور، هذا عبث أطفال"، لكنه لم يصطحب مجموعة الصيادين التى أرسلها معه الملك، وابتهج لذلك الصيادون الذين لم ينسوا كيف استقبلهم الخنزير البرى من قبل، وكيف باءت محاولاتهم اصطياده بالفشل. وفى الغابة عندما رأى الخنزير المتوحش الرجل النحيف هرول صوبه وملء فمه رغوة وفوق أنيابه اللعاب يسيل من شهوة الافتراس. حاول الإطاحة به أرضا لكن الخياط لم يمكّنه من ذلك، وركض الى كنيسة قريبة والخنزير من وراءه. دخل الخياط الكنيسة فى التو ثم عاد وقفز من نافذة فى أعلاها إلى خارجها وهبط خلفها والتف بسرعة حولها حتى بلغ بوابتها الأمامية وأغلقها بالمزلاج فظل الخنزير محبوسا داخلها. عاد الخياط ينبئ الصيادين ويدعوهم لرؤية الضحية الحبيسة بأعينهم. هكذا ذهب البطل إلى الملك الذى كان عليه فى هذه المرة الوفاء بالعهد، أراد أو لم يرد. ولو علم الملك بأن الرجل الذى أمامه لم يكن سوى ترزى بسيط لازداد تقديره له.

أقيمت مراسم احتفالات العرس الملكى فى أبهة وجمال. وعقد قران الخياط على ابنة الملك وأصبح الخياط ملكا ومر بعض الوقت، وفى إحدى الليالى والزوجان فى فراشهما سمعت الملكة زوجها يخرف وهو

نائم ويقول:" ارتق لى هذه السترة أيها الصبى، ورقع لى هذا السروال بسرعة وإلا لكمتك بمرفقى فى اذنيك." أدركت الملكة أن زوجها خياط فقير وأنه ولد فى زقاق بسيط. وفى الصباح قصت على أبيها الملك ما سمعته واشتكت له حالها ورجته أن يخلصها من زوجها البسيط. واسى الملك ابنته قائلا:" اتركى باب غرفة النوم هذه الليلة مفتوحا وسيقف خدمى فى الخارج وعندما ينام زوجك يأتون ويقيدونه ويحملونه إلى سفينة ترحل به بعيدا." وارتضت الملكة هذا الحل.

وشاءت الأقدار أن حامل سلاح الملك الذى وصل الحديث إلى سمعه مصادفة كان وفيا محبا للخياط وأبلغ سيده الملك الشاب بالخطة المدبرة ضده. فقال له الخياط:" إذن سأوصد اليوم الباب بالمزلاج." وفى المساء رقد فى الفراش فى الوقت المعتاد قرب زوجته التى ظنت بعد فترة أنه يغط فى النوم ثم نهضت وفتحت الباب وعادت ترقد بهدوء. كان الخياط قد تصنع النوم وراح يتحدث بصوت واضح جلى ويقول:" ارتق لى هذه السترة أيها الصبى، رقع لى هذا السروال وإلا لكمتك بمرفقى فى اذنيك، لقد أصبت سبعة بضربة واحدة وقتلت عملاقين واصطدت وحيد القرن وخنزيرا بريا متوحشا، فهل أهاب أولئك الواقفين خلف باب غرفتى؟!"

ما أن سمع الحرس ما تفوه به الخياط حتى تملكهم ذعر عظيم وهربوا من الخياط كمن يفر من وحش مفترس يركض وراءه. ومنذ ذلك الحين لم يجرؤ أحد منهم على الاقتراب منه أو منازلته. هكذا أصبح الخياط ملكا وظل ملكا طيلة العمر!

كان يا ما كـان   حـدوتـة زمـان
حكايـة يرويها   الدهـر والمكـان
واخرى يطويها   العمر والنسيان
وهـذه يحكـيها   جـريم الأخـوان
لـك هـنا والآن:



أشن بوتيل
(سندريلا الألمانية)

ASCHENPUTTEL



كـــان يا مـــا كـــان
فـــى بـــلاد الألمـــان
صـــبـــيـــة من الأنام
تقـــيـــبـــة بلا آثام
تـعـــيـش فـى وئـام:

مع أمها وأبيها الثرى وكان اسمها أشن بوتيل(١). مرضت أمها

(١) أشن بوتيل: اسم عصفور فى الحواديت الألمانية، لا يهدأ ولا يركن أبدا إلى الراحة ويقوم بكل الأعمال حتى فى الأوساخ والأوحال. (المترجمة)

وعندما استشعرت اقتراب نهايتها صاحت تنادى ابنتها الصغيرة الوحيدة قرب الفراش ، وقالت لها: " يا طفلتي الحبيبة ابقى عمرك كله تقية نقية كى يكون الله العزيز بقربك دومًا، وأنا سوف أبصرك من السماء وأكون من حولك على الدوام." ثم أسدلت الأم أجفانها وماتت. كانت أشن بوتيل تذهب إلى قبر أمها كل يوم فتجلس قربه وتظل تبكى وتبكى وبقيت كما أمرتها أمها تقية القلب نقية الروح.

وعندما حل فصل الشتاء سحبت الثلوج فوق القبر منديلا أبيض، ثم جاء الربيع فأنارت الشمس المعمورة واخضوضر المنديل مرة أخرى. وكان والد الفتاة قد تزوج من امرأة أخرى لديها ابنتان عشن معها فى نفس البيت، وكن جميلتين فيما بدتن، قبيحتين فيما ضمرتن. وبدأ عهد جديد عسير على الفتاة فى رفقة زوجة الأب وابنتيها. كن يتهكمن عليها ويقلن فيما بينهن:" هل ستظل هذه البلهاء تعيش معنا فى البيت؟ من يأكل عليه أن يخبز، فلتغرب عنا خادمة المطبخ هذه وتخرج من هنا!" وسلبنها أثوابها الجميلة وألبسنها جلبابًا من الخيش وأنعلنها حذاء خشبيا ثقيلا. وكن يسخرن منها ويضحكن ويصحن بتهكم عليها ويقلن: "انظروا إلى هذه الأميرة المغرورة البرّاقة !" ولم يكتفين بكل ذلك بل وحبسنها فى المطبخ!

كانت أشن بوتيل تنهض مع استفاقة الفجر الاولى وتعمل حتى يحلك الظلام وتقوم بشتى الأعمال المنهكة، تحمل الماء للبيت وتضرم النار فى الفرن وتغسل الثياب وتطهو الطعام. وكانت أختاها تبتدعان لها اصنافا من الحيل والمكائد لتكدرن عليها حياتها. وكن يفرغن لها

حبات البازلاء وحبوب العدس فى التراب كى تعود لتلتقطها من الأوساخ فيوسعنها بذلك مشقة وجهدا. وفى المساء بعد جهد اليوم وعناءه ترقد أشن بوتيل للنوم فى المطبخ بجوار الدواجن وفوق التراب. لذلك كانت الفتاة تبدو معفرة متسخة فأطلقوا عليها لقب "أشن بوتيل".

وفى يوم من الأيام أعد الأب العدة ليرحل إلى سوق إحدى المدن الكبرى، وسأل بنتى زوجته عما يردن من السوق ليشتريه لهن. قالت ابنة الزوجة الأولى:" أريد أثوابا جميلة"، وأجابت الثانية:" أبغى لؤلؤا وأحجارا كريمة." ثم سأل ابنته:" وأنت يا أشن بوتيل؟" قالت:" اقطف لى يا أبى أول غصين يلمس قبعتك وأنت فى طريقك إلينا!"

سافر الأب وابتاع لابنتى زوجته الأثواب البديعة واللؤلؤ والأحجار الكريمة وعندما كان يعتلى صهوة جواده فى طريق العودة عبر غابة من الغابات حف فيها غصن رقيق طرف قبعته ودفعها فمالت فوق رأسه، كسره وحمله معه لأشن بوتيل. شكرت الفتاة أباها ووصلت إلى مثوى أمها وزرعت الغصين فوق القبر. وهناك انتحبت بمرارة وتساقطت عبراتها فوق الغصين فروته. وسرعان ما اشتد عود الغصين ونما وأصبح شجيرة خلاّبة. اعتادت أشن بوتيل الذهاب إلى قبر أمها ثلاث مرات فى كل يوم، تبكى فى كل مرة وتروى الشجيرة بدموعها، ثم لاحظت الفتاة أن طائرا أبيض يحط فى كل مرة فوق الشجرة مع مقدمها، وعندما كانت تتمنى شيئا، أى شىء، كان الطائر يقذف لها بما أرادت من أعلى الشجر.

وفى يوم من الأيام أعلن ملك البلاد عن قيام حفل مهيب يتواصل ثلاثة أيام تحضره كل الصبايا الحسناوات والبنات الجميلات فى المملكة كى يختار ابنه الأمير عروسه من بينهن. وعندما وصل النبأ أختيها بنتى زوجة الأب وعلمن بأنهن سيذهبن إلى حفل الأمير، فرحن وابتهجن وأمرن أشن بوتيل:" صففى لنا شعورنا ونظفى أحذيتنا وشدى أربطتها جيدا، اليوم سنذهب لحفل الأمير فى قصرِ الملك." بكت أشن بوتيل وهى تتوسل لزوجة أبيها وتطلب منها الذهاب معهن. قالت المرأة:" أتريدين الذهاب لحفل الأمير بترابك ووسخك يا أشن بوتيل؟!" لكن الفتاة لم تتوقف عن الإلحاح والرجاء، فأجابتها زوجة أبيها:" حسنا .. إليك إذن سطل العدس هذا، لقد أفرغته لك فى الحصى والأتربة، عليك أن تنظفيه فى ساعتين، إذا فعلت سأسمح لك بالذهاب معنا!"

خرجت الفتاة من باب البيت الخلفى إلى الحديقة تترنم:

اسجع يا حمام
اهدل يا يمام
يا طيور الغمام
العدس فى الرغام
ساعدونى على اللئام
الحصى فى الأكمام
والحب فى أمان!

حطت حمامتان بيضاوان فوق نافذة المطبخ، وبعدهما حل الحمام الهادل فاليمام الهادر ثم رفرفت بقية طيور المدى أفواجا وأسرابا

ومرقت إلى المطبخ. هبط الحمام فى البداية فوق العدس يلتقط حباته وينظفه من الحصى ويهدر قائلا:

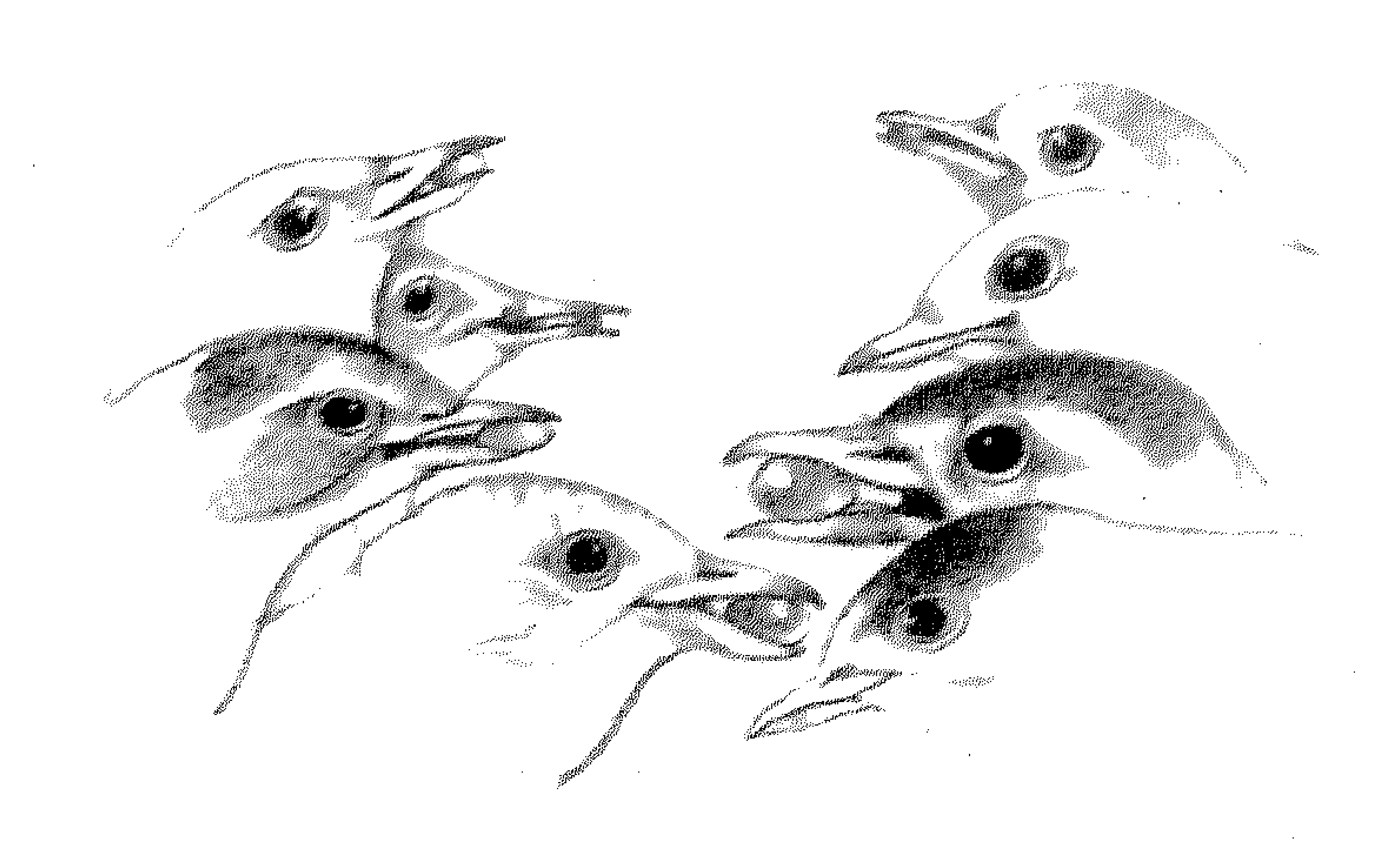
بيك .. بيك

تيك .. تيك

ثم تبتعه بقية الطيور تردد وراءه:

بيك .. بيك

تيك .. تيك



لم تنقض ساعة واحدة حتى انهت الطيور المهمة وعادت تحلق بعيدا فى الفضاء. رفعت أشن بوتيل سطل العدس النظيف وذهبت لزوجة أبيها تظن أنها ستأذن لها بالذهاب لحفل الأمير. غير أن المرأة قالت: " كلا يا أشن بويتل! إنك لا تجيدين الرقص وليس لديك ثياب ملائمة وسوف يسخرون منك." وعندما بكت الفتاة أجابتها زوجة الأب: "حسنا .. إذا استطعت تنظيف سطلين آخرين من العدس خلال ساعة واحدة فسأسمح لك بالذهاب معنا!" وظنت المرأة أن الصبية لن تتمكن بحال من إنجاز ما أوكلته إليها، وأفرغت سطلى العدس فى التراب وبين الحصى. خرجت أشن بوتيل من باب البيت الخلفى إلى الحديقة وصاحت تقول:

اسجع يا حمام
اهدل يا يمام
يا طيور الغمام
العدس فى الرغام
ساعدونى على اللئام
الحصى فى الأكمام
والحب فى أمان!

حط طائران بيضاوان فوق نافذة المطبخ وبعدهما حلق الحمام الهادل فاليمام الو[illegible] ثم رفرفت طيور السماء أفواجا وأسرابا، وفى البداية انثنى الحمام برؤوسه فوق العدس يلتقط حباته وينظفه من الأتربة والحصى ويهدر بصوت حبيب قائلا:

بـــيـــك .. بـــيـــك
تـــيـــك .. تـــيـــك

ثم تبعته بقية الطيور تردد وراءه:

بـــيـــك .. بـــيـــك
تـــيـــك .. تـــيـــك

لم تمر نصف الساعة حتى انهت الطيور المهمة وانطلقت من النافذة تحلق بعيدا فى الفضاء. ابتهجت الفتاة وحملت السطلين إلى زوجة الأب وهى تعتقد أنها ستسمح لها بالذهاب لحفل الأمير، لكن المرأة قالت:" لن يفيدك كل هذا بشىء، لن تأتى، لانك لا تجيدين الرقص وليس لديك ثياب ملائمة، وسنخجل من أمثالك." ثم أدارت وجهها للفتاة وانصرفت مع ابنتيها فى عجلة.



خلا البيت إلا من أشن بوتيل، فسارت الفتاة حتى قبر أمها وجلست تحت شجرة البندق تتمنى وتتغنى:

شجيرة الأشجار
أنا فى انكسار
فاهتزى بافتخار
وانهمرى انهمار
ذهبًا فوقى وقار
وبالفضة أمطار!

رداءً من ذهب ولباسًا من فضة وحذاء موشى بالحرير والفضة ألقى بها الطائر للفتاة من فوق الشجرة. راحت أشن بوتيل تبدل ثيابها وأسرعت إلى حفل الأمير. وفى الحفل لم تتعرف عليها زوجة أبيها ولا ابنتاها وظنن أنها ابنة ملك من الملوك لأنها كانت بديعة الحسن خلابة الجمال، ولم يخطر على بالهن أنها أشن بوتيل المتربة التى تنتظر فى البيت جالسة وسط الأوساخ تلقط العدس من الحصى. أقبل الأمير عليها وسحبها من يدها وطلب منها الرقص معه ولم يخفض عنها طرفه ولم يرغب فى مراقصة أية فتاة أخرى .. وعندما كان يتقدم أى رجل آخر ليدعوها للرقص معه كان الأمير يجيبه:" كلا! إنها ترقص معى أنا فقط." وظلا يرقصان طوال الوقت حتى هبط المساء. وهمت أشن بوتيل بالرحيل فقال لها الأمير:"سأسطحبك وأذهب معك"، لأن الامير أراد التعرف إلى منزل الفتاة وأسرتها. أفلتت أشن بوتيل منه وقفزت إلى

برج حمام كان على مقربة من المكان. انتظر الأمير حتى وصل الأب وأخبره بأن الفتاة الجميلة الغريبة قفزت إلى البرج. تساءل العجوز:" هل هى أشن بوتيل؟" جاءوا له بفأس فلق به البرج شطرين لكنهم لم يجدوا داخله أية فتاة. وعندما وصلت زوجة الأب وابنتاها إلى المنزل وجدن البنت جالسة فى ملابسها الرثة المتربة ومصباح الزيت مشتعل فى خفوت بمدخنة الدار، لأن أشن بوتيل كانت قد ركضت من خلف البرج إلى شجرة البندق ونزعت ثيابها الخلابة والتقطها العصفور من فوق القبر، ثم ارتدت مريلتها وجلست فى المطبخ.

وفى ثانى أيام الحفل ذهب الأب وزوجته وابنتاها، وهرولت أشن بوتيل إثرهم إلى شجرة البندق مرة أخرى تردد:

شجيرة الأشجار
أنا فى انكسار
فاهتزى بافتخار
وانهمرى انهمار
ذهبا فوقى وقار
وبالفضة أمطار!

ألقى الطائر للفتاة بلباس أروع جمالا من سابقه، وعندما ظهرت فى الحفل بهرت الجميع بحسنها، أما الأمير فقد كان فى انتظارها وساقها إلى القاعة. وعندما كان آخرون يتقدمون ليدعونها للرقص كان الأمير يجيبهم:" كلا! إنها ترقص معى أنا فقط." وظلا يرقصان طوال

الوقت. وفى المساء أرادت أشن بوتيل الرحيل، فتسلل الأمير وراءها ليرى إلى أين تذهب ويتعرف إلى بيتها وأسرتها. لكن أشن بوتيل قفزت إلى حديقة خلف المنزل بسقت بها شجرة ومنها تدلت أجمل حبات الكمثرى. تسلقت الفتاة الشجرة بخفة السنجاب واختفت. ولم يدر الأمير أين تبخرت الصبية الجميلة الغريبة وانتظر حتى مجىء الأب واخبره بما جرى قائلا:" لا أدرى كيف أفلتت منى الفتاة الغريبة لكنى اعتقد أنها قفزت فوق شجرة الكمثرى." فكر العجوز:" هل هى أشن بوتيل؟" وطلب من خدمه الفأس وشق بها الشجرة نصفين لكن أحدا لم يكن فوقها.

عاد الجميع إلى البيت وكانت أشن بوتيل ترقد فوق التراب، لأنها كانت قد وثبت من فوق شجرة الكمثرى وركضت إلى شجرة البندق وأعادت للطائر الثياب البهية وارتدت الرداء الرث وذهبت مسرعة إلى البيت ولم يلحظ أحد شيئا.

فى اليوم الثالث والأخير بعد أن رحل الأب وزوجته وابنتاها إلى حفل الأمير سارت الفتاة إلى قبر أمها وحدثت الشجرة قائلة:

شجيرة الأشجار
أنا فى انكسار
فاهتزى بافتخار
وانهمرى انهمار
ذهبا فوقى وقار
وبالفضة أمطار!

أسقط الطائر لها من قمة الشجرة فستانا بديعا برّاقا أبهى مما كان، أما الحذاء فكان هذه المرة من الذهب النقى. وفى الحفل بهرت أشن بوتيل الجميع حتى أنهم لم يدروا ماذا يقولون. رقص الأمير معها دون غيرها من الفتيات، وعندما كان الرجال الآخرون يتقدمون ويدعونها للرقص كان يجيبهم:" كلا! إنها ترقص معى أنا فقط." وظلا يرقصان حتى المساء، وأرادت أشن بوتيل العودة فطلب الأمير منها أن يرافقها فى الطريق لكنها قفزت تركض ولم يتمكن الأمير من اللحاق بها. غير أن الأمير هذه المرة كان قد دبر حيلة وأمر خدمه بدهان سلم القصر بالقار، ولما وثبت أشن بوتيل امسكت فردة حذائها اليسرى فى القار وظلت ملتصقة بدرجة من درجات السلم. كان الحذاء دقيقا رقيقا مصنوعا من الذهب، انتزعه الأمير واحتفظ به.

فى صباح اليوم التالى مضى الأمير ومعه الحذاء إلى الأب وقال له:" لن أتزوج إلا من صاحبة هذا الحذاء." وعلمت الأختان بما جرى وسعدن لأن أقدامهن كانت جميلة. أخذت الكبرى الحذاء تجربه فى إحدى غرف البيت، لكن خنصرها كان كبيرا. ناولتها الأم سكينا وقالت لها:" ابترى خنصرك! إذا أصبحت ملكة لن تسيرى أبدا على قدميك." بترت الفتاة خنصرها ودست قدمها فى الحذاء متحملة الآلام ومضت للأمير الذى رفعها فوق فرسه وانطلق بها يظن أنها عروسه. وفى الطريق مرا على شجرة البندق وكانت فوقها حمامتان طفقتا تهدلان:

انظر انظر يا أمـــيـــر!

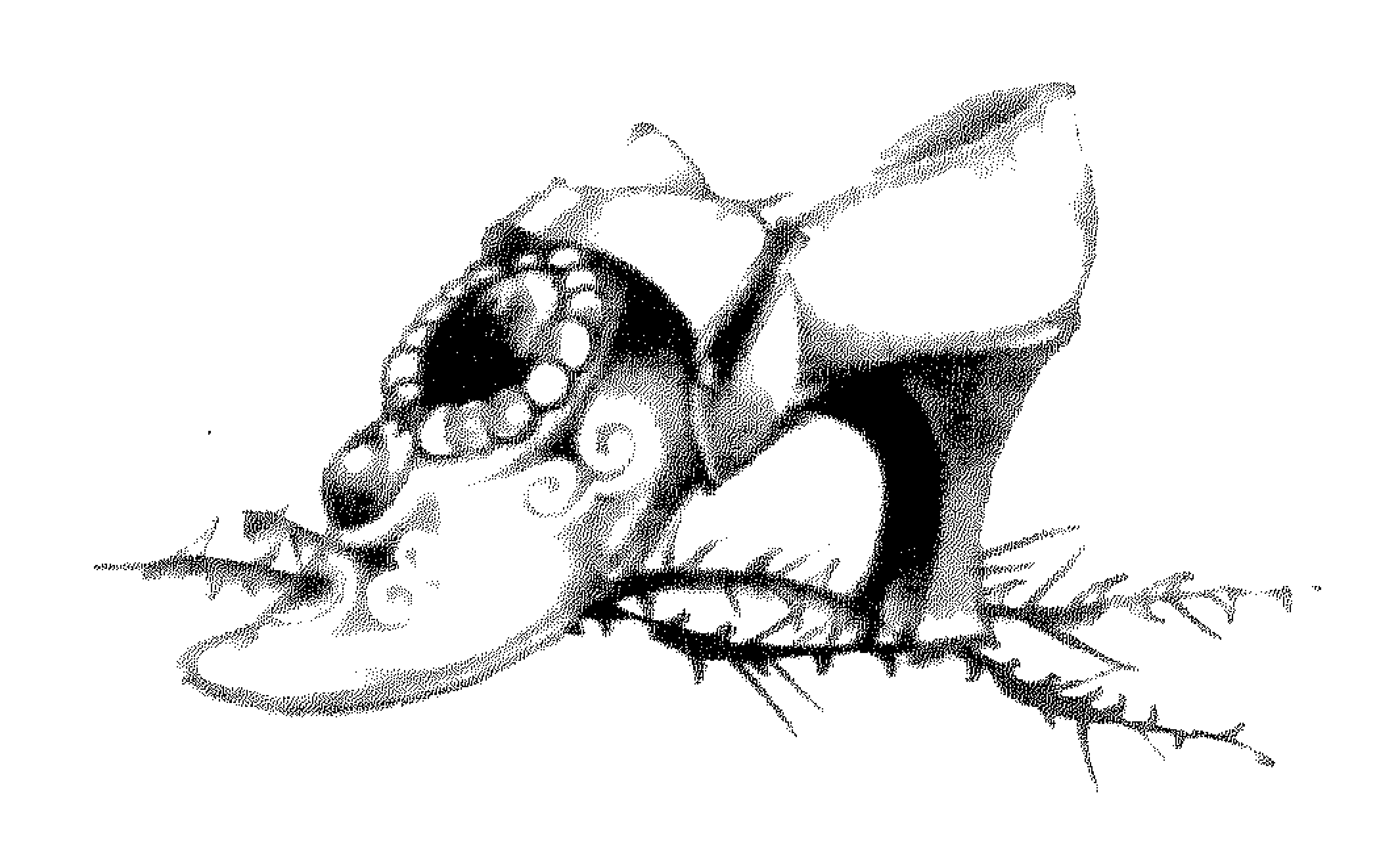
الحـذاء عليـهـا صـغـيـر
والدم فـيـه كـثـيـر،
اركض هيـا للمـسـيـر!
عـروسك قلبـهـا منيـر
بالبـيت مـا لهـا نظيـر.

سمع الأمير الحمامتين ونظر إلى قدم الفتاة فأبصر الدماء تسيل وتتدفق من الحذاء. استدار على الفور بفرسه وعاد إلى بيت الأب وقال له:" إنها ليست عروسى!" جاءت الأخت الصغرى واختفت بالحذاء تجربه فى إحدى الغرف. انزلق قدمها فى البداية داخل الحذاء، لكن كعبها الجسيم تعثر به. ناولتها الأم سكينا وقالت لها:" إقطعى جزء من الكعب! إذا أصبحت ملكة لن تسيرى أبدا على رجليك." فعلت الفتاة وكظمت الآلام وذهبت للأمير الذى رفعها فوق ظهر جواده وانطلق بها. وفى طريقهما مرا على شجرة البندق وكانت الحمامتان فوقها وطفقتا تهدلان:

انظر انظر يا أمـيـر!
الحـذاء عليـهـا صـغـيـر
والدم فـيـه كـثـيـر
اركض هيـا للمـسـيـر!
عـروسك قلبـهـا منيـر
بالبـيت مـا لهـا نظيـر.

سمع الأمير الحمامتين ونظر إلى قدم الفتاة فأبصر الدماء تسيل وتتدفق فوق جوربها الأبيض. استدار على الفور بفرسه وعاد إلى بيت الأب وقال:" إنها ليست عروسى! فهل لديكم ابنة أخرى؟" أجاب الأب: "ابنة زوجتى الأولى، لكن أشن بوتيل صغيرة ومتربة ولا يمكن أن تكون العروس التى تقصدها." قال الأمير:" أحضرها إلى هنا!" قاطعته الزوجة قائلة:" لا يمكن! إنها قذرة للغاية ولا يليق بنا أن تراها." غير أن الأمير أصر على لقائها. غسلت أشن بوتيل وجهها ويداها وذهبت للأمير وانحنت أمامه ثم جلست تنزع الحذاء الخشبى وتجرب الذهبى. بدت فردة الحذاء وكأنها قد صنعت لقدمها. نهضت أشن بوتيل به ورفعت وجهها صوب الأمير، فلما رآها تعرف عليها، نعم .. إنها هى نفس الصبية البديعة التى رقص معها فى الحفل! صاح الأمير فرحا:" هى .. إنها عروسى!" فزعت زوجة الأب وجزعت ابنتاها وغضبن واكفهرت وجوههن حتى أصبحت سوداء. أما الأمير فقد ابتهج بهجة عظيمة ورفع أشن بوتيل فوق ظهر جواده وانطلق بها. وفى الطريق مرا بشجرة البندق وفوقها كانت الحمامتان تجلسان وطفقتا تهدلان:

انظر انظر يا أمير!
الحذاء متلألئ منير
لا صغير ولا كبير
زوجك ما لها نظير
وأنت فى الحب خبير
فانقلها الى دارك عبير!



بعد أن تغنت الحمامتان حلقتا وحطتا فوق أكتاف أشن بوتيل، واحدة على الكتف الأيمن والأخرى على الكتف الأيسر وظلتا جالستين مثلا ملاكين مـ ملائكة السماء.

فى يوم العرس اندست الأختان الشريرتان إلى الحفل، علهن، هكذا ظنن، يفزن من الحظ بقسط. وذهب الجمع والضيف للكنيسة لعقد القران. سارت الأخت الكبرى يمين العروس والصغرى شمالها. وفجأة ظهرت الحمامتان فى الفضاء، وإذا بالأولى تهبط وتخرق عينى الأخت الكبرى، وبالثانية تهوى وتنزع عينى الأخت الصغرى. هكذا عشن بقية عمرهن ضريرتين بعد أن جازاهن الله عن خبثهن وزيفهن.



* * *

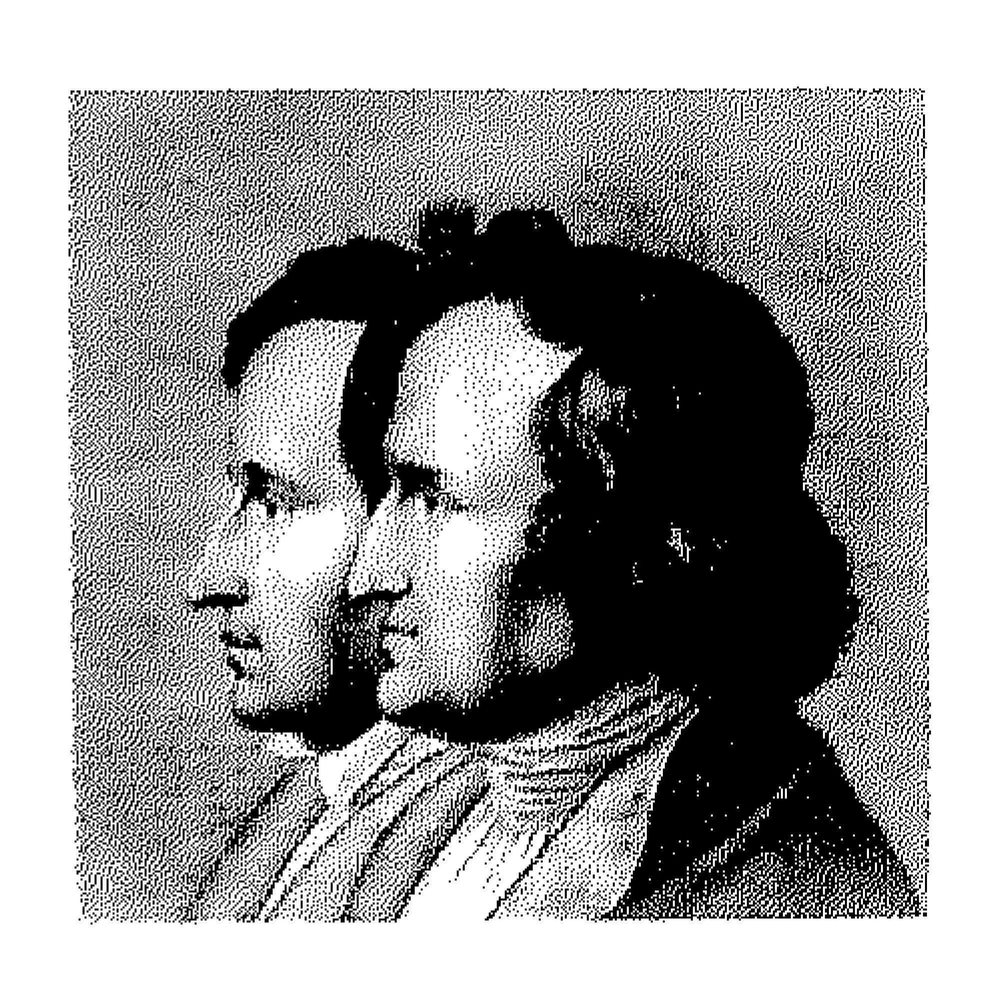
كان يا ما كان حدوتة زمان

حكاية يرويها الدهر والمكان

واخرى يطويها العمر والنسيان

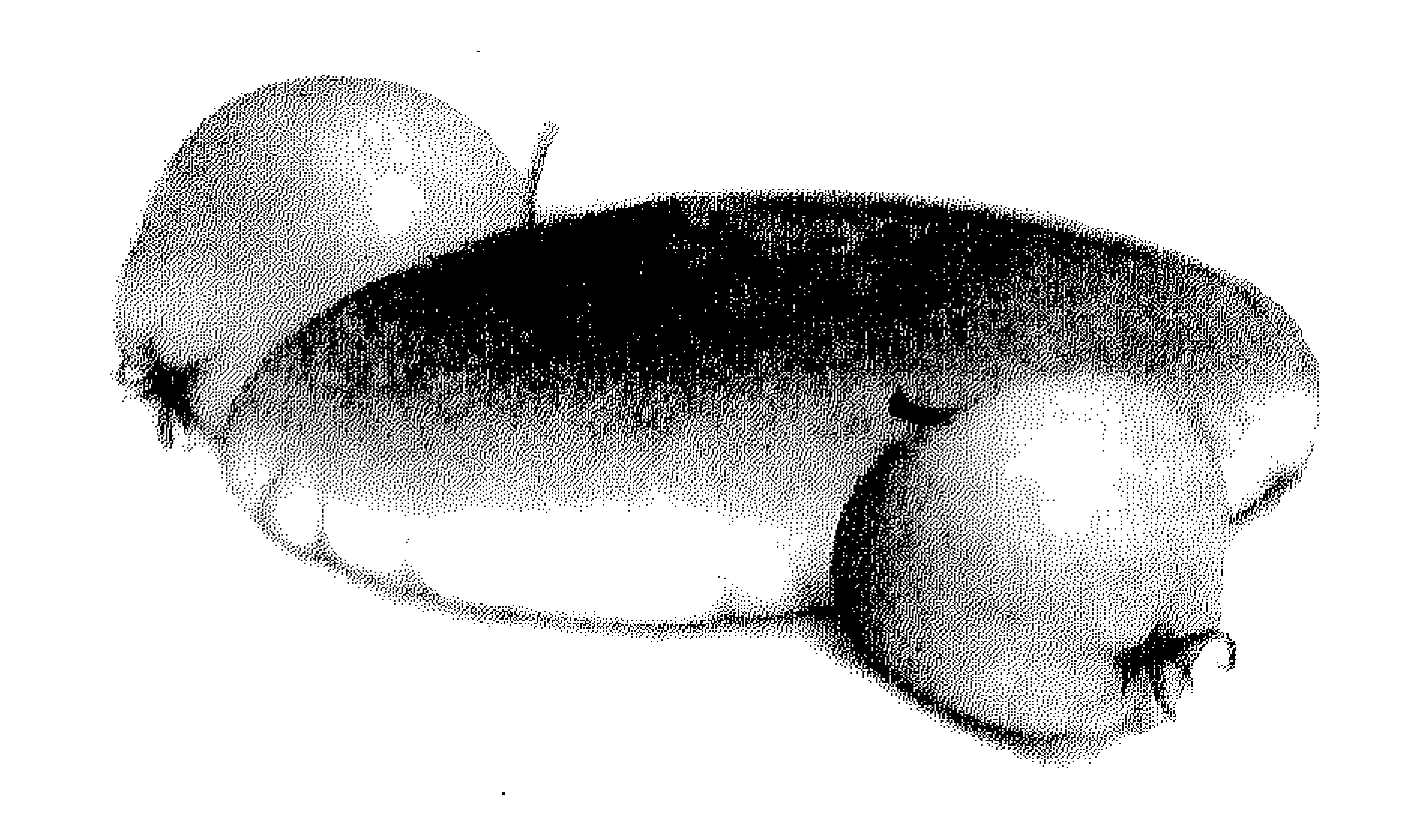
وهـــذه يرويها جـريم الأخـوان

لـك هـنا والآن:



السيدة هولا

FRAU HOLLE



كان يا ما كان
في بلاد الألمان
أختان اثنتان
عشن من زمان
ويروي إنسان:

عن أرملة كان لها بنتان، إحداهما حسناء نشطة، والأخرى قبيحة كسولة. لكن الأرملة كانت تحب الأخيرة؛ لأنها ابنتها بينما كانت الحسناء ابنة الزوجة المتوفية؛ لذا كانت توكل إليها كل مهام البيت

الصعبة والقذرة فتدور الفتاة مثل النحلة التى لا تركن أبدًا للراحة من إشراقة الصباح حتى إظلامة الكون. وكان على الفتاة كذلك الخروج فى كل يوم إلى الشارع العريض، تجلس قرب بئر ماء ولزوجة أبيها تأخذ تغزل وتغزل وتغزل إلى أن تندفع الدماء إلى أطراف أصابعها وتسيل منها بغزارة.

وفى مرة من المرات اصطبغت بكرة الخيط كلها بالدماء. انكفأت الفتاة تشطفها فى الماء، لكن البكرة تدحرجت من يدها وسقطت فى البئر. بكت الصبية حيرى وعادت لزوجة الأب تقص عليها ما حدث من سوء حظ. لعنتها المرأة ووبختها بعنف قائلة:" طالما تركت البكرة تفلت منك، اذهبى إذن وفتشى عنها!" رجعت البنت إلى البئر، ولم تدر ماذا تفعل، ومن فزعها قفزت داخل البئر تبحث عن البكرة فى القاع ففقدت وعيها، وعندما أفاقت وجدت نفسها فوق مرج والأرض من حولها معشبة خضراء والشمس ساطعة وضّاحة تحيط بها آلاف وآلاف الزهور.

نهضت الفتاة وسارت فوق العشب إلى أن مرت بفرن كان مكتظًا بالأرغفة التى طفقت تتحدث إليها قائلة:" أخرجينا! أخرجينا! وإلا سنحترق لقد انخبزنا منذ زمن." اقتربت الفتاة وسحبت الخبز من الفرن رغيفًا تلو الآخر ثم مضت فى سبيلها. بعد فترة قصيرة وجدت فى طريقها شجرة تفاح كانت مثقلة بالثمار. تحدثت الشجرة إليها قائلة:" رجينى! رجينى! لقد نضجنا نحن التفاح، كل التفاح." هزت الصبية الأفرع فانهمر التفاح مثل المطر السحاح واحدة فى إثر الأخرى

إلى أن فرغت الشجرة منه تماماً منه. وبعدما تكوم التفاح كومة واحدة واصلت الفتاة سيرها فوجدت فى النهاية بيتًا صغيراً تطل من داخله امرأة بأسنان ضخمة. فزعت الفتاة من العجوز وأرادت أن تنصرف عنها، غير أن المرأة صاحت تقول:" ممّ تجزعين يا طفلتى الحبيبة؟ ابقى عندى وإذا قمت بكل أعمال البيت على ما يرام ستعيشين حياة رغدة، عليك فقط الاعتناء بفراشى ونفضه جيداً إلى أن يتطاير الريش منه ويتساقط مثلما تهبط ندف الثلج من السماء. أعرفك بنفسى: أنا السيدة هولا ." تشجعت الفتاة بعد أن خاطبتها السيدة بود ووافقت على خدمتها.

كانت الفتاة تنجز كل ما تأمرها به السيدة هولا على أحسن وجه، وكانت تنفض لها الفراش حتى يتطاير الريش مثلما تتساقط ندف الثلج فوق العالم. أما هى فكانت راضية مرضية، ولم تغضبها العجوز بكلمة واحدة تنغص حياتها. وكانت المرأة تطعمها فى كل يوم أصنافًا من المحمر والمشمر حتى التخمة. عاشت الفتاة زمنًا طويلاً لدى العجوز. وفجأة بدأ الحزن يعتريها والأسى يتسرب إلى قلبها شيئًا فشيئًا حتى شقت عليها الحياة، ولم تدر هى نفسها ما بها. وأخيراً فطنت الصبية إلى أن الحنين لأهلها وبيتها هو الذى يعتصر روحها، رغم أن حياتها مع السيدة هولا أفضل من العيش مع زوجة أبيها بألف مرة. وفى النهاية صارحت العجوز قائلة:" إننى أشعر باشتياق مرير لبيتى مع أن البقاء هنا أفضل بكثير، لكننى رغم ذلك لا أستطيع العيش هنا أكثر من

ذلك، وعليّ العودة إلى أسرتي وناسي." أجابتها المرأة:" تعجبني رغبتك في العودة، وسوف أصطحبك بنفسي لأنك عملت بجد وإخلاص".

سحبت العجوز الفتاة من يدها، ومرت بها في الطريق على بوابة كبيرة، عندها أوقفت الصبية تحتها وإذا بضلفتي البوابة تنفتح على مصراعيها، ومطر من الذهب ينهمر فجأة فوق الفتاة ويتساقط ويتساقط عليها! ثم قالت العجوز:" وهذه أيضًا يجب أن تستعيديها فقد كنت مجتهدة." وأعطتها البكرة التي كانت الفسقية قد ابتلعتها.

أغلقت البوابة ضلفتيها ووجدت الفتاة نفسها مرة أخرى في العالم من جديد على مقربة من بيتها! وصلت فناء البيت، وهناك صاح ديك يجلس قرب البئر ويغني لها:

كي كي ريكي

بالذهب فيكي

عدت لأهليكي

تاك تاك تيكي

دخلت إلى زوجة أبيها وهي ترتدي الذهب من قمة رأسها حتى أخمص قدميها فقابلتها المرأة وابنتها بترحيب، وبعدما استمعا إلى قصتها وكيف وهبت هذه الثروة فكرت المرأة في جلب مثلها لابنتها القبيحة الكسولة. بعثت بها الأم إلى البئر فجلست، وبدلاً من أن تغزل حتى تسيل الدماء من أصابعها، وخزت نفسها بأشواك الشجر وصبغت

البكرة بها، ثم ألقت بها إلى الفسقية وقفزت وراءها. وصلت، كما حدث مع أختها، إلى المرج الجميل وقطعت نفس الطريق ومرت قرب الفرن وصاح الخبز عليها قائلا:" أخرجينى! أخرجينى! وإلا سأحترق، لقد انخبزت منذ فترة طويلة." لكن الكسولة أجابته:" لن يروق لى أن أوسخ نفسى؟" وابتعدت عنه. وبعد فترة وجيزة وجدت الفتاة شجرة التفاح تحدثها قائلة:" هزينى! هزينى! لقد نضجنا نحن التفاح .. كل التفاح." قالت البنت:" ها .. لم ينقصنى سواكم أنتم الاخرون، وإذا سقطت واحدة منكن فوق رأسى؟!" ومضت فى سبيلها إلى أن وجدت البيت الصغير ومنه تطل العجوز ذات الأسنان الكبيرة، لكنها لم تجزع لأنها كانت قد عرفتها من أختها وما روته عنها. طلبت المرأة منها أن تخدمها وقبلت الفتاة.

وفى صباح أول يوم نهضت البنت تكره نفسها على العمل وأطاعت السيدة هولا فى كل ما أرادت وهى تفكر فى الذهب والثروة. وفى اليوم التالى بدأ الخمول يعتريها، أما فى اليوم الثالث فلم ترغب حتى فى النهوض من فراشها ولم تعتن بسرير السيدة هولا ولم تنفضه كى يتطاير الريش منه. وسرعان ما حنقت عليها المرأة وطردتها. لم تغضب الفتاة وظنت أن سيل الذهب آت وسوف ينهمر عليها لا محالة. وأخذتها السيدة هولا إلى حيث البوابة، وقفت الفتاة تحتها ولكن بدلا من الذهب سقط فوقها سطل من النحس وسوء الطالع ثم قالت لها السيدة هولا: هذه مكافأة عملك!" ثم أوصدت البوابة.



عادت الصبية إلى بيتها، وكانت من قمة رأسها حتى أخمص قدميها مكسوة بالنحس وسوء الحظ والأوساخ، وعندما مرت على البئر صاح عليها الديك يغني لها:

كـــي كـــي ريـكـــــى

بـالـوسـخ فــــــيـكـــى

عـــــــدت لأهـلـيـكـــى

تـــاك تـــاك تـــيـكـــــى

وظل سوء الحظ يرافقها طيلة حياتها، وماتت كما عاشت تعيسة.

* * *

كان يا ما كان　　حدوتة زمان
حكاية يرويها　　الدهر والمكان
وأخرى يطويها　　العمر والنسيان
وهذه يحكيها　　جريم الأخوان

لك هنا والآن:



سلجم

RAPUNZEL



كـــان يا مـــا كـــان
فـــى بـــلاد الألمـــان
زوجـــان يتـــمنيـــان
أعـــوامًـــا وأعـــوام
طـــفـــلـــةً أو طـــفـــلاً
وقـــد حـــان الأوان:

واستجاب الله لرغبتيما أخيرًا وحملت الزوجة جنينًا بعد انتظار دام طويلاً. وكـان الزوجـان يسكنان بيتًـا يطل من الخلف على حـديقـة

خلاّبة يراها المرء من طاقة صغيرة. وكان البستان مزدحمًا بأروع الزهور وأجمل النباتات وأندر الأعشاب. كانت الحديقة ملكًا لساحرة ذات نفوذ وسلطان يخشاها الكبار ويهابها الصغار. وكانت الحديقة محاطة بسور عال، فلم يجرؤ أحد أبدًا على الولوج إليها. ولكن:

فـي يـوم مـن الأيـام

فـي ذاك الـزمـان:

كانت الزوجة تقف فى النافذة الصغيرة المطلة على روضة الساحرة ورأت حوضًا نضجت فيه ثمار السلجم[١]. كانت رءوس السلجم نضرة يانعة فاشتهتها المرأة اشتهاء وشعرت برغبة جامحة فى تذوقها. ومع كل يوم كانت رغبة المرأة تشتد وتستعر. وقد زاد رغبة المرأة توحشًا إدراكها أنها لن تتذوق ثمار السلجم أبدًا؛ فحديقة الساحرة لا يدخلها أحد، والساحرة ذات سلطة وسلطان. أخذت الزوجة تضعف وتحزن وينحل عودها، فتملك الزوج قلق عظيم من حالها وسألها: "ما بك؟" أجابته: "سأموت كمدًا إن لم آكل من سلجم الساحرة!" وفكر الزوج فى الإتيان بالسلجم من الحديقة قبل أن يفقد زوجته الحبيبة وليكن ما يكون!

هكذا .. وفى ساعة الغسق تسلق الزوج جدار السور الذى يفصل بيته عن منزل الساحرة، وقفز من فوق حافته إلى الحديقة، وفى عجلة قطع ثمرة من ثمار السلجم ما ملأ راحته وعاد بها مسرعًا إلى

---

(١) السلجم: نوع من اللفت.

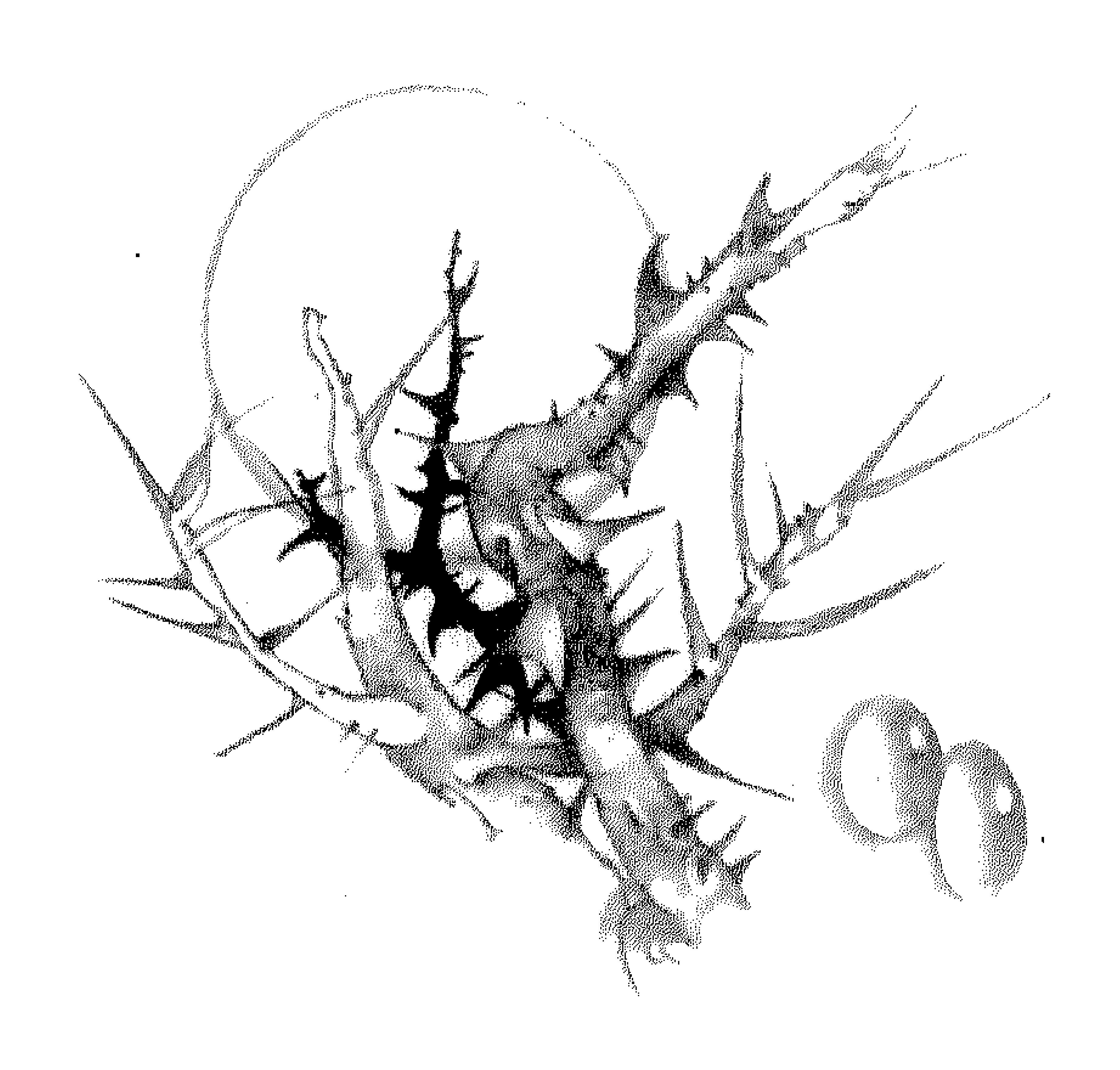
زوجته، التى ابتهجت بها بهجة كبيرة وراحت على الفور تعد صحنًا من السلطة بالسلجم والتهمته بنهم واشتهاء. كان السلجم طازجا لذيذا فأجج شهوتها بدلاً من أن يخمدها، وودت فى البداية ثم أصرت فى النهاية على تناوله ثلاث مرات فى اليوم التالى. ولم يجد الزوج مفراً من إلحاح الزوجة الحامل ولا فى البيت سلاما وهدوءاً دون ذلك، فقرر أن يغامر ويقفز السور مرة أخرى.

تسلق الزوج السور فى ساعة الغسق فإذا بالساحرة تمثل أمامه، وإذا به يرتجف بدنه وتفزع روحه من فعلته. رمته الساحرة بنظرة نارية حانقة، وقالت له:" كيف تجرؤ؟ أتتسلل لحديقتى كاللص وتسرق ثمار السلجم؟ عقابك سيكون إذن موجعًا أليمًا!" أجابها:" أرجوك العفو عنى والمغفرة فقد اضطررت لذلك اضطراراً، رأت زوجتى ثمار السلجم اليانعة من النافذة واشتهتها شهوة كادت تودى بها شد ما تملكتها الرغبة فى تناولها وهى حامل." هدأت الساحرة وزال عنها حنقها وقالت:" إذا كان هذا هو دافعك فسأعفو عنك وأسمح لك بأخذ كل ما تبتغى من السلجم شرط أن تهبنى الوليد الذى ستضعه زوجتك، وسأكون له أمًا توليه كل العناية." وعدها الزوج بكل ما أرادت فقد كان مضطربًا جزعًا غير واع بما يفعل أو يقول.

مرت الأسابيع وانقضت الشهور وأنجبت الزوجة أجمل طفلة فى الوجود، وكانت الساحرة فى انتظار الوليدة التى ما كادت ترى النور حتى تلقفتها على الفور وأسمتها سلجم.

مرت السنون وبعدها سنون وفى اليوم الذى أتمت فيه سلجم عامها الثانى عشر وغدت صبية بديعة الحسن والجمال قادتها الساحرة إلى برج شاهق داخل غابة بعيدة وحبستها داخله. ولم يكن للبرج باب ولم يكن للبرج درج أو حتى نوافذ، كل ما فيه ثقب كان عبارة عن طاقة صغيرة فى أعلى قمته! وعندما كانت الساحرة تذهب إلى سلجم وسط الغابة كانت تصيح من أسفل البرج:

سلجم .. سلجـــــام،
أسـدلى فى كـتـمـان!
شـعـرك الفـتـان.



شعر سلجم كان خلابًا باهرًا، طويلاً قويًا وناعمًا، أصفر تبرق جدائله مثل الذهب. وكانت الفتاة عندما تسمع صوت الساحرة، تحل ضفائرها وتعقف خصلاتها من طرفها فى مشبك النافذة الصغيرة ثم تسقطها تتدلى حتى أسفل البرج فتنسدل على ارتفاع عشرين ذراعًا[1] تتسلقها الساحرة كما يتسلق الإنسان سلمًا مفتولاً من الحبال إلى أن تصل للطاقة وتنفذ منها إلى الصبية.

ومرت الأيام ومرت الأعوام وظل الحال على ما كان، وذات صباح من الإصباح كان ابن الملك يتجول فوق ظهر جواده فى الغابة ومر فى طريقه على برج شاهق وبلغ سمعه صوت رقيق ينشد نغمًا عذبًا، فتوقف فى هدوء ينصت إليه. الصوت كان صوت سلجم وهى تحاول بالغناء دفع الزمن فى وحدتها فترفع صوتها وترسل حسها يدوى عاليًا لتدب من حولها الحياة. بحث الأمير عن باب يمرق منه إلى صاحبة الصوت فلم يجد. عاد إلى قصره والنغمات فى أذنه وصاحبة الصوت فى قلبه. وأخذ بعد ذلك يذهب إلى الغابة فى كل يوم ليستمع إليه مجددًا. وفى مرة من المرات وقف الأمير مستورًا بشجرة عندما لمح الساحرة قادمة إلى البرج وسمعها تصيح:

سلجم .. سلجـــام،
أسـدلى فى كـتـمـان!
شـعـرك الفـتـان.

---

(١) الذراع : مقياس قديم أشهر أنواعه الذراع الهاشمية، طوله ٣٢ إصبعًا أو ٦٤ سنتيمتراً.

ثم رأى كيف تتسلق البرج فوق الخصلات الذهبية وفكر:" إذا كان هذا هو السلم فلأجرب حظى مرة." وفى اليوم التالى ذهب الأمير فى ساعة الغسق إلى البرج وصاح:

سلجم .. سلجـــــام،
أسدلى فى كتمـــان!
شعــــرك الفتـــان.

حلت سلجم جدائلها وأسدلت خصلاتها فتسلقها الأمير. فزعت الفتاة مذعورة من الغريب، ولم تكن قد رأت من قبل أى رجل. غير أن الأمير طفق يحدثها بود وحنان وهيام، واعترف لها بأن ترانيمها عصفت بفؤاده فقرر أن يراها .. لابد أن يراها. ومن لحظة إلى أخرى اطمأنت له سلجم وراحت تتأمله: كان شابًا وجميلاً وأميرًا، بادرها دون تردد:" هل تصبحين زوجًا لى؟" فكرت الفتاة فى أن حبه لها سيكون عظيمًا، وأن العيش معه سيكون رحيما بها وهنيئًا لها وأفضل من الجدران ومن السيدة جوتيل الساحرة العجوز. وضعت كفها فى راحته وقالت له:" سأمضى معك بسرور لكن كيف سأهبط أنا أسفل البرج؟ عليك أن تحضر معك فى كل مرة تأتى فيها حبلاً من الحرير أصنع منه سلمًا وعندما أفرغ منه أنزل به البرج وأرحل معك فوق مهرتك."

اتفقا على أن يأتى الأمير فى كل مساء، لأن الساحرة تأتى فى كل نهار. ومر وقت ولم تلحظ الساحرة شيئًا على سلجم إلى أن زل لسان الفتاة ذات مرة من المرات، وقالت:" إنك تصبحين أثقل وأثقل يا

سيدة جوتيل وسحبك من أسفل البرج يغدو أصعب وأصعب، بينما يتسلق الأمير شعرى بخفة وسهولة!" صاحت الساحرة فى ذهول: " آه أيتها الزنديقة! ما الذى تبوحين به؟! حسبت أنى عزلتك عن العالم، وإذا بك تخدعينني!" تناولت الساحرة بيدها اليسرى ضفائر سلجم وضربتها براحتها مرتين، وباليمنى التقطت مقصًا وحلقت شعر الفتاة: تسيك - تساك، تسيك - تساك، ثم ألقت بالجدائل الذهبية فوق الأرض. قادت الساحرة الفتاة بعد ذلك إلى بادية فى صحراء جرداء وتركتها تعيش فى عوز وبؤس وشقاء.

ثم عادت الساحرة إلى البرج الشاهق وشرعت تربط جدائل سلجم فى مشبك النافذة الصغيرة أعلى البرج وعندما سمعت صوت الأمير يصيح:

سلجم .. سلجـــــام،
أسـدلى فى كـتـمـان!
شـعـرك الفـتـان.

أسقطته من النافذة فتسلقه الأمير ودخل من الطاقة لكنه لم يجد محبوبته! صوبت الساحرة إليه نظرات حانقة مسمومة وزعقت بتهكم: "ها .. ها .. أتريد أن تصطحب حبيبتك؟ لقد طار العصفور من القفص ولن يغرد لك بعد الآن؛ لأن القطة التى ستخرق لك عينيك سرقته ومضت به، لن ترى سلجم أبدًا أيها الأمير."

ارتعش الأمير رعبًا من الساحرة وما قالته، وقد دفعه الاضطراب

والهلع إلى القفز من النافذة. لم يمت الأمير لكن ما توعدته به الساحرة تحقق فى الحال وسقط ابن الملك فوق أشواك اخترقت عينيه وأصبح ضريرًا. تحسس الطريق مسرعًا إلى مهرته وصعد فوق ظهرها وانطلق يبكى فى بؤسه لا يدرى إلى أين! أمضى الأمير زمنًا طويلاً بين الغابات والرمال والبادية تائها لا يجد ما يسد رمقه سوى حبات الفراولة وبعض النباتات، وظل شارداً يبحث عن سلجم.

مضت السنون والأمير على حاله، إلى أن قاده جواده للبادية التى استقرت فيها سلجم. وكانت سلجم قد أنجبت صبيًا وصبية تعيش معهما فى عوز وشقاء. وترامت من بعيد إلى سمع الأمير رنات صوت عرفته أذناه وعشقته مهجته. اقتفى الأمير أثره، وشيئًا فشيئًا اقترب من مصدر الصوت ولمحته سلجم فهرولت إليه تحتضنه وهى تبكى.

ومن عبرات الحبيبة سقطت دمعتان فى عينى الأمير فأنارتهما، واستعاد ابن الملك بصره، تطلع أمامه فإذا بسلجم محبوبته، وفى التو ابتهج وزال كربه.

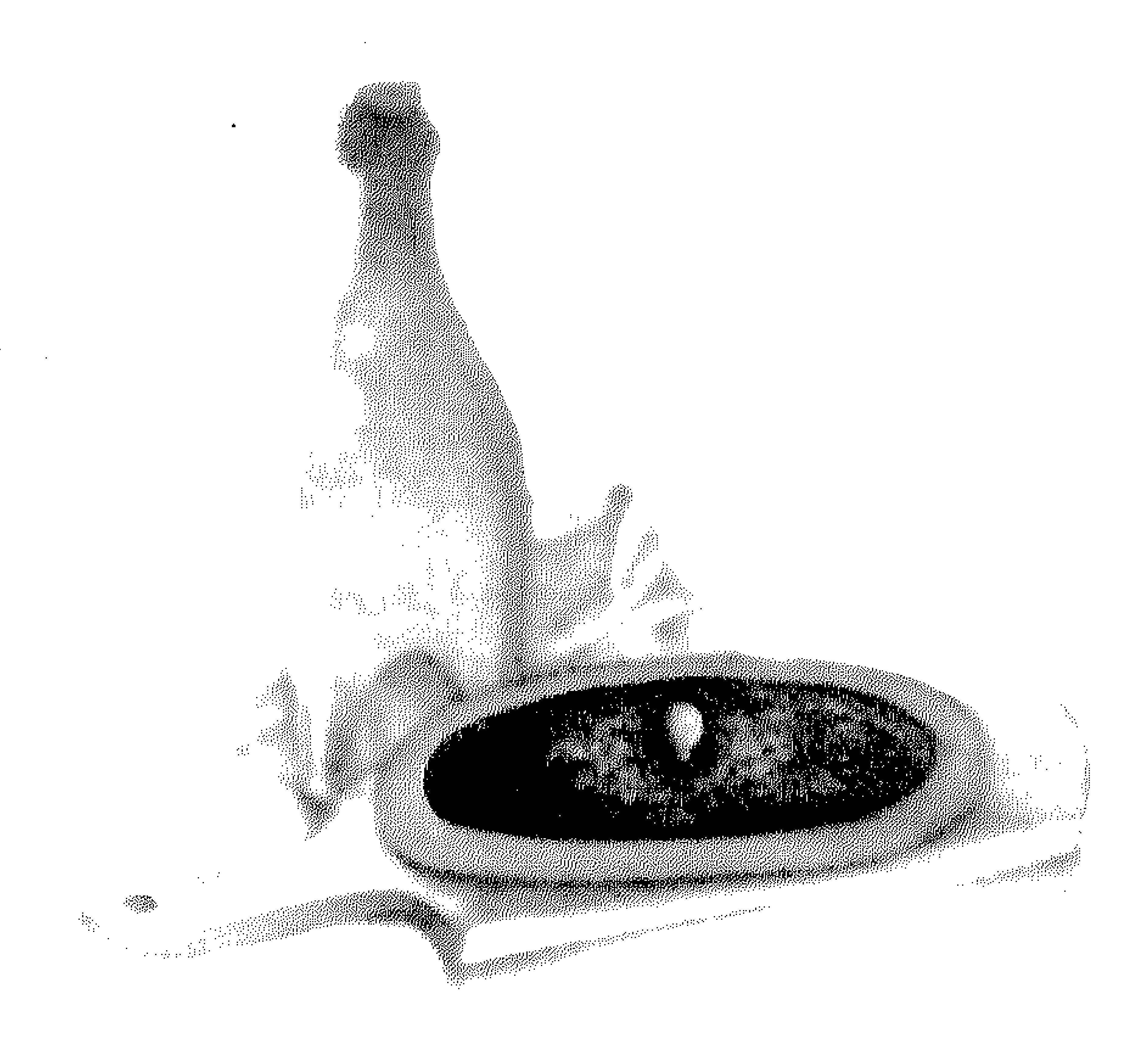
رحل الأمير مع سلجم وطفليها إلى مملكته وقوبلوا ببهجة عظيمة وسعادة كبيرة وتزوج الحبيبان وعاشا زمنًا طويلاً فى هناءة ونعيم وأنجبوا فى تبات صبيانًا وبنات، وقد يكونون للآن على قيد الحياة.

* * *

كان يا ما كان   حدوتة زمان
حكاية يرويها   الدهر والمكان
وأخرى يطويها   العمر والنسيان
وهذه يحكيها   جريم الأخوان
لك هنا والآن:



ذات المنديل الأحمر



كـــان يا مـــا كـــان
فـــى بـــلاد الألمـــان
بنـت فى بســـتـان
تـقـطـف ريحـــان
للجـــدة فى نيـســـان
والذئب جـــوعـــان
والخطـر قـــد دان:

والفتاة كانت صغيرة محبة محبوبة من كل إنسان، وكانت جدتها

العجوز تدللها ولا تدرى ماذا تفعل من أجلها، وماذا تهديها كى ترضيها. وفى يوم من الأيام أهدتها الجدة منديلاً أحمر، حسرت به الصبية رأسها فبدت فيه آية من الحسن والجمال، ولم تنزعه بعد ذلك أبداً. هكذا لقبت بـ "ذات المنديل الأحمر".

وفى يوم من الأيام صاحت أمها تناديها: "يا ذات المنديل الأحمر! إن جدتك ضعيفة ومريضة، خذى هذه الفطائر وزجاجة النبيذ واذهبى إليها، إنها ستأكلها بسرور، لكن إياك أن تحيدى عن طريقك إلى هنا أو هناك وانتبهى وإلا كسرت الزجاجة، وكونى مهذبة مع الجدة لا تفتشى أو تعبثى فى شقتها فى كل ركن ولا تنسى تحيتها بقول (صباح الخير يا جدتى!) عندما تدخلين عليها، والآن اذهبى قبل حر النهار!" وعدت ذات المنديل الأحمر أمها بأن كل شىء سيكون على أفضل ما يرام.



كانت ذات المنديل الأحمر تسكن مع أمها فى القرية، أما الجدة فكانت تعيش بعيداً فى الغابة، وكانت المسافة بينهما تستغرق نصف الساعة سيراً على الأقدام. مضت الفتاة فى سبيلها والتقت فى الغابة الذئب، ولم تكن تدرى أنه حيوان شرير؛ لذلك لم تهبه. حياها الذئب بتودد قائلاً:

- " صباح الخير يا ذات المنديل الأحمر!"

- أجابته: " شكراً جزيلاً أيها الذئب!"

- سأل الذئب: " إلى أين تذهبين فى باكر الصباح؟"

- قالت: " إلى الجدة."

- أضاف الذئب: " وما الذى تخفينه تحت الرداء؟"

- الفتاة: " النبيذ والفطائر التى خبزتها أمى بالأمس؛ لأن الجدة ضعيفة ومريضة، ويجب أن تتناول شيئاً يقويها."

- الذئب: " وأين تسكن الجدة؟"

- الفتاة: " بيت جدتى عند شجرات البلوط الثلاث على بعد ربع الساعة هنا فى عمق الغابة، وبالقرب من بيتها شجيرات الجوز، لعلك تعرف المكان يا عزيزى الذئب."

تأمل الذئب الفتاة وفكر في أنها قضمة صغيرة ناعمة وفريسة مشبعة، وستكون لا شك ألذ من جدتها الهرمة. وهمس لنفسه:" عليك إذن أن تحيك مؤامرتك بحنكة كى تنال الاثنتين." سار الذئب لحظات بجوار الفتاة ثم قال:" انظرى يا ذات المنديل الأحمر .. الورود حولك من كل جانب، لماذا لا تتطلعين إليها؟ ولا تنصتين إلى تغريد العصافير وهدير الطيور؟ بل تندفعين هكذا فى سيرك كما لو كنت فى طريقك إلى المدرسة، بينما الغابة مفعمة بالمرح والجمال!" رفعت ذات المنديل الأحمر رأسها وفتحت عينيها فى السماء وأبصرت أول شعاع تبثه الشمس يتلألأ ويتراقص بين أغصان الشجر، ثم رمقت الورود البعيدة، ولمست الزهور القريبة، وفكرت: إن جدتي ستبتهج لو جمعت لها باقة ورود جميلة .. ثم أن الصباح مازال باكراً والوقت كافياً، وسأصل فى موعدى مؤكداً؟

مضت ذات الرداء الأحمر إلى جوف الغابة ولم تسلك الطريق المستقيم إلى بيت الجدة؛ إذ شرعت تفتش عن أجمل الزهور وتنتقيها ثم تحصد غير ما جمعت وتلقى بما فى يديها، وتظن أن ما لديها أفضل مما كان. هكذا كانت ذات المنديل الأحمر تغور أكثر وأكثر فى المكان وأصبحت فى أحشاء الغابة البعيدة تشرد بعقلها وترمح برجلها فى الغابات والغيطان.

فى هذه الأثناء كان الذئب قد عثر على بيت الجدة ودق الباب

قـائلاً:" افـتـحى يا جـدتى أنا ذات المنديل الأحـمـر أحـمل لك الفطائر والنبيذ!" أجابت الجدة:" اضـغطى مقبض الباب وادخلى إننى هزيلة جدا لا أستطيع النهوض!" ولج الذئب شقة الجدة العجوز دون أن يتفوه بكلمة واحدة وأسرع إلى غرفة النوم. كانت الجدة ترقد فى فراشها فحملها وابتلعها دفعة واحدة! ثم سحب ستائـر النافذة لتظلم الحجرة وارتدى ثيابها ووضع طاقيتها فوق رأسه ورقد فى سريرها تحت الغطاء.

كـانت ذات المنديل الأحـمـر مـازالت فى الغـابة تتـخـيـر الزهور وعندما تجمّع لديها ما لم يكن بوسع راحتيها الصغيرتين حمله. وتذكرت فجأة الجدة وعادت من عمق الغابة إلى الطريق لبيتها. دهشت الفتاة لأن الباب كان مفتوحاً واستشعرت شيئًا غريبًا داخل الشقة. همهمت تحدث نفسها:" يا إلهى كم أنا فزعة اليوم فى بيت جدتى، بينما أحببت دوما المجىء إليها والبقاء هنا؟!" ثم صاحت:" صباح الخير يا جدتى!" لكن الجدة لم تجب! وقفت قرب فراشها وفرجت النافذة فوجدتها تستر وجهها بالغطاء وتبدو غريبة للغاية! تعجبت ذات المنديل الأحمر قائلة:

- " آه يا جدتى، كم كبيرة هى أذناك!"

- :" كى أسمعك أفضل."

- :" آه يا جدتى، وكم ضخمة هى عيناك!"

– :" كى أراك أحسن."

– :" آه يا جدتى، وكم هى جسيمة يداك!"

– :" كى أخبز لك أسرع."

– ": آه يا جدتى، وكم واسع مفزع هو فمك!"

– :" كى أفترسك فوراً!"

وثب الذئب من الفراش قبل أن ينتهى من قول آخر كلمة وابتلع الفتاة المسكينة فى التو وعاد ينام بعدما أشبع نهمه وارتفع صوت غطيطه المخيف. وبعد لحظات قليلة مر صياد الغابة قرب بيت الجدة وعرج عليها يسألها إن كانت بحاجة لشىء وسمع صوتًا عاليًا قويًا من غرفة نومها وتعجب: يا له من شخير! وعندما دنا من السرير رأى الذئب ملقى فقال له:" أنت هنا أيها الزنديق العجوز وأنا أبحث عنك فى الغابة؟!" سحب الصياد بندقيته وهم بإطلاق الأعيرة النارية، لكنه تمهل فى اللحظة الأخيرة، وفكر أن الجدة قد تكون فى أحشائه فيقتلها إذا أصابه. تناول مقصًا وشق بطن الحيوان الشرير بحرص، وانبثقت على الفور منها رأس ذات المنديل الأحمر وخرجت تقول:" آه .. كم كان المكان مظلمًا فى أحشاء الذئب، شد ما أفزعنى!!" وتلتها الجدة تشرئب بعنقها وهى تتنفس بالكاد.



حملت ذات المنديل الأحمر أحجاراً كبيرة للصياد ملأ بها بطن الذئب، وعندما استيقظ وأراد أن يقفز سقط من الحمل الثقيل ومات. هكذا ابتهج الثلاثة: سلخ الصياد فراء الثعلب وعاد به إلى بيته سعيداً، وأكلت الجدة الفطائر اللذيذة وشربت النبيذ فشبعت وهنئت، أما ذات المنديل الأحمر فقد لقنت درساً مدى الحياة، وأدركت ألا تحيد أبداً عن طريقها وألا تغوص فى قلب الغابة لاسيما وأن أمها حذرتها من ذلك السلوك. ولكن:

ذات مـــــرة من المـــرات
والفضول أقوى الصفات

ذهبت ذات المنديل الأحمر فى مرة أخرى للجدة وحملت معها الفطائر. وراحت الفتاة تقص على الجدة ما حدث لها: أن ذئبًا من الذئاب تحدث إليها فى الغابة، وكان يريد أن يبتعد بها عن طريقها، لكنها لم تأبه له لأن عينيه شريرتان رغم أنه حياها قائلاً:" صباح الخير!" وقالت ذات المنديل الأحمر:" لو لم أكن فى الشارع يا جدتى لافترسنى." قالت الجدة:" تعالى إذن نوصد الباب بالمزلاج كى لا يدخل إلينا!"

وبعد لحظات قصار دق ذئب على الباب وصاح:" افتحى يا جدتى! أنا ذات المنديل الأحمر أحضر لك الفطائر!!" جلست الجدة والصبية فى صمت ورهبة ولم تفتحا الباب. تسلل الذئب ذو الفراء الرمادى ولف حول البيت، وفى النهاية قفز فوق السطح فى الظلام

يتربص بفريسته ذات المنديل الأحمر عند خروجها من الدار لتعود لأمها. أدركت الجدة ما يخطط له الذئب المكار. وكان هناك كوم من الأحجار في حوض كبير أمام الدار. قالت الجدة لذات المنديل الأحمر: "خذي السطل الذي طهيت فيه بالأمس السجق واسكبي منه الماء فوق الحجارة!" فعلت الفتاة فتصاعدت رائحة السجق إلى أن بلغت السقف، واجتذب عبقه الذئب وتدحرج وراءه شبراً فشبراً حتى انزلق وسقط فوق الأحجار الكبار وغرق في الحوض وهلك. عادت ذات المنديل الأحمر لأمها وكانت مبتهجة سعيدة ولم يصبها أذى.

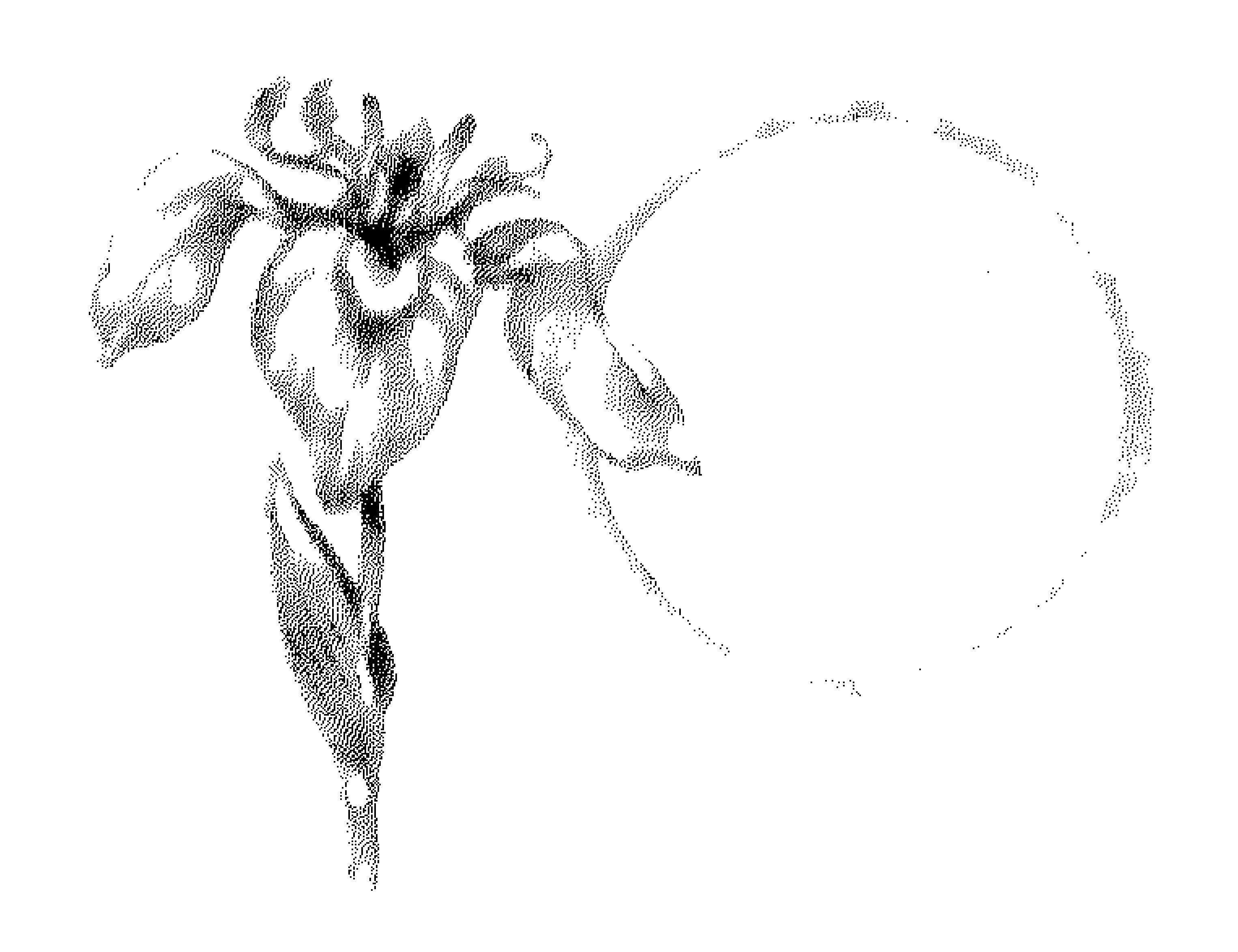
* * *

كان يا ما كان حدوتة زمان
حكاية يرويها الدهر والمكان
وأخرى يطويها العمر والنسيان
وهذه يحكيها جريم الأخوان
لك هنا والآن:



فرقة بريمن الموسيقية

DIE BREMER STADTMUSIKANTEN



كـــــان يا مـــــا كـــان
فــــى بـــلاد الألمـــــان
حـــمــــــار فنـــــان
عـــــزف الألـــحـــــان:

وعندما أصبح كهلاً عجز عن حمل المخلات والزكائب بعد أن أخذ سنوات كثيرة وأعوام ينقلها فوق ظهره إلى طاحونة سيده بصبر واحتمال دون أن ينهق بحرف واحد ينم عن التأفف أو عدم الامتنان.

وقرر صاحبه التخلص منه وإماتته جوعًا كى يوفر ثمن العلف. وأدرك الحمار ما يضمره له الرجل ففر من البيت هاربًا، وفكر فى الموسيقى وفى رحلة إلى مدينة بريمن الألمانية يصبح فيها عازف المدينة الجوال!

بعد أن قطع الحمار فى رحلته مسافة قصيرة وجد كلب صيد يرقد فى وسط الطريق ويلهث، والتعب والمشقة تبدوان عليه من شدة العدو. سأله الحمار: " ما بك ؟" أجاب الكلب: " سيدى يريد قتلى لأنى شخت وأصبحت عاجزًا عن الركض والإسراع فى الصيد، فهربت ولا أدرى الآن كيف أطعم نفسى!" قال الحمار: " تعال معى! أنا ذاهب إلى بريمن لأصبح هناك عازف المدينة الجوال، ويمكنك أن تقتحم عالم الموسيقى، أنا أعزف الناى وأنت تضرب الطبلة!" سرّت خطة الحمار الكلب ومضيا معًا.

وما هى إلا لحظات قصار حتى التقيا بقط يموء وقد بدا مغبرًا تعبًا ووجهه حزينًا مكفهرًا. اقترب الحمار منه واستفسر: " ما بك؟" قال القط: " يا لها مَن تعاسة وشقاء! تقدم بى العمر وغدت أسنانى ثلمة، ويؤخذ بخناقى وألقى حسابًا عسيرًا؛ لأننى أفضل الرقاد قرب الموقد على العدو واصطياد الفئران؛ لذا أرادت سيدتى أن تميتنى غرقا، هربت وها أنا الآن أضرب أخماسًا فى أسداس ولا أدرى إلى أين أذهب." رد الحمار: " تعال معنا إلى بريمن، يمكنك أن تجيد معزوفات موسيقى الليل وأن تصبح عازفًا جوالاً!" رحب القط بفكرة الحمار وارتضاها حلاً ومضى الثلاثة معًا.

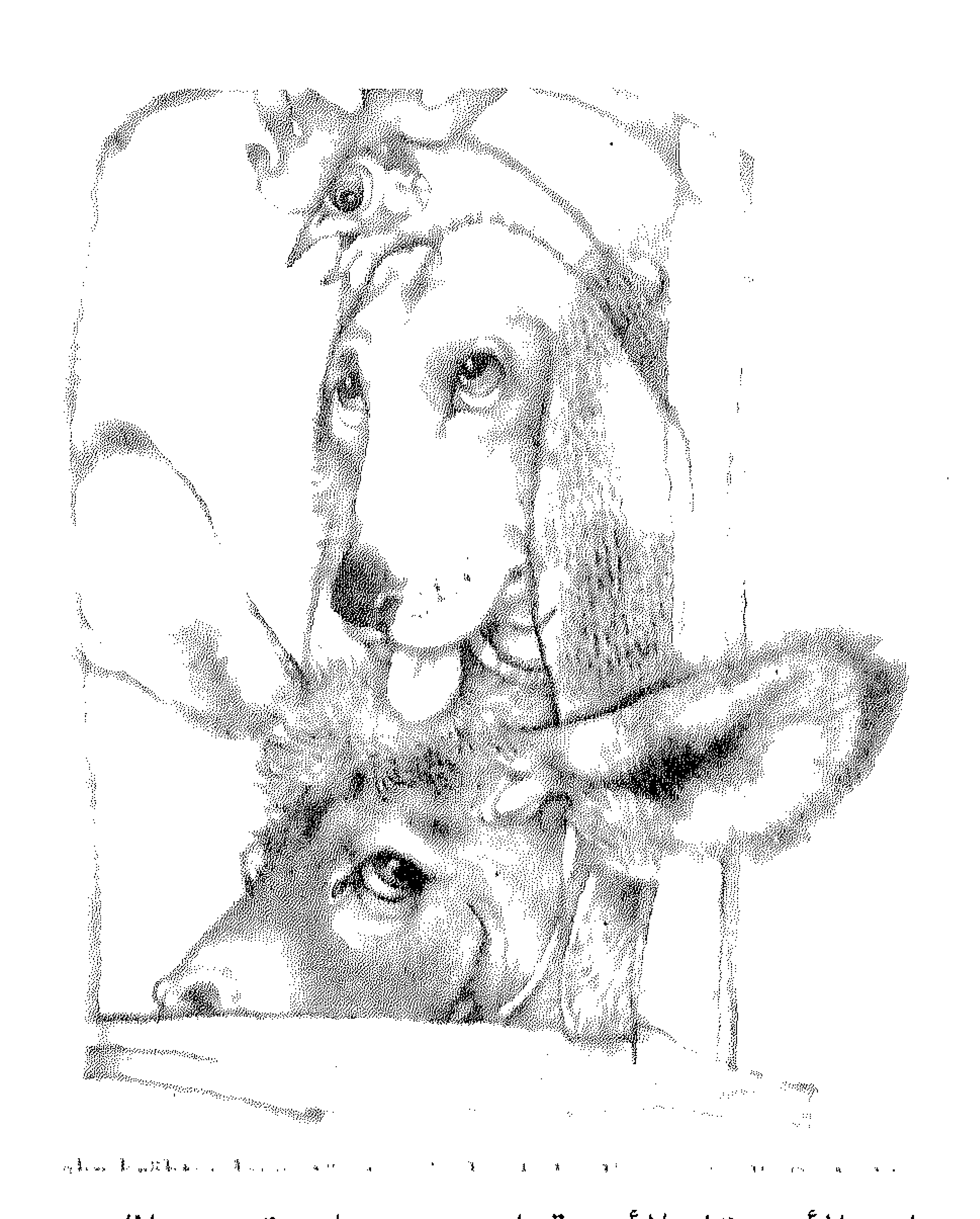
رحل الثلاثة وعرجوا في طريقهم على فناء بيت جلس ديك عند مدخله، وكان يصيح صياحًا شجيًا فسأله الحمار:" ما بك؟ إن صياحك يمزق القلب!" أجاب الديك:" وقع ما تنبأت به، غدا الأحد وسيدة البيت تستعد لاستقبال ضيوفها وقد أعدت قميص طفلها لتلك المناسبة وغسلته وتركته يجف، وتخطط لأن تأكلني في حساء المرق، وراحت دون شفقة تأمر الخادمة بقطع رقبتي مساء اليوم؛ لذلك أصيح قدر طاقتي فما تبقى لي من العمر قليل." قال الحمار:" ما رأيك يا ذا العرف الأحمر في الذهاب معنا إلى بريمن؟ صوتك جميل وبالإمكان أن يغدو صياحك فنًا، إن أي حل آخر أفضل لك من الموت الذي ينتظرك! فماذا تقول؟" أقنع الحمار الديك فارتضى اقتراحه حلاً. ومضى الأربعة معًا.

لم يتمكن الأصدقاء بعد يوم من السير المنهك من الوصول إلى بريمن، وفي المساء كانوا قد وصلوا إلى غابة وأرادوا المبيت. رقد الحمار والكلب تحت شجرة والقط في أغصانها والديك فوق قمتها، حيث المكان أمان. مرت دقائق معدودة ولم يكد الديك يغفو حتى لاحظ ضوء مصباح يتردد عن بعد، فصاح على أصدقائه ينبههم أن على مقربة منهم بيتًا يخفق بداخله ضوء. قال الحمار:" علينا إذن التوجه إليه؛ لأن الفنادق الرخيصة هنا رديئة!" وأيد الكلب فكرة الحمار أملاً في العثور على عظمة هنا أو قطعة لحم هناك. وشرع أعضاء الفرقة الموسيقية في السير، وبعد فترة وجيزة شاهدوا الضوء الخافت. وسرعان ما أخذت

دائرة الضوء فى الاتساع شيئًا فشيئًا إلى أن بلغوا بيت لصوص فى الغابة. اقترب الحمار الأضخم حجمًا من النافذة ليرى ما بداخله، وسأله الأصدقاء:" ماذا ترى؟" أجاب:" منضدة معدة بطعام شهى وشراب لذيذ وحولها لصوص يجلسون ويتمتعون بكل ما لذ وطاب." قال الديك:" يا لها من وليمة لنا!" أكد الحمار:" آه .. نعم .. لو أننا نحن الجالسين حول المنضدة!"

ابتعد الحمار عن النافذة وراح الأصدقاء أعضاء فرقة بريمن الموسيقية يتباحثون فيما بينهم حول كيفية إخراج اللصوص من البيت والانقضاض على المأدبة، وبعد مفاوضات ومباحثات خلصوا إلى حيلة...

استقام الحمار وارتكز بأقدامه وحوافره الأمامية إلى نافذة البيت وقفز الكلب فوق ظهر الحمار ثم تسلق القط أكتاف الكلب وأخيراً طار الديك فوق القط وتربع على رأسه. أعطى الحمار إشارة الانطلاق لبدء كونسرت الأصدقاء، وزعق الجميع فى صوت واحد ينشدون لحنهم: نهق الحمار، ونبح الكلب، وماء القط، وصاح الديك، واندفع الجميع فى نفس اللحظة من النافذة فارتطموا بزجاجها وتهشم فوق الأرض. أفزع الصياح المرتفع والصراخ المفاجئ اللصوص وطار الرجال من حول المنضدة مروّعين واعتقدوا أن عفريتًا اقتحم البيت وفروا من الهلع إلى الغابة.



جلس الأصدقاء الأربعة يلتهمون ما تبقى من اللصوص بنهم وشراهة، لو أن أحداً رآهم لاعتقد أنهم لم يأكلوا منذ أربعة أسابيع. وعندما فرغ الموسيقيون من الطعام أظلموا البيت وأطفأوا المصابيح وفتشوا عن مكان للنوم، وراح كل واحد منهم يبحث عن مكان ملائم كل حسب راحته، استلقى الحمار فوق الروث، والكلب خلف الباب، والقط قرب الموقد الدافئ، والديك فى الشرفة، وغفا الجميع بسرعة بعد إنهاك يوم من السير المتواصل وثقل التخمة بعد الوليمة الدسمة.

كان اللصوص يراقبون البيت من بعيد وما إن رأوه مظلمًا وهادئًا في منتصف الليل حتى ظنوا أن العفريت قد انصرف فقال زعيم العصابة:" ما كان علينا أن نفزع ونفر هكذا"، ثم أمر أحد اللصوص بالذهاب للدار وتفتيشها. قصد الرجل البيت ووجده غارقًا في ظلمة وسكون، فاطمأن وولج المطبخ وهمّ يشعل الضوء، غير أن نظراته اصطدمت بعيني القط الحمراوين الناريتين وقد انعكست عليهما شعلة الموقد، واعتقد اللص أن فحم الموقد يتوهج فتناول عود ثقاب يشعله منه وفي هذه اللحظة وثب القط بحزم عليه وأنشب أظافره فيه. هرول الرجل مروعًا يركض إلى باب البيت الخلفي حيث يرقد الكلب الذي انتفض من نومه وانقضّ على ساق الرجل يعضها. اندفع الرجل إلى فناء البيت يلوذ بالفرار وكان الحمار نائمًا فوق الروث فركله ركلة عنيفة بأرجله الخلفية. وكان الضجيج قد أيقظ الديك في الشرفة فأخذ يصيح : كو.. كو .. كو .. كو.



هرول اللص مرتاعًا بكل ما أوتيت ساقاه من قوة صوب زعيمه، وما إن وصل إلى العصابة حتى طفق يروى ما حدث له وهو يلهث قائلاً:" سكنت البيت ساحرة مرعبة وظهرت لى بعينيها المفزعتين وأنبشت أظافرها فى لحمى وخربشت وجهى، ووراء الباب رجل طعننى بسكين فى ساقى، أما فى الفناء فيرقد غول أسود ضربنى بنبوت خشبى، وفوق سطح البيت يجلس رئيسهم وزعيمهم الماجن، لذلك آثرت العودة إليكم.

منذ ذلك الحين لم يجرؤ اللصوص على الاقتراب من البيت مرة أخرى، فى الوقت نفسه أحس الأصدقاء الأربعة، أعضاء فرقة بريمن الموسيقية براحة البقاء فى ذاك الدار. وأصبح البيت بيتهم فمكثوا فيه ولم يغادروه أبدًا، وكما يقول المثل الألمانى:"من يتحدث أخيرًا يظل فمه دافئًا"!

* * *

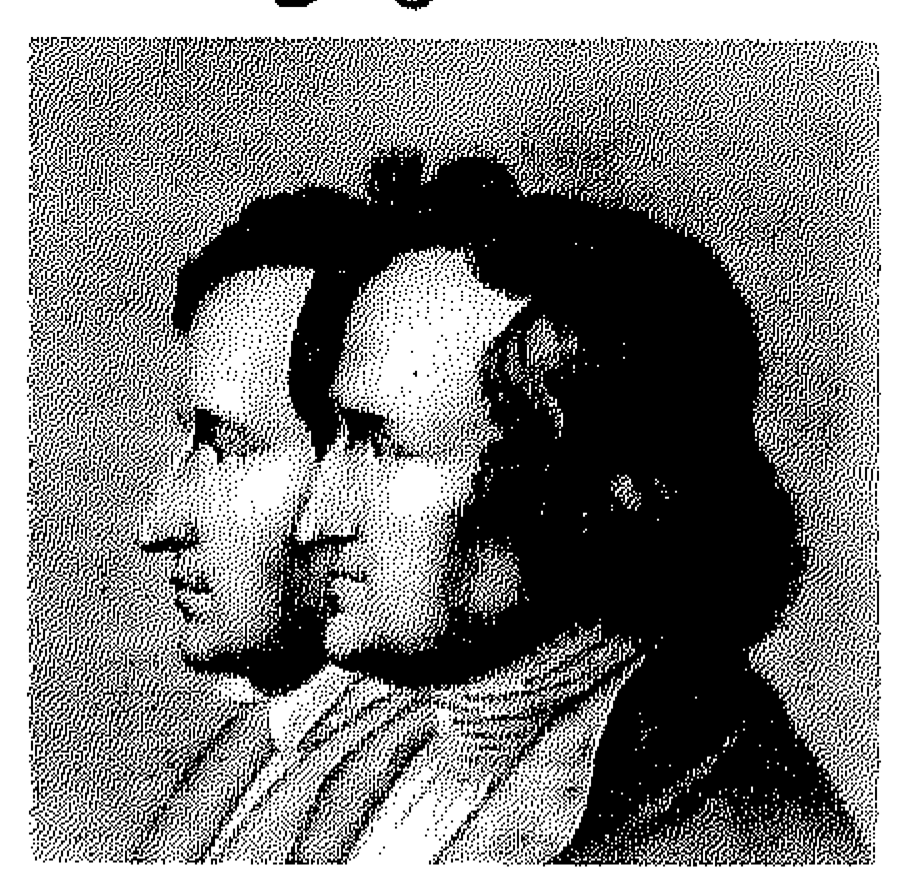
كان يا ما كان   حدوتة زمان

حكاية يرويها   الدهر والمكان

وأخرى يطويها   العمر والنسيان

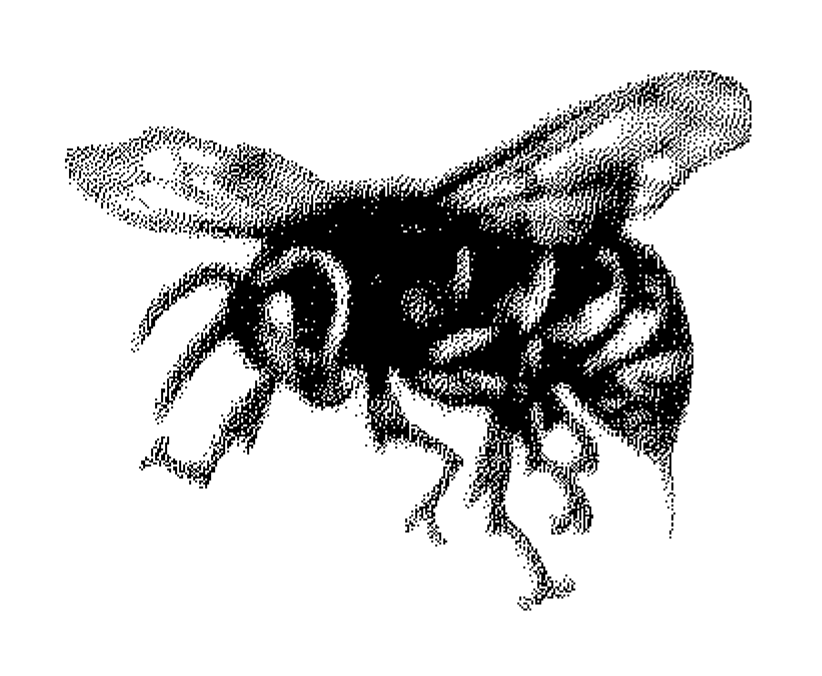
وهذه يحكيها   جريم الأخوان

لك هنا والآن:



"مائدة العجائب" و"الحمار الذهبى" و"النبوت السحرى"

TISCHCHEN DECK DICH, GOLDESEL, UND KNÜPPEL AUS DEM SACK



كـــان يا مـــا كـان
فـــى بـــلاد الألمـــان
فى غـــابر الزمـــان
والـدنيـــا أمـــان،
والمـــرج ريـــحـــان
فـى الســـمـــاء ألوان
وثـــلاثـــة إخـــوان :

عاشوا مع أبيهم الخياط العجوز. ولم يكن لديهم سوى عنزة واحدة يقتات الجميع من حليبها؛ لذلك كان الأبناء يسوقونها فى كل يوم إلى المراعى، وكانوا يؤدون هذه المهمة بالدور. ومرة من المرات عندما حل الدور على الأخ الأكبر سحبها الفتى إلى فناء الكنيسة الذى تزدهر فيه أجمل النباتات وتنبت أندى الأعشاب، وتركها ترعى كيفما شاءت. انطلقت العنزة وراحت تأكل وتمرح هنا هناك. وفى المساء عندما حان موعد العودة سألها الابن:" هل شبعت يا عنزة؟" أجابت:

أكلت دون حـــــيـــــاء

مـــاء، مـــاء، مـــاء ء ء،

العلف كـــان بســـخــاء

مـــاء، مـــاء، مـــاء ء ء،

هنئت منى الأحـــشـــاء

مـــاء، مـــاء مـــاء ء ء،

وامـــتـــلأت كل الأمـــعـــاء

مـــاء، مـــاء، مـــاء ء ء.

قال الفتى:" إذن هيا نعود!" سحبها للبيت، وهناك ربطها فى الحظيرة. وسأل الأب العجوز ابنه كى يطمئن:" هل أطعمت العنزة علفًا جيدًا؟" أجاب الفتى:" طبعًا، إنها متخمة حتى إنها لا تستطيع أكل ورقة عشب واحدة فوق ما تناولته من غذاء." وأراد الأب أن يتأكد بنفسه، فذهب للحظيرة وربت فوق ظهرها بعطف وسألها:" هل شبعت يا عنزة؟" أجابت:

جـــعت جـــوع البـــؤســـاء
مــــــاء، مـــــاء، مـــاء ء ء،
لا عــــــــــشب ولا مـــــاء
مــــــاء، مـــــاء، مـــاء ء ء،
رحت أقـــفـــز فى شـــقـــاء
مــــــاء، مـــــاء، مـــاء ء ء،
فى قـبـور كنيـسة سـوداء
مــــــاء، مـــــاء، مـــاء ء ء.

صاح الخياط:" ما الذى أسمعه منك؟!" وزعق بابنه:" تقول أيها الكاذب بأن العنزة متخمة بينما تركتها تجوع!" وفى ثورة غضبه تناول الأب مزورة الخياطة الخشبية من فوق الجدار وراح يضرب ابنه ضربًا مبرحًا ويلاحقه فى كل مكان حتى فر الفتى من الباب هاربًا.

وفى اليوم التالى خرج بها الابن الثانى يرعى وأخذ يفتش للعنزة عن حديقة إلى أن وجد بستانًا بسقت فيه الأشجار واصطفت به سياجا كثيفًا من الأغصان والأوراق، وأطلقها حرة تلهو وتطعم. أخذت العنزة تأكل وتمرح حتى المساء، وعندما حان وقت العودة سألها:" هل شبعت يا عنزة؟" أجابت:

أكلـت دون حـــــيـــــــاء
مـــــاء، مـــــاء، مـــــاء ء ء،
العلف كـــــان بســـــخـــاء
مـــــاء، مـــــاء، مـــــاء ء ء،

هنئت منى الأحـــشـــاء
مـــاء، مـــاء، مـــاء ء ء،
وامـــتـــلأت كل الأمـــعـــاء
مـــاء، مـــاء، مـــاء ء ء.

قال الفتى:" إذن هيا نعود!" وسحبها للبيت، وهناك ربطها فى الحظيرة، وسأله الأب:" هل أطعمت العنزة علفًا جيدًا؟" أجاب الابن:" طبعًا، إنها متخمة حتى إنها لا تستطيع أكل ورقة عشب واحدة فوق ما تناولته من غذاء." أبى العجوز إلا أن يستوثق بنفسه فقصد الحظيرة وسألها:" هل شبعت يا عنزة؟" أجابت:



جـــعت جـــوع البـــؤســـاء
مــــــاء، مــــــاء، مـــــاء ء ء،
لا عـــــــــــشب ولا مـــــاء
مــــــاء، مــــــاء، مـــــاء ء ء،
رحت اقـــفـــز فى بشـــقـــاء
مــــــاء، مــــــاء، مـــــاء ء ء،
فى قـــبـــور كنيـــســـة ســـوداء
مــــــاء، مــــــاء، مـــــاء ء ء.

صـرخ الأب:" آه .. يا له من شـرير عـديم الرحـمـة، أيتـرك هذا الحـيـوان البـرىء يتضـور جوعـًا!" ثم التقط مسطرة الخـيـاطـة من على الجدار وركض وراء ابنه يشبعه ضربًا ويتصيده فى كل ركن من أركان البيت حتى فتح الفتى الباب وفر هاربًا ولم يعد.

فى صباح اليوم الثالث حل الدور على الابن الأصغر وقرر الفتى أن يؤدى المهمة على أفضل نحو. سحب العنزة من الحظيرة وراح يتفقد المراعى بعناية ويفتش لها عن أخصب الأمكنة إلى أن عثر على مرج كثرت فيه التكعيبات والعرائش والتفت داخله أفرع الشجر وامتدت أغصانه تحت سماء وضّاحة. هناك حل الفتى حبل العنزة وتركها تعبث وتأكل كيفما شاءت. وفى المساء عندما حان وقت العودة سألها:" هل شبعت يا عنزة ؟" أجابت:

أكـلـت دون حـــــــيـــــاء
مــــــاء، مــــــاء، مـــــاء ء ء،

العلف كـــان بســـخـاء
مــــاء، مــــاء، مـــاء ء ء،
هنئت منى الأحـــشـــاء
مــــاء، مــــاء، مـــاء ء ء،
وامــتــلأت كل الأمــعــاء
مــــاء، مــــاء، مـــاء ء ء.

قال الفتي:" إذن هيا نعود!" سحبها للبيت وربطها في الحظيرة. وسأله الأب:" هل أطعمت العنزة علفًا جيداً؟" أجاب الابن:" طبعًا، إنها متخمة حتى إنها لا تستطيع أكل ورقة عشب واحدة فوق ما تناولته من غذاء." لم يطمئن الخياط وذهب بنفسه يسألها:" هل شبعت يا عنزة؟" فأجابت الماعز الشريرة:

جـــعت جـــوع البـــؤســاء
مــــاء، مــــاء، مـــاء ء ء،
لا عــــــــشب ولا مـــــاء
مــــاء، مــــاء، مـــاء ء ء،
رحت أقـــفـــز في شـــقـاء
مــــاء، مــــاء، مـــاء ء ء،
في قـبـور كنيـسـة سـوداء
مــــاء، مــــاء، مـــاء ء ء.

صاح الخياط:" آه من أولئك الكذابين الصغار عديمي الشفقة والشعور بالمسئولية، ولكن .. كلا .. لقد خدعت أكثر مما ينبغي!" خرج

الرجل عن صوابه ووثب، وبقفزة واحدة سحب مزورة الخياطة وساط بها ظهر ابنه الأصغر بتوحش إلى أن فر الفتى من البيت.

فى صباح اليوم التالى وقد غدا الخياط العجوز وحيداً مع عنزته فى الدار أخرجها بود وإشفاق من الحظيرة قائلاً:" هيا يا عنزتى الصغيرة الحبيبة أنا الذى سأقودك اليوم إلى المرج!" سحبها وبلغ بها ركن من المرعى حيث تناثرت أضلع الخراف ونتف من الحيوانات، وكل ما تشتهيه العنزات وفيه ازدهرت الخضرة والنباتات. أطلقها الخياط ترعى وقال لها:" هنا سوف تأكلين بنهم وشهية حتى تتجشئى من التخمة" وتركها حتى المساء ثم سألها:" هل شبعت يا عنزة؟" فأجابت:

أكلت دون حـــــيـــــاء
مـــــاء، مـــــاء، مـــــاء ء ء،
العلف كـــــان بســـــخـــاء
مـــــاء، مـــــاء، مـــــاء ء ء،
هنئت منى الأحـــشـــــاء
مـــــاء، مـــــاء، مـــــاء ء ء،
وامـــتـــلأت كل الأمـــعـــاء
مـــــاء، مـــــاء، مـــــاء ء ء.

قال الخياط:" إذن هيا نعود!" وسحبها للبيت وربطها فى الحظيرة وابتعد عنها بضع خطوات ثم استدار إليها مرة أخرى وسألها بعطف مؤكداً:" هل شبعت حقا يا عنزة؟" فأجابته تقول:

جـعت جـوع البـؤسـاء
مـاء، مـاء، مـاء ء ء،
لا عـشب ولا مـاء
مـاء، مـاء، مـاء ء ء،
رحت أقـفـز فى شـقـاء
مـاء، مـاء، مـاء ء ء،
فى قـبـور كنيـسـة سـوداء
مـاء، مـاء، مـاء ء ء.

أدرك الخياط أنه طرد أبناءه دون ذنب. واستشاط غضبًا وصرخ فيها: "

ويلك منى أيتها المخلوقة الجاحدة، إن طردك لقليل عليك جراء ما فعلت، وإياك أن أراك بعد الآن بين الخياطين الطيبين أمثالى!" قبض العجوز على سكين الحلاقة ومن فرط حنقه حلق لها فروة رأسها حتى جعلها ملساء مثل راحة يده ثم تناول السوط بعد أن تأمل مزورة الخياطة ورأى أنها أعز عليه كثيرًا من أن يضرب بها العنزة الجاحدة، وراح يلهبها بالسوط جلدًا. طارت العنزة فى قفزات واسعة ولاذت بالفرار خارج البيت.

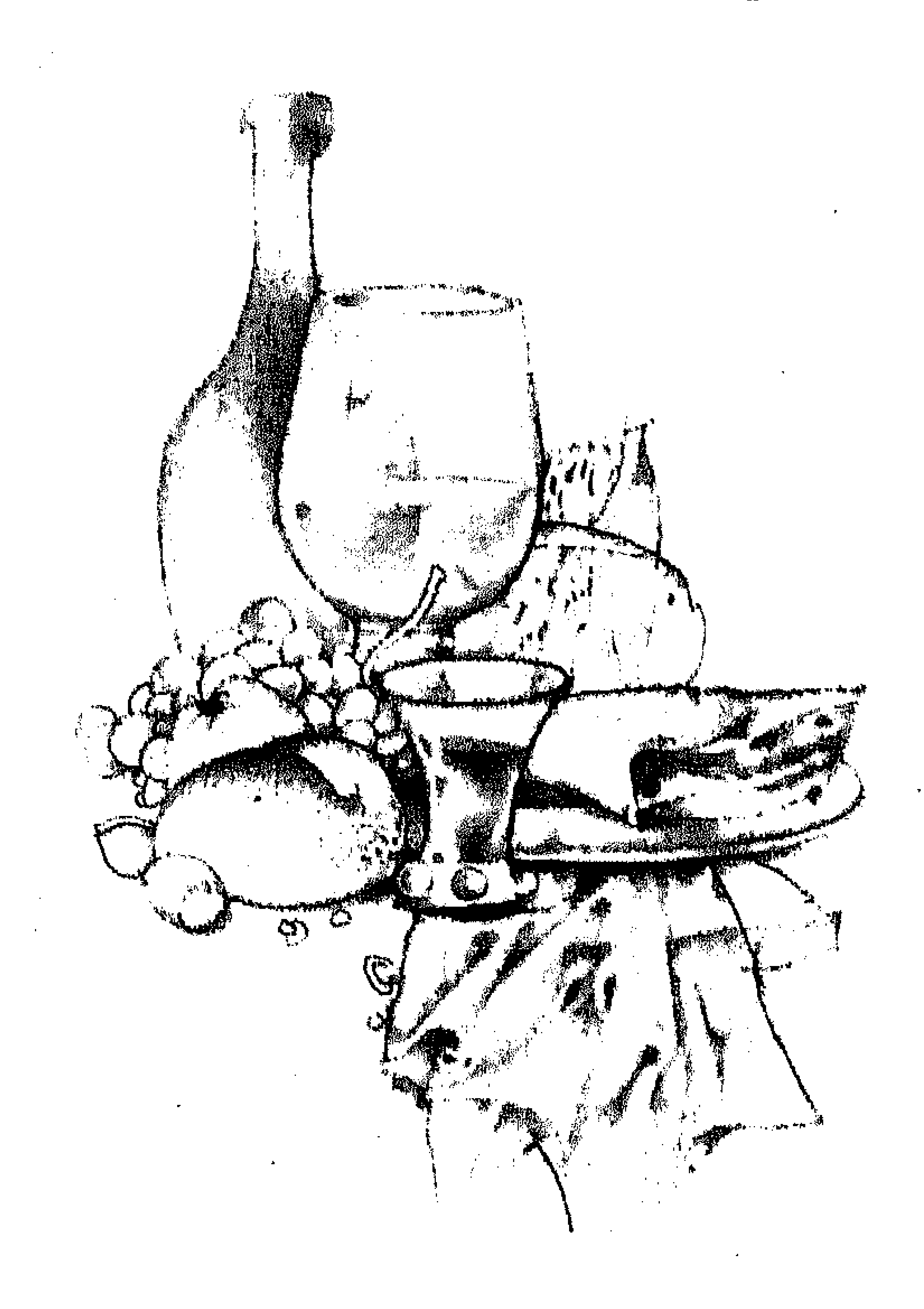
جلس الخياط العجوز وحيدًا فى بيته مستوحشًا، وتمنى لو عاد الأبناء وكانوا من حوله يحيطونه به، لكن أحدًا لم يكن يعلم عنهم شيئًا.

* * *

كان الابن الأكبر قد توجه إلى نجار يتعلم منه الحرفة. وكان الفتى مثابرًا ومجدًا، وبعد أن أتقن النجارة حان وقت افتراقهما، وأهدى له معلمه منضدة صغيرة مصنوعة من الخشب الرخيص، غير أنها كانت تطوى سرًا يميزها عن شتى الموائد الأخرى ويجعل منها "مائدة العجائب!" فإذا نصبها الإنسان وقال لها:

أعدى الطعام والمذات

يا مائدة كل المسرات!



حينئذ وفى اللحظة نفسها تكتسى المنضدة مفرشًا نظيفًا ويوضع فوقها طبق وشوكة وسكين وسلطانية جوار سلطانية تطفح بالمحمر والمشمر وكأس من النبيذ الأحمر وتتسع المائدة فجأة للكثير والغريب والعجيب! ولا يملك المرء إلا أن يبتسم بهجةً وسرورًا من هذا المشهد الفريد.

طرب الشاب؛ لأنه لن يحتاج للمزيد فى ترحاله عبر بلاد الدنيا لمشاهدة العالم البعيد؛ لذلك كان لا يعبأ بطعامه وشرابه ولا بالتفتيش عن مكان يروقه أو مغادرة آخر لا يعجبه، بل كان يسقط مائدته من فوق ظهره وينصبها فى أى حقل أو غابة أو مرج ويقول:

أعـــدى الطعـــام والمذات

يا مـــائدة كل المســـرات!

فيطفح سطحها بكل ما تشتهى بطنه وما يتمناه قلب.

وفـــى يـــوم مـــن أيـــــام

ذاك العـــصــــر والزمـــان:

جلس الشاب النجار بعد تجوال وترحال فى بلاد الدنيا وفكر فى العودة لأبيه وفى أن غضب العجوز لابد وأن يكون قد زال فى هذه السنوات، وأنه سيلقاه بترحاب وسرور، لاسيما إذا علم بشأن "مائدة العجائب". وقرر الشاب العودة. مر النجار فى طريقه على مطعم فندق مكتظ بالزبائن. ولج المكان فرحب به الجلوس ودعوه للأكل معهم محذرينه من أنه لن يجد ما يأكله فى مكان آخر قريب. أجاب النجار:"

بل إنني أنا الذى أدعوكم جميعكم لتكونوا ضيفى." واعتقد الجميع أن الشاب يمزح، أما هو فكان فى هذه الأثناء قد أنزل المائدة من فوق ظهره ونصبها قائلاً:

أعـــدى الطعـــام والمذات
يا مـــائدة كل المســـرات!

ازدحمت المائدة فى الحال بألوان من الوجبات وصنوف المشهيات على نحو يعجز معه صاحب المطعم عن مجاراته. وصعدت روائح الطعام الشهى إلى الأنوف. قال النجار:" شمروا عن سواعدكم أيها الأصدقاء الأعزاء وهيا!" تطلع الحاضرون إليه، وأدركوا أنه يعنى ما قال، ولم يمهلوه ليكرره. وبجرأة هجم الكل بالسكاكين والملاعق. وشد ما تعجبوا عندما وجدوا أن ما ينفد من الوجبات تعود سلطانيات الطعام لتمتلئ من نفسها.

ظل صاحب المطعم من أحد أركان المكان يرقب ما جرى وقد دهش ولم يدر ماذا يقول أو يفعل لكنه تأمل "مائدة العجائب" وفكر فى منافعها العظيمة له هامسًا لنفسه:" آه لو لدى طباخ مثلها!" فى هذه الأثناء ظل النجار وضيفه يمضون الوقت مرحين مثرثرين حتى ساعة متأخرة من ساعات الليل، ثم انصرف الجميع للنوم ومعهم النجار الذى أسند مائدته إلى الحائط وتركها. كان صاحب المطعم قد دبر حيلة لتبديل مائدة العجائب بأخرى لديه فى المخزن تبدو مثلها تمامًا، وقد فعل.

فى الصباح دفع النجار فاتورة الحساب ومضى فى سبيله، ولم ينتبه إلى أن المنضدة التى يحملها فوق ظهره ليست هى "مائدة العجائب". وفى منتصف النهار وصل بيت أبيه. لاقاه العجوز بود واشتياق. جلسا واستفسر الأب:" ما الذى تعلمته يا بنى فى هذا الزمن؟" أجاب الابن:" أصبحت نجارًا يا أبى." أضاف الخياط:" حرفة جيدة، وما الذى أتيت به من صنع يديك؟" قال الابن:" أتيت لك يا أبتاه بأفضل شيء: بمائدة" تأملها الأب من كل جانب ثم أردف:" منضدة متداعية وليس بها أية مهارة!" أجاب النجار:" لكنها "مائدة العجائب"، إذا أمرتها بعبارة:

أعـــدى الطعـــام والمذات
يا مـــائدة كل المســـرات!

ترص أشهى الوجبات وأطيب الأطعمة وتضع ألذ أنواع النبيذ فوقها من نفسها ولا يسع المرء إلا أن يبتهج بهذا المشهد الفريد!"

دعا الأب الخياط وابنه النجار كل الأقرباء والأصدقاء كى يشبعوا ويهنأوا؛ لأن طعام المائدة كان يكفى أى عدد. حضر الضيف وتوسط الابن المكان ونصب مائدته بين المدعوين وقال:

أعـــدى الطعـــام والمذات
يا مـــائدة كل المســـرات!

لكن شيئًا لم يتبدل، وظلت المنضدة على حالها مثلها مثل أية منضدة أخرى! تعثرت الكلمات فى هذه اللحظة فى فم النجار؛ لأنه بدا

كاذبًا وأدرك أن صاحب المطعم بدل "مائدة العجائب" بمنضدة المصائب، وقد تهكم عليه القريب وضحك منه الغريب. عاد الجمع جائعًا كما كان، ظمآنًا كما أتى. وظل الأب يضرب ابنه حتى فر مرة ثانية من البيت وقصد أحد النجارين يرتزق لديه.

* * *

استقر الابن الثانى عند خباز يتقن معه الحرفة. وعندما انقضى وقت التعلم قال له الخباز:" تعلمت جيداً، وكان خلقك رفيعًا؛ لذلك أهديك حمارًا من نوع خاص، إنه لا يجر عربات ولا يحمل أثقالاً." فتساءل الشاب:" وما فائدته إذن؟!" أجاب الخباز:" إنه يتفل ذهبًا من الأمام والخلف إذا أوقفته فوق مفرش وقلت له:

لالــــــــى .. لالــــــــى
يـا حـــــــمـــــــارى!



قال الشاب:" يا له من حمار ذهبى رائع!"، وشكر معلمه ومضى يرتحل ليرى العالم. وفى ترحاله لم يكن بحاجة لشىء سوى أن يجمع قطع النقود الذهبية التى يمطرها الحمار من أمامه وخلفه. هكذا كانت جيوبه مكتظة دومًا بالمال والذهب حتى أصبحت أندر الأشياء وأثمنها لا قيمة لها بالنسبة عنده.

وفـــى يـــوم مـــن أيـــام

ذاك العـــصـــر والزمـــان:

وبعد أن مر وقت وانقضى زمان وشاهد الخباز الدنيا وما نأى من بلاد، جلس الشاب ذات ليلة وراح يتأمل على البعد وجه أبيه وهو يفاجئه بالحمار الذهبى. وقال محدثا نفسه:" سوف ينسى حنقه على بلا شك ويستقبلنى بود وحفاوة." وقرر العودة. لكن المصادفة شاءت أن يمر الخباز فى المساء وهو فى طريق العودة لأبيه على نفس المطعم الذى خدع فيه أخوه من قبل. دخل الخباز يسحب حماره وراءه وأراد صاحب المطعم أن يربط الحمار خارج صالة الطعام، غير أن الشاب أبى إلا أن يتدبر شأن حِماره بنفسه وقال:" سأقوم أنا بكل ما يتعلق بالحمار"، ثم ساقه للحظيرة وقيده. ظن صاحب المطعم أنه رجل من البسطاء، وأنه لن يربح من ورائه الكثير. لكن عندما دس الخباز يده فى جيبه وأخرج قطعتين من الذهب وطلب من صاحب المطعم شراء أجود الأطعمة للحمار، جحظت عينا صاحب المطعم من الجشع وراح يفتش عن أغلى ما لديه من وجبات. أكل الحمار وأكل صاحب الحمار، وبعد أن فرغا

سأل الخباز عن الحساب وطالبه صاحب المطعم بقطعتين ذهبيتين أخريين. واكتشف الشاب فجأة أن الذهب قد نفد من جيوبه فقال لصاحب المطعم:" انتظر يا سيدى لحظة سأذهب لأحضر الذهب!" وحمل معه المفرش. تسمر صاحب المطعم فى مكانه وتملكه الفضول ودفعه لاستراق الخطى خلف الضيف. كان الخباز قد أغلق باب الحظيرة بالمزلاج على حماره كى يأمن عليه من كل شر. صوّب صاحب المطعم بصره من ثقب فى سياج الحظيرة الخشبى إلى الحمار فإذا بالضيف يضع مفرشه للحمار ويقول:

لالـــــــى .. لالـــــــى

يــا حـــــــــــمـــــارى!

ومـا هـى إلا لحظة حـتى طفق الحـمـار يفـتل ذهبًا من الأمام والخلف إلى أن أصبحت قطع النقود الذهبية كومة كبيرة وكأن السماء تمطرها مطرًا. همهم صاحب المطعم يحدث نفسه بصوت خفيض:" يا إله السماوات والأرض، إنها لثروة، لو أمتلكها .. !" خرج الخباز ودفع ما عليه ورقد ينام.

ظل صاحب المطعم مؤرقًا لم ينم، وعندما خيم الظلام تسلل إلى الحظيرة وأخفى الحمار الذهبى وربط آخر بدلا منه. وفى ساعة مبكرة من ساعات الصباح رحل الخباز مع الحمار إلى والده. ابتهج الأب بلقاء ابنه بهجة عظيمة ولاقاه بفرحة. جلسا وسأله الخياط:" ما الذى تعلمته يا بنى فى هذا الزمن؟" أجاب الابن:" أصبحت خبازًا يا أبى." أضاف

الأب:" وبماذا أتيت من صنع يديك؟" قال الخباز:" لا شيء يا أبتاه سوى حمار." قال الأب:" الحمير هنا كثر يا بني، كان الأفضل لي ماعز." أضاف الابن:" إنه حمار ذهبي يا أبي وليس حمارا عاديا، عندما أقول له:

لالـــــــي .. لالـــــــي

يـا حـــــــمـــــاري!

يتفل فورًا ذهبًا من الأمام والخلف ويملأ به مفرشا، ادع كل الأقرباء وسوف أجعلهم جميعا أثرياء." قفز الخياط يقول:" يروقني هذا، ولن أضطر بعد الآن لعمل الإبرة المنهك." ومضى في التو يدعو الأقرباء. التأم شمل العائلة وأفسح الخباز مكانا وسط الجمع وألقى بمفرشه للحمار وقال:

لالـــــــي .. لالـــــــي

يـا حـــــــمـــــاري!

لم تتساقط أية نقود ولا ظهر أي ذهب! وتبين أن الحمار لا يتقن أيًا من تلك الفنون، وأنه حقًا حمار. اكفهر وجه الخباز وأدرك الخدعة التي وقع فيها واعتذر للحاضرين الذين أتوا معدمين ورحلوا محتاجين. عاد الأب العجوز لعمل الإبرة وبعث بابنه إلى أحد الخبازين يعمل لديه.

* * *

أما الأخ الأصغر فقد قصد خراطا يتعلم لديه. وقد استغرق

إتقان هذا الفن زمنًا أطول مما أمضاه أخواه الآخران فى حرفتيهما. فى هذه الأثناء كان الأخوان قد بعثا إليه برسائل وفى إحداها قصا عليه ما وقع لهما لدى صاحب المطعم المحتال وكيف سرق منهما "مائدة العجائب" و"الحمار الذهبى".

انقضى زمن التعلم، وأصبح الأخ الأصغر خراطًا. وأحب الشاب أن يرتحل فى العالم، وجاء له معلمه يقول:" لقد كنت مجدا مهذب السلوك لذا سوف أهديك مخلاة داخلها نبوت." تساءل الشاب:" المخلاة أعلقها فى كتفى ولها منافع، ولكن ما فائدة النبوت؟" أجاب المعلم:" إذا ألحق أحد بك ضررا، ما عليك إلا أن تقول:

تــــوت تــــوت تــــوت

اخــــرج يا نبــــوت!



فيقفز النبوت على الفور بين الناس ويسوط ظهورها فلا يستطيعون الحركة ثمانية أيام، ولا يعود النبوت أبدًا إلى المخلاة إلا إذا أمرته بذلك وقلت:

تــــوت تــــوت تــــوت
ادخل يـا نبـــــــوت!

تعجب الشاب للنبوت السحرى، وشكر معلمه ومضى فى سبيله.

أدى النبوت السحرى واجبه على أتم وجه. وكان الخراط عندما يتعرض لمشاجرات أو عراك يأمر النبوت السحرى قائلا:

تــــوت تــــوت تــــوت
اخــــرج يا نبــــوت!

فيقفز النبوت ويطيح بمن حوله ويبرحهم ضربا فوق ظهورهم وعلى أرجلهم وفى صدورهم، واحدا تلو الآخر دون أن يلحظه إنسان شد ما هو خفيف سريع فتاك. شاهد الفتى الدنيا واكتفى بما خبر وقرر العودة لأبيه العجوز.

وصل الخراط فى طريقه إلى نفس المطعم الذى ورد إليه من قبل أخواه. دخل ووضع حقيبته فوق المنضدة وراح يحكى بصوت مرتفع عما رآه من غرائب الدنيا وعاشه من عجائب الناس فى ترحاله. وقال:" هناك على سبيل المثال "مائدة العجائب" وكذلك "الحمار الذهبى" وأشياء أخرى أكثر ندرة، غير أن كل هذا لا يقارن بالكنز الذى عثرت عليه وحفظته فى هذه الحقيبة"، مشيرا بإصبعه إلى حقيبته. كان صاحب المطعم يرهف

السمع ويتطلع إلى الحقيبة، وظن أنها مليئة بالأحجار الكريمة الثمينة. وقرر أن يستحوذ عليها كما فعل مع "مائدة العجائب" و"الحمار الذهبى" وقال يحدث نفسه:" لا تصبح الأشياء حسنة إلا إذا اكتملت ثلاثة، لدىّ "مائدة العجائب" و"الحمار الذهبى"، وبهذا الكنز تصبح هذه العجائب ثلاثا."

وفى المساء رقد الخراط فوق أريكة وتوسد حقيبته تحت رأسه. ومر وقت ظن صاحب المطعم بعده أن الشاب يغط فى نوم عميق، غير أن الخراط كان ينتظر هذه اللحظة. تسلل صاحب المطعم إليه فى هدوء وحذر، وهم بسحب الحقيبة وبسط وسادة أخرى له، فى هذه اللحظة صاح الشاب:

تـــــوت تـــــوت تـــــوت

اخـــــرج يا نبـــــوت!

انطلق النبوت من المخلاة وفتك بالرجل وكاد يودى بحياته فراح يتوسل المغفرة، ولكن كلما كان صياح الرجل يرتفع أكثر من الألم، كان النبوت يوسعه ضرباً ويمعن فى الأذى. قال له الخراط: "لن أعفو عنك أو أجعل النبوت يتوقف إلا إذا أعدت "مائدة العجائب" و"الحمار الذهبى"! سقط صاحب المطعم فوق الأرض وأجاب بصوت متهالك:" سأعيد إليك كل ما شئت، لكن أبعد هذا النبوت اللعين عنى وأدخله مكانه!" قال الخراط:" ولكن احذر المكائد والانتقام!" وعده صاحب المطعم بكل ما أراد، فترك الخراط صاحب المطعم يلتقط انفاسه وأمر النبوت بالدخول إلى المخلاة قائلاً:

تــــوت تــــوت تــــوت
ادخـل يـا نـبــــوت!

غادر الابن الأصغر فى الصباح المطعم، ورحل عائدا إلى أبيه يصطحب "الحمار الذهبى" و"مائدة العجائب" و"النبوت السحرى". فرح الأب فرحًا عظيمًا ورحب بالابن وسأله:" ما الذى تعلمته يا بنى فى هذا الزمن؟" أجاب الابن:" أصبحت خراطا يا أبى." قال الأب:" إنها حرفة جيدة وفن رفيع، وما الذى أتيت به من ترحالك؟" قال الخراط:" بشىء ثمين للغاية يا أبتاه، نبوت فى مخلاة." صاح الأب:" ماذا! نبوت! هل يستحق النبوت عناء حمله؟ ولما لم تكسر لنفسك أى نبوت من أية شجرة؟" قال الابن:" إنه نبوت سحرى يا أبى العزيز، إذا أمرته بالخروج من المخلاة، قفز ودار فى رقصة شريرة يطيح فيها بالمحيطين بى ضربا ويسوط ظهورهم، ولا يكف إلا إذا أمرته بالعودة لمكانه بعدما يتضرع الإنسان إليك ويتوسل العفو منك، كما أننى استرددت به "مائدة العجائب" و"الحمار الذهبى" اللذين سرقهما صاحب مطعم محتال من أخويى. الآن أدع كل الأقرباء، أود أن أطعمهم وأسقيهم وأجعلهم جميعًا أثرياء وأملأ حقائبهم بالذهب!"

ورغم أن الخياط العجوز لم يستطع أن يثق بما رواه أصغر الأبناء إلا أنه ركض من البهجة يدعو الأقرباء. اجتمع شمل العائلة مرة ثالثة وألقى الخراط بالمفرش فوق الأرض وسط الضيوف وسحب الحمار وطلب من أخيه أن يأمره، قال الأخ الخباز:

لالـــــــــى .. لالـــــــــى
يـا حـــــــــــمــــارى!

وإذا بالحمار يفتل ذهبا من الأمام ومن الخلف وتسقط النقود الذهبية فوق المفرش وكأن الدنيا تمطرها بسخاء. لم يتوقف الحمار حتى أصبح لدى كل واحد من الحضور ما ينوء بحمله.

(وأنت أيها القارئ .. إننى أراك، تتمنى أنت الآخر لو كنت بينهم وأخذت من الذهب قدر ما شئت، أليس كذلك!)

نصب الخراط بعد ذلك مائدة العجائب وطلب من أخيه أن يأمرها فقال الأخ النجار:

أعـــدى الطعـــام والمذات
يا مـــائدة كل المســـرات!

امتلأت "مائدة العجائب" على الفور بألوان من الوجبات وأصناف من المشهيات وأنواع من الأطعمة اللذيذة. أكل الجميع وشبعوا حتى التخمة، ثم جلسوا يلتقطون أنفاسهم. وظل الأقارب يتحدثون ويتسامرون فى مرح وارتياح حتى ساعة متأخرة من الليل كما لم يحدث من قبل فى بيت الخياط العجوز.

أما الأب فقد حفظ الإبرة ومزورة الخياطة والمكواة داخل خزانة وأغلقها وعاش مع أبنائه الثلاثة الخباز والنجار والخراط فى سعادة وهناءة والتأم شمل الأسرة. ولكن .. إلى أين ذهبت العنزة؟ وأين

اخـتفت؟ ألم تـكن هـى المذنبـة فى طرد الأبناء ؟ ألـم تكن هـى السـبب فى كل ما جرى من احداث؟

* * *

استـحت العنزة من هيـئـتهـا بعـد أن حلق لهـا العـجـوز رأسـهـا وتوارت كى لا يراهـا أحد فى جـحـر ثعلب ذى فراء أحـمـر. وعندمـا عـاد الثعلب فى الظلام لجـحـره رأى عينين تتقدان أمامـه فتقـهقر وانصـرف خـائفـا. وفى الطريق التـقى الثـعلب بالدب ولاحـظ الثـانـى أن الثـعلب مـضطرب فسـأله:" مـا بك يا عزيزى؟" أجاب الثعلب:" يجلس فى جحرى حيوان يكشر عن أنيابه وينظر إلىّ بعيـون نارية." قـال الدب:" فلنذهب ونخرجه فى التو." ذهب الاثنان وولج الدب الجـحر وأبصر عينين ناريتين فـجـزع هـو الآخر وقـرر ألا ينازل هذا الوحش وانسل من المكان هـاربًا. ومـضـى الدب فى سـبيله والتـقى النحلة التى رأت أن الدب جـهم مـغـتم فسـألته:" أين ذهب عنك مرحك يا دب؟ إن هيئتك حزينة جدًا؟" أجاب: "فى جـحـر الثعلب يجلس حـيوان يكشـر عن أنيابه بعينين جـاحظتين ولم نتمكن من طرده." قـالت النحلة:" يؤسـفنى هذا للغـاية. ولكن .. أتدرى؟ إننـى صـغـيـرة جـدًا ويكاد المرء لا يلحظنى لكن بوسـعـى رغم ذلك مساعدتكما." طارت النحلة حتى الجحر ودخلته وحطت فوق رأس العنزة الحليق ووخزتـها بـعنف، فـقـفـزت العنزة وبوثبـة واحـدة غـادرت الجـحـر وراحت تصـرخ: مـاء .. مـاءءء، ثم ركضت واخـتـفت عن الأبصـار، ولا يدرى أحد حتى اليوم أين هـى ؟ وماذا تفعل!!

* * *

كان يا ما كان   حدوتة زمـــان

حكاية يرويـها   الدهـر والمكـان

وأخرى يطويها   العمر والنسيان

وهــذه يحكـيها   جـريم الأخـوان

لك هـنا والآن:



عقلة الإصبع



كـــان يا مــــا كـــــان
فـــى بـــلاد الألمـــان
فـــلاح مــــسكيــن
عــــاش من زمــــان:

وكان جالسًا ذات مساء قرب الموقد يؤجج ناره وتغزل زوجته بجواره، وفى سكون لف كل شىء قال الرجل بشجن:" كم هى حزينة حياتنا يا زوجتى دون أطفال، منزلنا دومًا هادئ بينما تضج بيوت الآخرين مرحًا بالأبناء." تنهدت الزوجة قائلة:" حقًا .. لو كان لدينا طفل

واحد فقط وليكن حتى صغيراً فى حجم إصبع الكف، لاكتفيت به وابتهجت ولأحببناه من أعماق قلوبنا."

بعد أن باح الزوجان بأمنيتهما انقضت فترة وجيزة أحست بعدها المرأة بتوعك تبين أنه الحمل، ووضعت بعد سبعة أشهر صبياً فى حجم إصبع الكف رغم أن شيئًا لم يكن ينقصه من أعضاء أو أطراف. دهش الزوج وتعجبت الزوجة، لكنهما ابتهجا به وقالا:" إن الصبى كما تمنيناه بالتمام"، وأسماه" عقلة الإصبع". راحت الأم ترضعه بكثرة والأب يطعمه بوفرة كى يكبر، غير أنه بقى فى حجم الإصبع، وكان تألقه ونموه يبدوان فقط على نظرات عينيه التى سرعان ما وعدت بصبى نشط حاذق ماهر فى كل ما يفعل.

وفى يوم من الأيام تأهب الأب للذهاب إلى الغـــابة لقطع الأخشاب، وهمس يحدث نفسه قائلاً:" آه .. كم أود لو أن أحداً عاوننى الآن وأتى لى بالعربة إلى الغابة!" صاح به عقلة الإصبع:" نعم يا أبى .. أنا أقود لك العربة، وستكون فى الموعد الذى تحدده فى الغابة، ثق فى ذلك!" ضحك الأب قائلاً:" كيف لك أنت أيها الصغير بقيادة الفرس والإمساك باللجام!" أجاب عقلة الإصبع:" الصغر لا يهم يا أبى، تربط أمى الحصان فى العربة وأجلس أنا فى أذنه وأوجهه إلى أين يسير." قال الأب:" حسنًا .. لنجرب إذن!"

أسرجت الأم الفرس وربطته فى العربة وجلس عقلة الإصبع داخل أذنه يلقنه إلى أين يسير. انطلقت العربة فى الطريق المستقيم إلى الغابة ومضى كل شيء على أفضل ما يرام. وعند أحد المنعطفات

أبطأت العربة كي تعرج على الدرب، ولاحظها رجلان كانا يتنزهان ففوجئا بعربة تسلك طريقها بنفسها، وصاح أحدهما:" يا إلهي! ما هذا؟ العربة تسير بصوت مسموع لكن السائس لا يرى!!" أجاب الآخر:" حقًّا.. إن في الأمر سرًا ما.. هيا نتبعها حتى تتوقف!" واصلت العربة السير حتى مكان الأخشاب، وهناك لمح الصبى أباه وصاح به:" أترى يا أبى .. ها أنا ذا بالعربة فى الموعد المحدد وفى المكان الصحيح .. والآن أخرجنى!" أمسك الأب الفرس بساعده الأيمن وبيده اليسرى أخرج عقلة الإصبع من أذنه. هبط الصبى مرحًا وجلس فوق نبتة فى العشب.

كان الغريبان يراقبان من بعيد ما جرى ودهشا وتعجبا وسحب أحدهما الآخر من ذراعه قائلاً:" هيا نحاول شراء الصغير إنه سيدر علينا مالاً كثيرًا لو عرضناه فى شوارع إحدى المدن الكبرى." ذهبا للفلاح وعرضا عليه الصفقة قائلان:" بع لنا الإنسان الصغير وسنكفل له حياة رغدة!" أجاب الأب:" كلا! إنه فلذة كبدى وأغلى عندى من كل كنوز الدنيا." سمع عقلة الإصبع ما قيل وبسرعة تسلق ظهر أبيه وقفز فوق كتفيه وهمس له:" وافق يا أبى وسأعود إليك!"

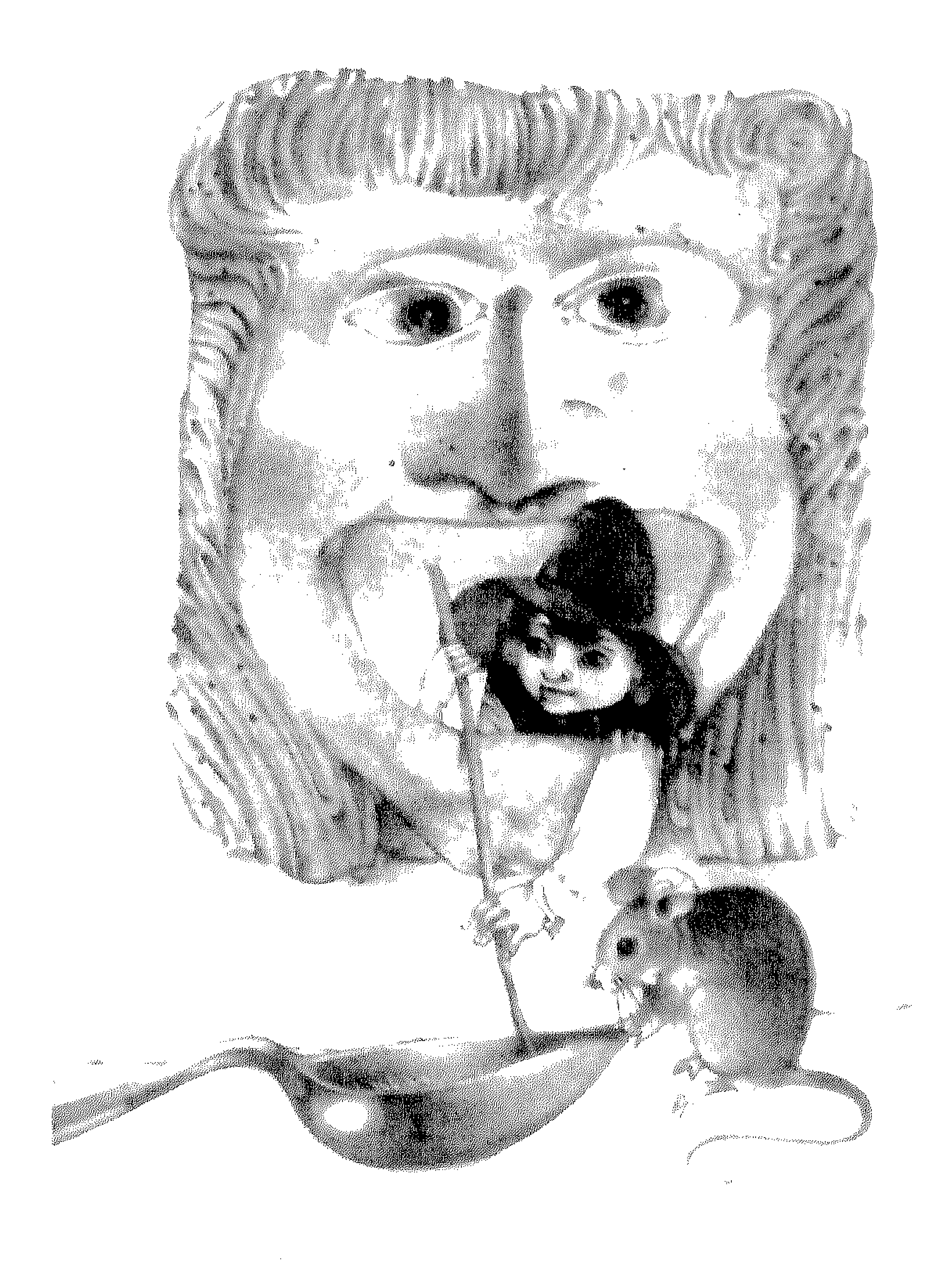
حصل الفلاح على حفنة كبيرة من الذهب وأعطى الطفل للرجلين حيث بادر أحدهما بسؤاله:" أين تريد الجلوس؟" أجاب عقلة الإصبع: "على حافة قبعة أحدكما حتى أتجول هنا وهناك وأشاهد الطبيعة ولا خطر علىّ من السقوط." ودع الصبى أباه وجلس وراء حافة القبعة ومضى ثلاثتهم فى سبيلهم حتى غربت الدنيا، فطلب عقلة الإصبع من الرجل أن ينزله كى يقضى حاجته فأجابه:" ابق حيث أنت واقض

حاجتك عندك! العصافير فى بعض الأحيان تترك لى أيضًا أشياء فوق قبعتى فلا تعبأ." قال الصبى:" كلا .. كلا ! أنا صغير لكننى أعرف أصول الأدب، أنزلنى بسرعة من فضلك!" رفع الرجل قبعته بحرص ووضع عقلة الإصبع فوق العشب. وما إن وطأت أقدام الصبى الأرض حتى قفز فى عجلة ثم اندس بين كتل التراب وراح يتلوى هنا وهناك إلى أن عثر على جحر فأر وأخذ يزحف إلى عمقه واختبأ به. ومن داخل الجحر صاح على الغريبين:" مساء الخير أيها السادة! تستطيعون الآن الذهاب دونى." ثم ضحك منهما ملء قلبه. ارتبك الرجلان وأخذا يخزان ثقب الحفرة بعصا، وبعد محاولات فاشلة للإمساك بالإنسان الصغير انصرف الرجلان وحدهما دون عقلة الإصبع ودون الذهب مكدرين غاضبين.

أدرك عقلة الإصبع بعد حين أن الغريبين قد انصرفا وبدأ ينبش تحت الأرض إلى أن أطل فوقها وأبصر الدنيا من حوله ظلماء وليلها قد أدمس وفكر فى:" أن السير فوق العشب خطر وقد أجرح قدمى أو أكسر رقبتى." فى هذه الأثناء اصطدم وسط التراب بقوقعة وجدها بيتا آمنا وحمد الله وانسل داخلها لينام. بعد وهلة، ولم يكن عقلة الإصبع قد غفا، تهادى إلى سمعه صوت رجلين يتحدثان ويقول أحدهما للآخر:" كيف نبدأ العملية كى نسرق من القسيس الثرى أمواله وفضته؟" قاطعهما عقلة الإصبع قائلاً:" أنا أدلكما على الطريقة." جزع اللصان وتساءل الثانى:" من الذى سمعته يتحدث؟" تسمّر اللصان فى مكانهما يصيخان السمع. فأضاف عقلة الإصبع:" اصطحبونى معكما وأنا

أساعدكما!" تساءل اللصان:" أين أنت؟" أجاب:" انبشا العشب ولاحظا مصدر الصوت!" عثر عليه الرجلان وقالا فى اندهاش وهما يرفعانه:" وكيف تساعدنا وأنت فى حجم عقلة الإصبع؟" أجاب الصبى:" الأمر بسيط، أتسلل من بين قضبان الحديد إلى غرفة القسيس وأنقل لكما ما تريدان." استحسن اللصان الخطة وقالا:" إذن فلتثبت لنا مهارتك!"

بلغ اللصان مع الصبى بيت القسيس، وانسل عقلة الإصبع إلى الحجرة ومن داخلها راح فجأة يصيح بكل ما أوتيت حنجرته من قوة:" ما الذى تريدانه من هنا؟" فزع اللصان وقالا له:" تكلم بهدوء كى لا يفيق أصحاب الدار!" زعق عقلة الإصبع من جديد وكأنه لم يسمع شيئًا:" ماذا تبغيان؟ كل شيء؟". أيقظ صراخ الصبى الطاهية التى اعتدلت فى فراشها واخذت تصغى لما يجرى فى بيت سيدها وارتاع اللصان خوفا من ضجيج الصبى وتراجعا للوراء بضع خطوات، لكنهما ظنا أن الصغير يشاكسهما لا أكثر ولا أقل فهمسا له:" كن جادًا وناولنا أى شيء مما لديك فى الغرفة!" لم يأبه عقلة الإصبع بهما وجأر للمرة الثالثة بعنف قائلاً:" سأنقل لكما إذن كل شيء، مدا أيديكما!" استمعت الخادمة هذه المرة للصوت بجلاء لا يقبل الشك فقفزت من فراشها تركض وعندما تعثرت فى باب الغرفة وهى تنطلق للخارج، لمحت اللصين يهرولان من الهلع كما لو كان قناص الوحوش المفترسة وراءهما بالبنادق والمرصاد. أشعلت الخادمة مصباحًا تبدد بضوئه العتمة وراحت تفتش وتنبش كل ركن فى البيت ولم تجد شيئًا فظنت أن ما وقع كان حلمًا من أحلام اليقظة ورقدت تنام.



في هذه الأثناء كان عقلة الإصبع قد وجد لنفسه سريراً وثيراً في غرفة الخزين بين أعواد الأعشاب المجففة استلقى فيها يرتاح حتى انداح النهار ليبدأ في رحلة العودة لأبويه. على هذا النحو وضع الصغير خطته قبل أن يغفو، غير أن القدر كان يضمر له المزيد من معتركات الحياة الزاخرة بالأحزان والمآسي.

نهضت الخادمة مع مطلع الفجر وبادرت بعلف المواشي. قصدت مخزن الغلال واغترفت ملء كفيها من الحشيش والأعشاب المجففة التي كان عقلة الإصبع المسكين يرقد داخلها غارقًا في نوم لم يشعر في عمقه ولذته بشيء، بل ولم يفق إلا وهو في فم البقرة التي ابتلعته مع العشب. حينئذ صاح الصغير يصرخ:" يا إلهي! كيف انتهيت إلى هذه المطحنة؟!"وأدرك عقلة الإصبع على الفور موقعه الجديد وراح يتقلب بحذر كي لا يقع تحت أضراسها أو بين أسنانها ثم انزلق للمعدة محدثًا نفسه:" يا لها من غرف مظلمة!" لم تستهو الشقة الجديدة الصبي خاصة وأن البقرة أخذت تزج بالعلف حفنة تلو الأخرى وتضيق عليه الخناق وتكتم عن صدره الهواء. صاح عقلة الإصبع مرتاعًا من أحشاء البقرة:" لا تأتوا لي بمزيد من العلف!" وبلغ صوته الخادمة المفزّعة التي أدركت في الحال أنه ذات الصوت الذي هتف بالأمس من غرفة القسيس وجرت في هلع إلى سيدها تقول:" يا إلهي! سيدي القسيس! البقرة تتكلم!!" أجابها القسيس:" حقًا إنك ملتاثة." وفكر القسيس وهلة ثم ذهب ليرى بنفسه ما الذي يجري في حظيرة المواشي. وما إن ولج المكان حتى سمع صوتًا يزعق من جوف البقرة:" لا تأتوا لي بمزيد من

العلف!" ذعر القسيس، وظن أنها روح شريرة سكنت جسد البقرة وأمر بقتلها فوراً.

ذبحت البقرة وألقى بأحشائها التى تعلق بها عقلة الإصبع إلى الروث. حينئذ جاهد الصبى حتى شق طريقه إلى الهواء واشرأب بعنقه ليقع فى بلية أخرى كانت فى انتظاره: اقترب ذئب جوعان من الروث وابتلع معدة البقرة بالصغير دفعة واحدة. فرسا عقلة الإصبع فى بطن الذئب لكنه لم يهب الموقف ولم يخف، إنما حاور الذئب قائلاً:" لك عندى وجبة دسمة يا عزيزى الذئب." سأل الذئب:" وأين هى؟" وصف الصبى له الطريق إلى بيت والديه بدقة ثم قال:" هناك ستجد من السجق قدر ما تريد ومن الفطائر ما يشبعك."

قصد الذئب على الفور البيت وسلك طريق مواسير الصرف ودخل المنزل ثم توجه متخفياً إلى غرفة الخزين وأكل حتى التخمة، لكنه زنق وهو عائد فى نفس البالوعة بعد أن انتفخت أمعاؤه من الطعام، حينئذ وكما خطط الصبى الحذق أخذ عقلة الإصبع يصيح من جوف الذئب ويصرخ محدثاً ضجيجاً عالياً. قال له الذئب:" اهدأ وإلا أيقظت أصحاب الدار!" أجاب عقلة الإصبع:" أنت أكلت وهنئت وأنا أريد أن ألهو وأمرح." واصل الصغير صراخه حتى أفاق والداه ورأيا ذئباً بالبيت من ثقب مفتاح الباب، أمسك الرجل ببلطة والمرأة بهراوة غير أن الأب سمع صوت ابنه يقول:" أنا هنا فى بطن الذئب يا أبى."

حمد الأبوان الله على عودة ابنهما وقتل الرجل الذئب فى رأسه

كى لا يصيب عقلة الإصبع وبسكين ومقص شق أحشاءه وأخرج الصغير. ابتهج الأب بابنه قائلاً:" طالت رحلتك فى الدنيا يا بنى لكن حمداً لله .. الآن فقط تنفست الصعداء." ثم سأل الأب:" وأين كنت وأين ترحلت يا بنى؟" أجاب الصبى:" آه يا أبى .. كنت فى جحر فأر، وفى بطن بقرة وفى جوف ذئب، والآن سأبقى معكما." رد الوالدان:" ونحن لن نبيعك أبداً بعد الآن ولا من أجل كنوز الدنيا كلها."

عانقت الأم طفلها واحتضنه الأب وانشغلا بطعامه وشرابه ولباسه الجديد وعاش الجميع فى سعادة وهناءة طول العمر.

* * *

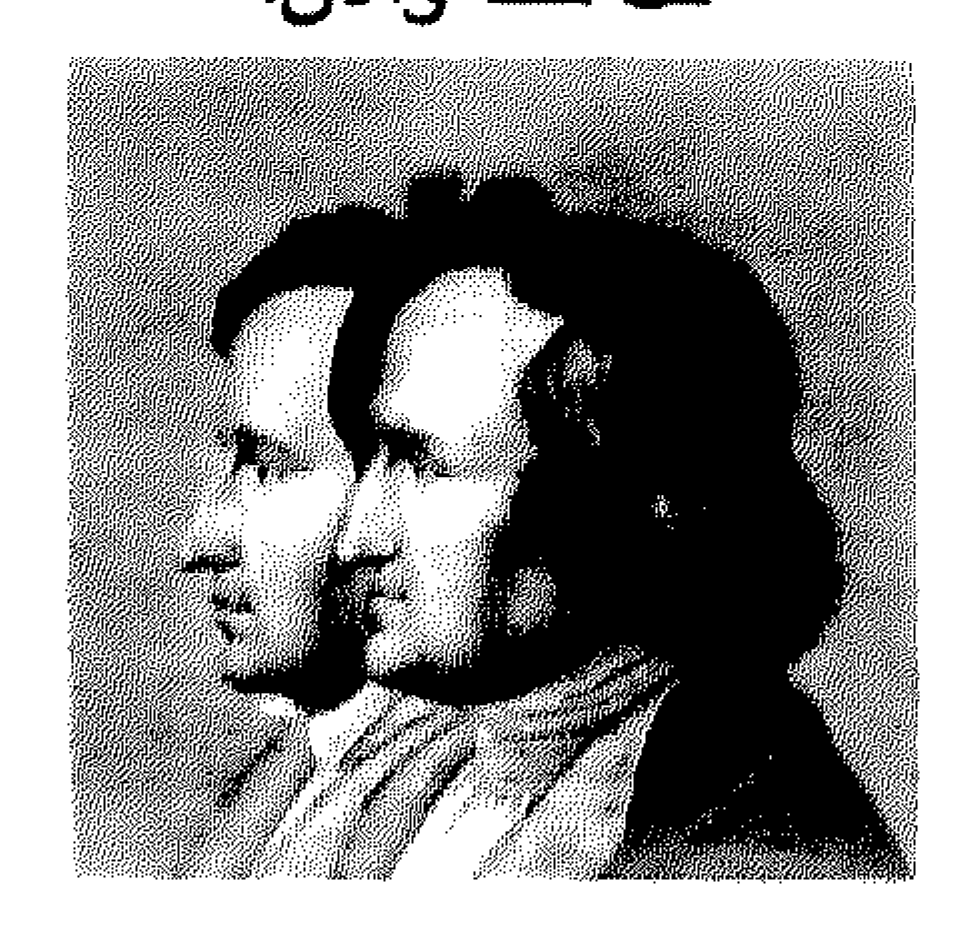
كان يا ما كان حدوتة زمان

حكاية يرويها الدهر والمكان

وأخرى يطويها العمر والنسيان

وهذه يحكيها جريم الأخوان

لك هنا والآن:



الموت أبا

DER GEVATTER TOD



كان يا ما كان
فى بلاد الألمان
الدنيا حياتان
للإنسان خياران:
ملاك وشيطان
جنة ونيران

أنجب رجل اثنا عشر طفلاً، وكان عليه أن يوصل الليل بالنهار كدًا وعملاً كى يطعمهم خبزًا جافًا لا أكثر. وعندما رزق بالثالث عشر

حار الرجل وربك فى أمره وعوزه فخرج إلى السبيل عازمًا النية على أن يطلب من أول من يصادفه أن يصبح بلا عنه أبًا للوليد. وكان أول من التقى به الرجل هو ملاك الرحمة. وقد كان الملاك على علم بما يطويه الرجل فبادره قائلاً:

- " إنى أرسى لحالك وسأقوم أنا بتعميد ابنك وأكون أبًا روحيًا له وسأعتنى به وأسعده فى حياته الدنيا."

- سأل الرجل:" ومن أنت ؟"

- أجاب:" ملاك الرحمة."

- قال الرجل:" إذن لن تكون أبًا لإبنى ، إنك تهب الأغنياء وتترك الفقراء يتضورون جوعًا." وقد نطق الرجل بذلك لأنه جهل حكمة الله فى تقسيم الفقر والثراء على عباده.

ترك الفلاح الأب الروحى الأول والتقى الشيطان الذى قال له:

- " اتخذنى أنا أبًا لابنك سأهديه الذهب بفيض فيثرى وأمنحه كل مرح العالم فيسعد!"

- سأله الفلاح:" ومن تكون؟"

- أجاب:" الشيطان."

- قال الرجل:" إذن لن تكون أبًا لابنى، إنك تخدع الناس وتضللهم."مضى الفلاح فى طريقه فأقدم عليه الموت بساقيه اليابستين

يحدثه:

- " اقبلنى أنا أبًا لابنك!"

- سأل الرجل:" من أنت؟"

- قال:" أنا الموت الذى يعدل بين البشر أجمعين."

- أضاف الرجل:" أنت من أبحث عنه، لأنك تساوى بين كل الناس وتميت الغنى كما تميت الفقير دون تفريق، ستصبح إذن أبًا لابنى."

- الموت:" حقًا إن من يتخذنى صديقًا لا يحتاج لأى شىء، سأغنى ابنك وأجعل صيته يلف الدنيا ويطوى العالم شهرةً."

- الرجل:" التعميد يوم الأحد القادم، كن إذن هناك فى الموعد!"

حضر الموت فى موعده وتمت مراسيم التعميد. وكبر الطفل وفى يوم من الأيام ساقه الموت إلى غابة، وهناك عرّفه على عشب ينمو وقال للشاب:" ستحصل الآن على هدية أبيك الروحى: سأجعل منك طبيبًا ذائع الصيت! عندما يستدعيك أحد المرضى سأظهر لك فى كل مرة. إذا وقفت لك عند رأس المريض، فاعلم أن الشفاء سيكون على يديك أكيد ويمكنك حينئذ أن تعد أهله بذلك بجسارة، وأعطه من هذا العشب وسوف يصح بعد ذلك ويتعافى، أما إذا وقفت عند قدمى المريض فاعلم أنه لى، لا سبيل لشفائه، ولن يكون بمقدور أى طبيب فى العالم إنقاذه. لكن احذر أن تداوى بالعشب على غير إرادتى وإلا ستندم ندمًا كبيرًا!"

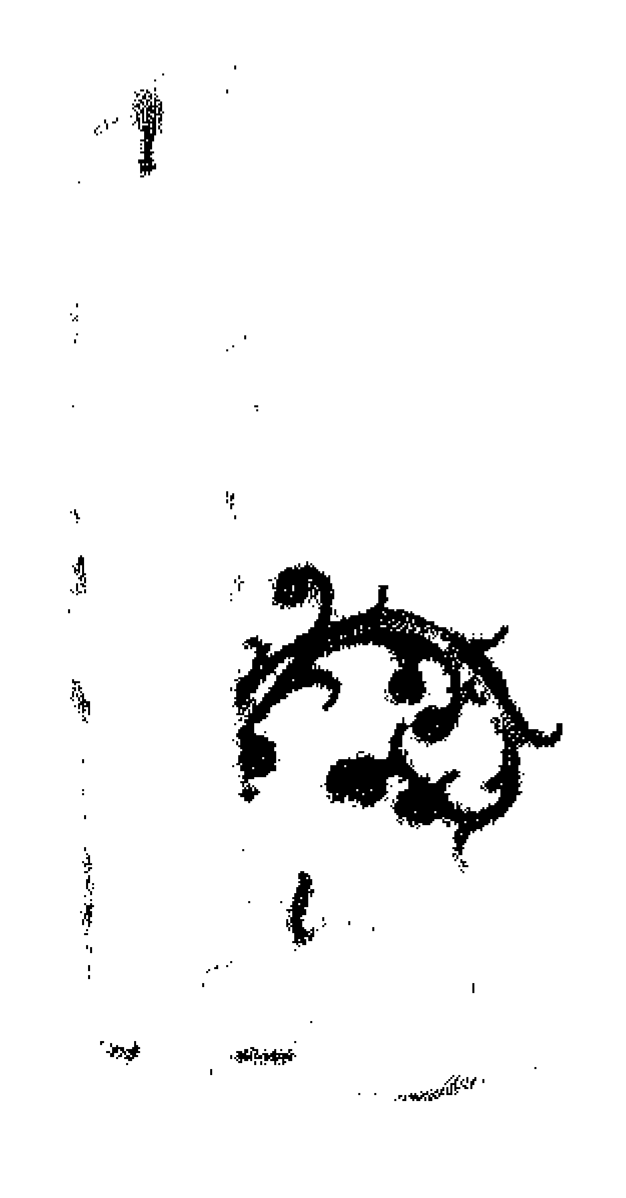
أصبح الشاب بعد فترة وجيزة أشهر طبيب فى العالم. وكان يرى المريض ويشخص على الفور علته ويقرر حالته ويعرف إذا كان سيحيا أم يهلك. على هذا النحو ذاع صيته فى طول الدنيا وعرضها، وكان الناس يهرولون إليه من غرب الدنيا وشرقها، وقد جنى من الذهب الكثير وبسرعة أصبح ثريًا.

وفى يوم من الأيام اعتل الملك وسقم واستدعى الطبيب الشاب ليحسم أمره ويبت فى مرضه وشفائه. دخل الطبيب غرفة الملك وكان الموت ماثلاً عند قدميه. تفكّر الشاب: لن يفيدنى العشب بشىء، ماذا سيحدث إذا خدعت الموت مرة واحدة فقط، سيغضب بالطبع لكنه سيغض الطرف بالتأكيد لأننى ابنه الروحى، علىّ أن أتجرأ وأغامر! أمسك الطبيب الملك من قدميه وأداره بينما ظل الموت ثابتًا فى مكانه حتى أصبح رأس الملك عند الموت ثم أطعمه العشب. صح الملك وشفى، لكن الموت أتى للطبيب غاضبًا بوجه مكفهر وقال له وهو يلوح مهددًا بإصبعه فى وجهه:" لقد خدعتنى .. وسأعفو عنك هذه المرة فقط لأنك ابنى الروحى، لكن لتعلم أنك إذا تجرأت وقمت بفعلتك تلك مرة أخرى فسوف تلقى حسابًا عسيرًا وتصبح أنت نفسك من نصيبى بدلاً من المريض المحكوم عليه بالهلاك." ثم انصرف الموت حانقًا.

انقضى زمن ثم اعتلت ابنة الملك الوحيدة بمرض فتاك. وكان الملك يبكى ابنته ليلاً ونهارًا حتى فقد بصره وأعلن عن أن من ينتزعها من قبضة المنون سيتزوجها والتاج والعرش ميراث له. ذهب الطبيب للمريضة وعندما اقترب من فراشها كان الموت واقفًا عند قدميها، وأغفل

الطبيب تحذير الموت له، بعد أن خلب جمال الأميرة فؤاده وسلبه العرش عقله فراهن على سعادته وضرب عرض الحائط بكل التحذيرات، ولم يلحظ حتى أن الموت يصوب إليه نظرات غضب ويرفع قبضته نحوه فى الهواء فى تهديد ووعيد. رفع الطبيب المريضة وأدارها فجعل رأسها مكان قدميها ثم أعطاها العشب وانصرف. وسرعان ما توردت وجنتاها مرة أخرى وتدفقت إليها الحياة من جديد.

وجد الموت نفسه قد خدع فى سلطانه للمرة الثانية فهرول إلى ابنه وقال له:" انتهى أمرك وسيحل عليك الدور الآن." وبعنف قبض الموت بيد باردة كالجليد على ذراع الطبيب قبضة لم يستطع معها الشاب الفكاك وسحبه إلى جوف الأرض. رأى الطبيب ضوء آلاف وآلاف الشموع وقد اشتعلت صفوفًا متوهجة بجلاء، البعض منها طويل والآخر معتدل والأخير قصير، وفى كل لحظة تنطفئ منها أعداد وتشتعل أخرى فى تناوب مستديم، ويظل توهجها يتردد ويخفق.



قال الموت للطبيب:" أترى هذه الشعلات؟ إنها نبض حياوات البشر، الكبيرة منها للأطفال والمعتدلة للأزواج فى أجمل سنوات العمر والصغيرة للشيوخ والعجائز، لكن فى أحيان كثيرة يكون لدى الصغار خفق شعلة قصيرة. سأل الطبيب:" وأين شمعتى؟" وهو يظن أنها مازالت كبيرة جداً. أشار الموت إلى شعلة جد ضئيلة تهدد بالانطفاء فى كل لحظة وقال:" ها هى!" أجاب الشاب مصعوقًا:" يا إلهى! أشعل لى يا أبى الحبيب واحدة أخرى كى أتمتع بحياتى وأتزوج الأميرة وأصبح ملكًا!" أجاب الموت:" ليس باستطاعتى ذلك، لابد أولاً أن تنطفئ واحدة كى تتوهج أخرى." توسل الطبيب قائلاً:" إذن ضع واحدة جديدة أسفل شمعتى كى تظل الشعلة منيرة!" تظاهر الموت بأنه يلبى أمنية ابنه وتناول شمعة كبيرة وأرعش أصابعه عمداً لأنه ضمر الانتقام وأفلتها من يده، فسقطت وانطفأت وهوى معها الشاب على الأرض وأصبح بين أحضان الموت.

* * *

كان يا ما كان   حدوتة زمان

حكاية يرويها   الدهر والمكان

وأخرى يطويها   العمر والنسيان

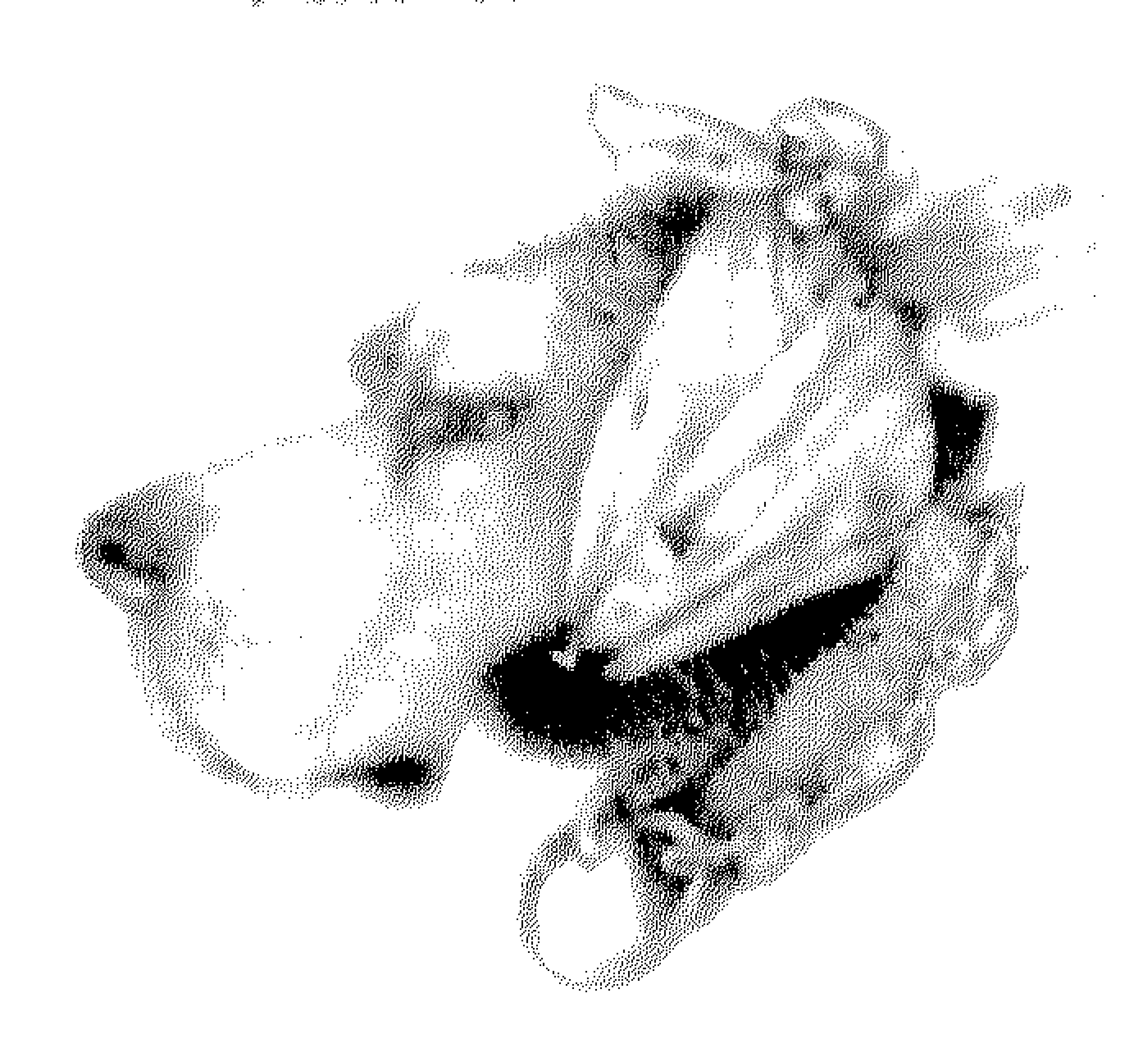
وهـذه يحكيها   جـريم الأخـوان

لك هـنا والآن:



سلطان العجوز

DER ALTE SULTAN



كان يا ما كان
في بلاد الألمان
فلاح اكتنف حيوان
كلبًا وفيًا لكل آن
كان اسمه سلطان:

وبعد سنوات طويلة وأعوام شاخ الكلب سلطان، وتساقطت من فيه الأسنان، وأصبح عاجزًا عن الإمساك بأى شىء بفمه، وخطط الفلاح للخلاص منه. وذات يوم من الأيام وقف الرجل يفكر أمام عتبة

البيت وقال لزوجه:" سأرمى غداً سلطان بالرصاص، إنه لم يعد ينفعنا بشيء." لكن المرأة كانت تحب سلطان وبدت نهايته لها مفجعة فقالت:" لنرحم الكلب العجوز، لقد خدمنا وحرسنا زمنًا طويلاً بوفاء، لنرأف به ونطعمه خبزه ونتركه بقية عمره لقدره." أجاب الزوج بحنق:" ما تقولينه ليس بكلام عقلاء، لم يعد لديه أية أسنان ولن تهابه اللصوص، فليغرب عنا، وإذا كان قد قام بحراستنا فقد أطعمناه بدورنا على أفضل نحو." كان سلطان المسكين راقداً فى الشمس يمط ظهره على مقربة من سيديه واستمع لكل ما قالاه واغتم غمًا كبيراً؛ لأن الغد سيكون اليوم الأخير من عمره القصير.

فى حيرة وكرب تسلل سلطان العجوز فى عتمة الليل إلى صديقه الذئب فى الغابة، واشتكى له حاله ومصيره المحزن. فكر الذئب مليًا ثم قال فى روية:" سوف أنتشلك يا صديقى من محنتك فخفف عن نفسك وأنصت جيداً: يذهب سيدك وزوجه فى باكر الصباح إلى الحقل ويصطحبان رضيعهما كى لا يبقى فى البيت وحيداً، ويضعاه كما اعتادا أثناء عملهما خلف سياج الأشجار فى الظلال، ارقد أنت بجواره كما لو كنت تحميه بحراستك وسأنطلق أنا من الغابة مندفعًا صوبه وأسرقه وأركض به، وعليك أنت فى هذه اللحظة أن تقفز بحماسة وتهب للإغاثة، وسأترك الطفل يقع وتلتقطه أنت بعطف وتعيده لأبويه. سيظنان بالطبع أنك أنقذته من هلاك محتوم وسيحملان لك هذا الجميل ويمتنان لك على فعلتك مدى الحياة، ولن يستطيعا بعد ذلك مسَّك بأى أذى، بل وسيكونان راضيين سعيدين بأنك كنت بجواره فى تلك اللحظة الخطيرة

ولن يقصرا فى حقك بعد ذلك أبداً. تأمل الكلب الفكرة وأعجب بها أيما إعجاب. وكما خطط لها الذئب بالضبط نفذها الكلب بدقة.

صرخ الأب مفزعًا عندما لمح الذئب يركض فى الحقل بطفله بين أنيابه، لكنه هلل فرحًا عندما عاد سلطان العجوز بالرضيع. ملَّس الرجل فوق ظهر الكلب بحنو وقال:" لن يمس أحد شعرة واحدة منك، وستأكل خبزك مدى عمرك." ثم أمر الفلاح زوجته أن تهرول على الفور للبيت، وأن تعد لسلطان وجبة دسمة شهية لا تحتاج للمضغ ليبتلعها دون قضم وبأن تحضر معها كذلك وسادة السرير ليرقد الكلب فوقها هدية له ورحمة به وبشيخوخته. ومنذ ذلك الحين أصبح سلطان المسكين مدللاً وحاله أفضل مما كان عليه فى سنوات الشباب والفتوة.

انقضت فترة وجيزة وإذا بالذئب يزور صديقه سلطان ويهنئه بنجاح الخطة ثم يقول:" سلطان يا عزيزى .. أتعشم منك أن تغض طرفك إذا سنحت الفرصة وخطفت حملاً من سيدك .. أنت تعلم أن التفتيش عن فريسة أصبح هذه الأيام أمرًا عسيرًا علىّ." أجاب الكلب بحسم:" لا تجرى حساباتك يا عزيزى على هذا الأساس، سأظل وفيًا لسيدى ولن أمضى معك فى هذه الخطة!" ظن الذئب أن الكلب ليس جاداً فيما يقول، وتسلل فى الليل إلى حظيرة الفلاح يسرق الحمل. وكان سلطان الوفى قد باح لسيده بما يضمر الذئب فتربص الرجل به وأبرحه ضربًا موجعًا بمضرب الغلة. هرول الذئب يركض وهو يجأر قائلاً:" ويلك منى يا صديق السوء! سوف تنال عقابك الأليم."

في الصباح أرسل الذئب بخنزير برى رسولاً يستدعى سلطان العجوز إلى الغابة ليصفى معه الحساب. راح سلطان يفتش عن مساعد له في المعركة، ولم يجد سوى قطة بثلاثة أرجل فاصطحبها. كانت القطة تعرج وتنصب ذيلها مرتفعًا في الهواء من شدة الألم، أما الذئب وحليفه الخنزير فكانا ينتظران سلطان العجوز في مكان وزمان الموعد. ومن مسافة بعيدة رأى الذئب والخنزير الأعداء قادمين واعتقدا أن ذيل القطة الذى استقام في الهواء هو سيف مسلول حاد، وأن خطوات القطة العرجاء هي انحناءات سلطان وهو ينثني ليلتقط الحجارة ويرميهم بها. فزع الاثنان رعبًا واختفى الخنزير بين النباتات والأشجار وقفز الذئب فوق أقرب شجرة.

تعجب سلطان واندهشت القطة عندما وصلا ساحة المعركة ووجدا أن الذئب والخنزير الوحشى قد فرا منهما! في هذه الأثناء كانت أذنا الخنزير الذى لم يتمكن من إخفائهما تمامًا قد انسلتا غفلة من بين الأغصان وارتعشتا ولمحتهما القطة وهي تجول ببصرها في المكان حيطةً وحذرًا، وظنت أن فأرًا يعبث هناك فانقضت فوقهما بتوحش وعضتهما بعنف. زأر الخنزير من الألم واندفع يصيح قائلاً: " المذنب يجلس هناك فوق الشجرة." صوّب الكلب والقطة نظرهما إلى الذئب الذى توارى برأسه استحياء من مسلكه الذميم وطفق يطلب العفو ويرجو السلام من سلطان العجوز.

* * *

كان يا ما كان حدوتة زمـــان

حكاية يرويــها الدهـر والمكـان

وأخرى يطويها العمر والنسيان

وهــذه يحكيها جريم الأخوان

لك هـنا والآن:



دورن روزشن

وردة الشوك



كـــــان يا مـــــا كـان
فـــى بــلاد الألمــــــان
الحـب سـلـطـــــان
حـــــرر بالحـنــــان
أمـــيـــرة من الأنــام:

فى سالف العصر والأوان عاش ملك وملكة وحيدين لم ينجبا. وكانت الملكة تتمنى كل يوم لو رزقت طفلاً. وذات يوم كانت الملكة تستحم فى المسبح عندما أطل عليها ضفدع من الماء وتنبأ لها قائلاً: " ستتحقق

أمنيتك أيتها الملكة، ولن ينقضى عام واحد إلا وقد رزقت بطفلة جميلة." وكان ما قال الضفدع، ووضعت الملكة ابنة بديعة، حتى إن الملك حار واحتار ولم يدر ماذا يفعل. أقام القصر احتفالاً مهيبًا بمولد الأميرة، ودعا الملك إليه الأقرباء والغرباء، الأصدقاء والأحباء، وكذلك ساحرات البلاد الحكيمات كى تهبن للأميرة بقوة السحر وسلطان المعرفة كل ما للدنيا من مزايا وحسنات.

وكان عددهن فى المملكة ثلاث عشرة ساحرة، لكن الأطباق الذهبية التى تأكل منها الساحرات كانت فى القصر اثنى عشر طبقًا فقط؛ لذا اضطرت الساحرة الثالثة عشرة أن تمكث فى البيت. وبعد أن انفضت الاحتفالات الخلابة أخذت الساحرات واحدة بعد الأخرى تهبن الطفلة عطايا الزمان. أهدتها الأولى الفضيلة، ومنحتها الثانية الحسن، ووهبتها الثالثة الثروة، وهكذا إلى أن فرغت الحادية عشرة من إعلان أمنيتها. فى تلك اللحظة اقتحمت الساحرة الثالثة عشرة القاعة وأرادت الانتقام من الملك فى ابنته؛ لأنه حرمها من حضور الحفل. ودون أن تلقى التحية أو حتى تنظر للحضور بطرف اندفعت صوب الوليدة وصاحت بصوت مرتفع تقول:" فى عامها الخامس عشر سوف توخز ابنة الملك نفسها بإبرة مغزل وتسقط فى التو هلكى." ثم استدارت الساحرة وغادرت المكان دون أن تنطق بكلمة أخرى. فزع الجميع، لكن الساحرة الثانية عشرة لم تكن قد باحت بعد بأمنيتها للفتاة، وأرادت التخفيف مما لعنتها به الساحرة الثالثة عشرة؛ لأنه لم يكن فى مقدرتها أن تزيل

أثر سحرها تماماً فقالت:" لكن الموت لن يكون موتًا أبديًا بل سبات عميق تسقط فيه الأميرة ثم تفيق بعد مائة عام."

أمر الملك بحرق كل المغازل القديمة والجديدة فى بلاده كى يصد عن ابنته لعنة الساحرة. وعلى مر السنوات والأعوام كانت الفتاة تزدهر وتنمو وتتحقق فيها كل هبات الحكيمات، فكانت الصبية تشب بهية بديعة الحسن والجمال، ذكية لطيفة، مؤنسة حسنة المسلك والكلام، محبوبة محبة للجميع. ومرت الأيام والليالى، ودارت الأسابيع والشهور، وانقضى الزمن وأتمت ابنة الملك عامها الخامس عشر.

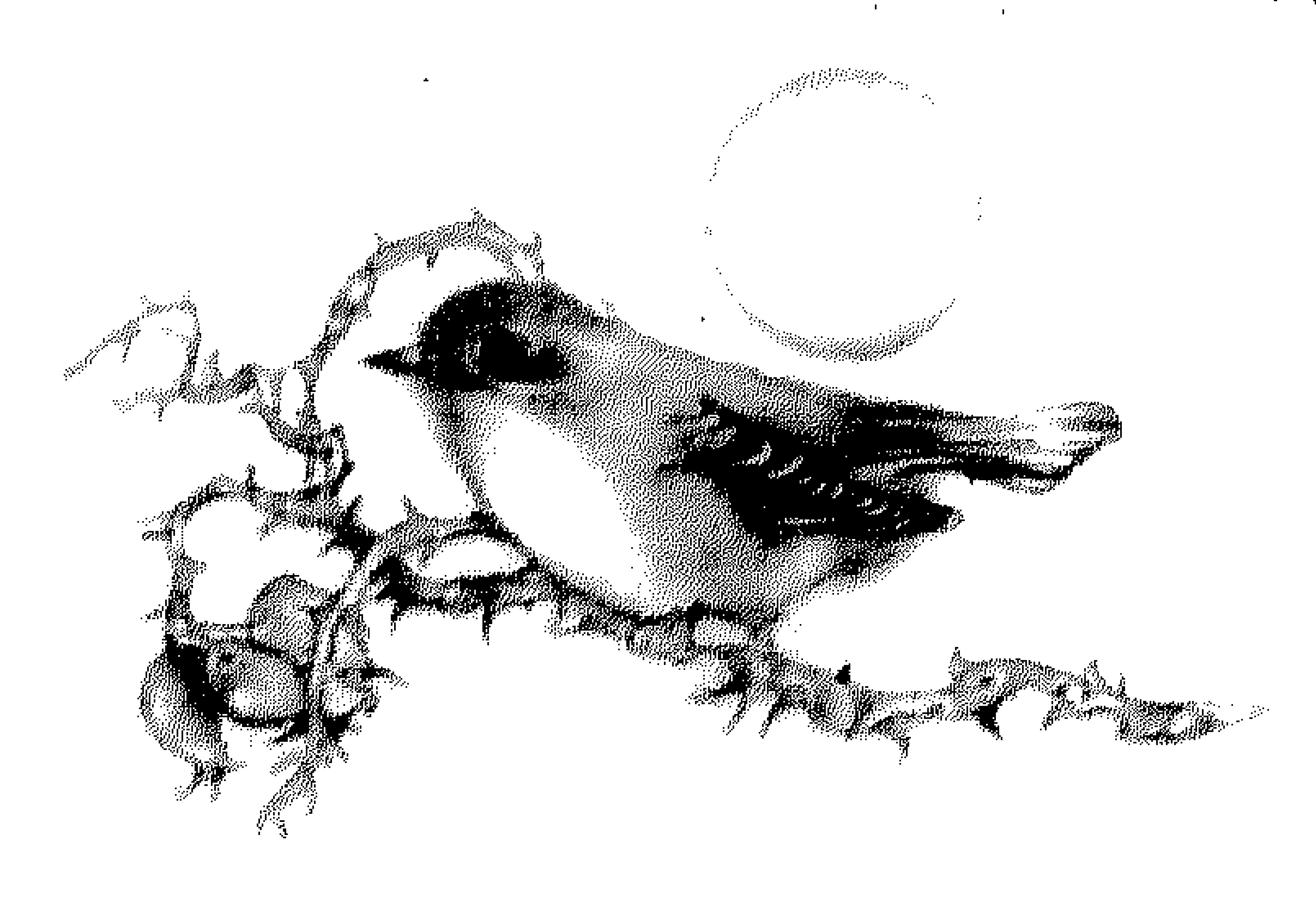
وشاءت الأقدار أن الأميرة فى هذا اليوم كانت وحدها فى القصر بعد أن انصرف الملك والملكة لشأن ما، وراحت الأميرة تعبث كما يحلو لها وتتجول هنا وهناك، ولجت الغرف والقاعات وغيرها من الأمكنة إلى أن بلغت برجًا قديمًا عاليًا صعدت سلمه الحلزونى الضيق ووصلت فى قمته إلى باب صغير، أدارت مفتاحه الصدئ فانفرج الباب بغتة فى وجهها. رأت الأميرة امرأة عجوز فى الغرفة الصغيرة تجلس قرب مغزل عتيق تغزل خيوطه الكتان بحماسة فقالت لها:" طاب يومك يا جدتى! ماذا تفعلين؟" أجابت العجوز ورأسها يتمايل:" أغزل." أضافت الفتاة:" وما هذه السنارة التى تقفز هنا وهناك بلطف وسرعة؟" ثم تناولت الفتاة المقود وأرادت أن تغزل بنفسها. وما إن لمست الأميرة الآلة القديمة حتى وخزت إصبعها فى التو، ونفذت لعنة الساحرة وهوت الصبية فوق فراش بركن الحجرة فى نوم عميق.

هبط السبات على المكان ولف كل أنحائه واتسع ليشمل كل القصر، ونام الملك والملكة اللذان كانا قد وصلا لتوهما ومعهما كل الحاشية والخدم والحرس والجمع الغفير الذى يرتاد القصر. وخمل الجياد فى الإسطبلات إلى أن أخذه النوم هو الآخر، وكذا الكلاب فى الأفنية، ونعس الحمام فوق أسطح أبنية القلاع، وكذلك الطيور فى الغابات، وهدأت ألسنة النيران المستعرة فى موقد الفرن حتى انطفأت، وكفت اللحوم فوق الموقد عن الطشطشة، وتوقفت حركة الطباخ الذى هم يسحب صبيه من شعره عقابًا له على ما أغفله ونام هو الآخر. وسكنت الرياح، وتدلت أوراق الشجر وكفت عن الهسهسة. وأخذت الأشجار والنباتات تشرئب وتعلو وتتشابك مع كل عام ينقضى حتى التف حول القصر سياج عظيم ستره تمامًا عن الرؤية ولم تعد حتى رايته العالية بادية. وعام بعد عام سحبت الأغصان والأشجار فوق القصر كساءً محكمًا من الأشواك، وطمرت كل شىء، واختفى كل ظاهر به وحوله.



اجتاحت البلاد الحكاية حول ابنة الملك ونومها الكيس البديع الذى سقطت فيه وردة الشوك. ولقبت ابنة الملك بـ " وردة الشوك "؛ لأن الأمراء كانوا يأتون من حين إلى حين ويحاولون النفاذ إليها من سور الأشواك التى تضافرت مثلما تتشابك الأيادى والأذرع، وكان الأمراء يقضون فى ميتة ألم وعذاب، معلقين فى الأشواك لا يستطيعون الفكاك.

وبعد سنوات طويلة وعقود وصل أمير من الأمراء، وسمع عجوزًا يقص الحكاية ويروى ما يعرف عن سور الأشواك وعن القصر الذى يلفه ويستره وعن وردته البديعة المستغرقة فى النوم منذ مائة عام ومعها أبواها الملك والملكة وحاشيتهما والخدم والحرس وجمع الدين والدولة. وسمع الأمير كذلك حول هلاك الأمراء من قبله الذين حاولوا الدخول إلى القصر وعن ميتتهم المفجعة معلقين فى الأشواك، لكنه قال:" أنا لست خائفًا، وسوف أنفذ من سهام السور وأرى وردة الشوك البديعة." حاول الجد العجوز ثنيه عن المحاولة بكل الطرق، لكن الأمير مضى إلى هدفه غير عابئ بما قاله الرجل.



في ذاك اليوم وقد اكتملت المائة العام وحان موعد نهوض وردة الشوك من نومها، وفى تلك اللحظة بعينها اقترب الأمير من سور الأشواك، وإذا بالشوك ينقلب زهرًا يانعًا بديعًا ينفك من نفسه وينحل عن بعضه ويفسح له الطريق ليمر ثم يعود من خلفه ينعقد ويتشابك من جديد في سور محكم سميك. دخل الأمير الفناء فوجد كلاب الصيد المبرقشة ترقد نائمة وكذلك الحمائم فوق الأسطح وقد دست رؤوسها تحت ريش أجنحتها المتدلية. مر الأمير ودخل القصر وفيه كانت الطيور نائمة فى مكانها فوق الجدران، وفى المطبخ كان الطباخ ممسكًا برأس الصبى فى يده بقسوة، والخادمة جوارهما تجلس متهيئة لنتف ريش الديك الذى تعده للطعام. ظل الأمير سائرًا وولج إحدى القاعات ورأى فيها بعضًا من الحاشية وعددًا من الخدم والخفر والجميع نيام، وفوق العرشين الملك والملكة متساقطة رأساهما فوق الأكتاف. كان الهدوء يلف كل شيء لا يخله سوى أنفاس الأمير التى كانت تتردد عالية فيسمعها فى تلك السكينة بجلاء. ظل الأمير سائرًا إلى أن وصل البرج القديم وصعد درجاته وفتح باب الغرفة الصغيرة، وكانت الأميرة مازالت تغط فى سبات عميق، ترقد وجمالها يشع رونقًا فى المكان ويسمّر الناظر إليها. انثنى الأمير يقبلها، وما إن لمست شفتاه فمها حتى فتحت وردة الشوك عينيها وضربت بمقلتيها ونظرت بود وأفاقت من نوم المائة عام. هبطا سلم البرج معًا. وفى القصر كان الملك والملكة قد أفاقا ونهض الخدم ورجال الدولة والحاشية. راح الجميع ينظر لبعضه البعض فى ذهول ودهشة. وصهل الخيل يركل ويقفز فى الإصطبلات، ونبحت كلاب

الصيد تثب وتنفض نفسها، وانسلت رؤوس الحمائم من تحت أجنحتها فوق الأسطح وحلقت فى سماء المدى، وتابعت الطيور داخل القصر تسلق الجدران، واستعرت نيران الموقد فى المطبخ كما كانت، وامتدت ألسنتها تطهو الأطعمة، وواصل اللحم المحمر الطشطشة، ولطم الطباخ الصبى صفعة عنيفة فوق خده فصرخ ألمًا وتأثرًا، وانكبت الخادمة فوق الديك الأسود تنتف ريشه وتنظفه.

أقيمت أبهى الاحتفالات التى شهدتها المملكة بزواج الأميرة وردة الشوك وعاش الجميع فى سعادة وهناءة عمرًا مديدًا وسنوات عديدة.

* * *

كان يا ما كان حدوتة زمان

حكاية يرويها الدهر والمكان

وأخرى يطويها العمر والنسيان

وهذه يحكيها جريم الأخوان

لك هنا والآن:



"فـونـدا فـوجـل"
طـائـر الحـظ



كـــان يا مـــا كـــان
فـــى بـــلاد الألمـــان
فى ســـالف الأزمـــان
حـــــدث مـن زمـــان

إن خفيراً ذهب للصيد، وعندما وصل الغابة بلغ سمعه صراخ بدا أنه آتٍ من طفل صغير. اقترب الرجل من مصدر الصوت عند شجرة عالية فإذا بطفل فوقها! كانت أم تجلس بصغيرها تحت الشجرة

وماتت، فهبط طائر جارح والتقط الطفل بمنقاره ثم إلقى به فوق قمة الشجرة. تسلقها الخفير وأنزل الرضيع، وقرر أن يأخذه إلى البيت ليشب مع ابنه لينشن، وأطلق على الصبى اسم "فوندا فوجل".

نما لينشن و فوندا فوجل معًا، وكانا دومًا برفقة بعضهما البعض لا يفترقان أبدًا، وأحبا كلاهما الآخر حبًا عظيمًا حتى إن أحدا منهما لم يكن يتصور الحياة دون الآخر. وكان لدى الخفير طباخة عجوز، وقد لاحظ لينشن فى مساء يوم من الأيام أنها تروح وتجىء بسطلين تعبئهما من البئر وتجرجرهما إلى البيت مرات عديدة ، فتعجب الصغير وسألها:

- " فيم تحتاجين كل هذا الماء يا جدة زانا؟!"

- قالت الطباخة:"سأجيبك إذا عاهدتنى ألا تبوح لأحد بشىء."

- قال الصبى:" لن أقول أى شىء يا جدة زانا."

- أجابت المرأة:" صباح الغد عندما يذهب أبوك للصيد سوف أصب الماء فى القدر الكبير وأضعه فوق الموقد حتى يغلى ثم أسقط فيه فوندا فوجل وأطبخه!

نهض الخفير فى الصباح وخرج كما اعتاد لنزهة الصيد وانصرف من البيت فى ساعة مبكرة عندما كان الطفلان لا يزالان فى الفراش. أفاق لينشن وقال لأخيه:

- " إن لم تتخل عنى، لن أتركك أبدًا."

- أجاب فوندا فوجل:" لن أتخلى عنك يا لينشن مدى الحياة!"

- قال لينشن:" أتدرى؟ لقد رأيت العجوز زانا بالأمس تعبئ ماءً كثيراً من البئر، وسألتها فيم تحتاجه فأجابت أنها سوف تغلى الماء فى القدر الكبير بعد أن ينصرف أبونا، ثم تسقطك فيه لتطهوك، علينا إذن النهوض بسرعة وارتداء ثيابنا والفرار!"

انطلق الصبيان إلى الغابة بينما كانت الطباخة العجوز تعد العدة وتضع الماء فوق الموقد، وما إن غلى حتى هرولت إلى غرفة النوم تريد سحب الصغير فوندا فوجل، لكنها لم تجد أحداً من الطفلين فى السريرين. فزعت العجوز وخشت انتقام سيدها الخفير وصاحت تولول:" ما عساى أن أقول له عندما يعود ويجد الطفلين قد اختفيا؟" وفى الحال بعثت الطباخة بثلاثة من الخدم كى يفتشوا عنهما.

اندس الصبيان بين الأشجار فى مقدمة الغابة ولاحظا الخدم من بعيد يهرولون صوب الغابة. قال لينشن:

- " فوندا فوجل! إن لم تتخل عنى، لن أتركك أنا أبداً."

- أجاب فوندا فوجل:" لن أتخلى عنك يا لينشن مدى الحياة!"

- قال لينشن:"إذن فلتصبح أنت جذعًا لشجرة زهر وأصير أنا وردتها وتاجا فوقها!"

بلغ الخدم حافة الغابة حيثما اختفى الصبيان، ولم يعثروا على

أحد. بحثوا ونقبوا فى كل مكان ولم يجدوا إلا شجيرة زهر عطّرة وفوقها وردة يانعة، فقالوا لبعضهما البعض:" ليس هنا من شيء نفعله، هيا نعود!" عادوا للطباخة يقولون إنهم لم يجدوا هناك سوى شجيرة زهر فوق قمتها وردة. سبتهم الطباخة العجوز ولعنتهم قائلة:" يا لكم من حمقى! كان عليكم أن تشطروا الشجيرة وتقطفوا زهرتها وتأتوا بها إلى هنا، اذهبوا وافعلوا!" ركض الخدم مرة أخرى للغابة ولمحهم الأطفال من بعيد فقال لينشن لأخيه فوندا فوجل:

- "إن لم تتخل عنى لن أتركك أبدًا!"

- أجاب فوندا فوجل:" لن أتخلى عنك يا لينشن مدى الحياة!"

- قال لينشن:" إذن فلتنقلب أنت شجيرة فراولة وأنا تاجها الأخضر!"

وصل الخدم طرف الغابة حيثما كانت من قبل شجيرة الزهر، ولم يعثروا لها على أثر، كانت قد اختفت هى الأخرى، فتشوا فى كل مكان ولم يجدوا إلا شجيرة فراولةِ فقالوا لبعضهم البعض:" ليس هنا شيء نفعله، هيا نعود!" وفى البيت قالوا للطباخة العجوز إنهم لم يجدوا سوى شجيرة فراولة وتاجها الأخضر. سخطت المرأة عليهم قائلة:" يا لكم من بلهاء! كان عليكم شق الشجيرة والإتيان بتاجها إليّ!" وفى المرة الثالثة ذهبت العجوز بنفسها للغابة.

والثالثة هى من المرات

فيها ضرات أو مسرات

فإما الحياة وإما الممات،

وذهبت الساحرة للغابات

ومعها الخدم الثلاثة. رأى الصبيان من بعيد الجمع يندفع إلى الغابة فقال لينشن لأخيه:

– " فوندا فوجل! إن لم تتخل عنى، لن أتركك أبدًا!"

– أجاب فوندا .فوجل:" لن أتخلى عنك يا لينشن مدى الحياة!"

– قال لينشن:" فلتصبح أنت جدولاً وأنا فيه بطة!"

وصلت العجوز والخدم من ورائها إلى مكان شجيرة الفراولة، ولم تجدها، ورأت فى مكانها جدولاً انثنت فوق مياهه لتبتلعها كلها فى جوفها. فى هذه اللحظة أقبلت البطة تسبح بسرعة وسحبت العجوز بمنقارها الطويل من رأسها وجذبتها بقوة إلى الماء فسقطت الساحرة فى وسط الجدول وغرقت وماتت ومضت معها لعنة سحرها الشرير. وعاش لينشن وفوندا فوجل معًا حياة هنيئة مديدة، وإن لم يكونا قد ماتا فإنهما مازالا على قيد الحياة حتى يومنا هذا.

* * *

كان يا ما كان   حدوتة زمـــان

حكاية يرويــها   الدهـر والمكـان

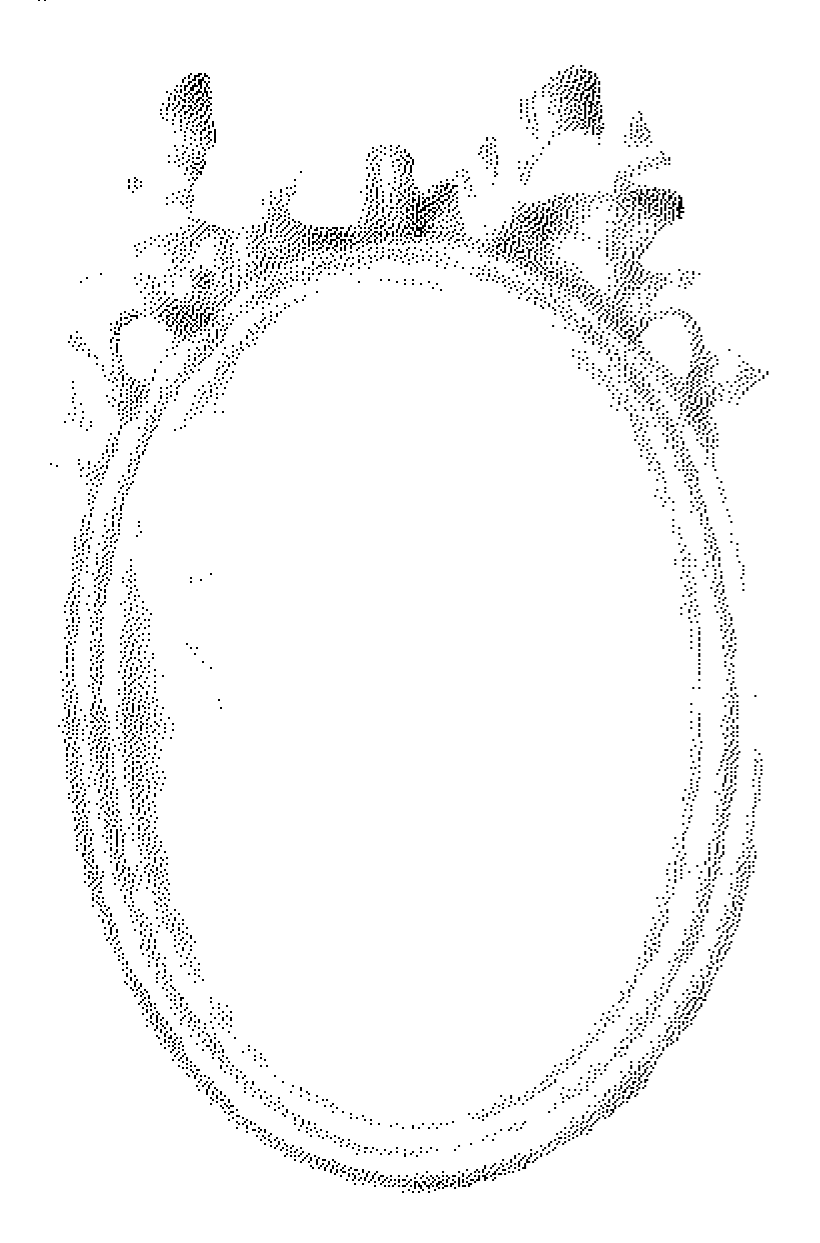
وأخرى يطويها   العمر والنسيان

وهـذه يحكيها   جـريم الأخـوان

لك هـنا والآن:



نصوع الثلج



كـــان يا مـــا كـــان
فـــى بـــلاد الألمـــان
ويـــوم مـــن الأيـــام:

فى برد الشتاء والثلوج الناصعة تهبط من السماء مثلما تهوى ندف الريش فوق الأرض جلست ملكة من الملكات فى قصرها قرب نافذة بإطار أسود من خشب الأبنوس. كانت الملكة تخيط شيئًا ما وتنظر إلى الثلوج فوخزت إصبعها بالإبرة وسالت منه ثلاث قطرات من الدم الأحمر فوق الثلج الأبيض، وكان الأحمر القانى فوق الأبيض

الشاهق لوحة رائعة خلابة. همست الملكة تقول لنفسها: آه .. كم أتمنى أن يكون لى طفلة:

مـــثل الثلج بيـــضـــاء
بلون الدم حـــمـــراء
كـــالأبنوس ســـوداء

عقب تلك الامنية بفترة قصيرة رزقت الملكة بطفلة كانت وجنتاها حمراوين بلون الدم، شعرها أسود فاحم مثل الخشب الأبنوس، بيضاء ناصعة كالثلج الشاهق؛ لذلك سميت "نصوع الثلج". وشاءت الأقدار ان ينتهى أجل الملكة بعد مولد الطفلة. وانقضى عام تزوج بعده الملك من امرأة أخرى. كانت زوجته الثانية جميلة جمالاً فتانًا، لكنها متكبرة مغرورة لا تطيق أن يفوقها أحد فى الحسن. وكان لدى الملكة مرآة سحرية، عندما تتطلع فيها وتقول:

مرآتى قولى يا مرآتى!
فى الدنيا وكل الملكات
من هى أجمل الفتيات؟
تجيبها المرآة: الملكة فى كل القسمات.

وكانت الملكة تنعم بذلك؛ لأنها تعلم أن المرآة لا تكذب أبدًا. غير ان نصوع الثلج كانت تشب ببهاء وفى كل يوم تنمو فيه تصبح اكثر روعة، حتى تمت الفتاة سبع سنوات وغدت مثل النهار الوضاح وصارت أبدع من الملكة فتنةً وجمالاً. وفى مرة من المرات سألت الملكة مرآتها قائلة:

مرآتى قولى يا مرآتى!
فى الدنيا وكل الملكات
من هى أجمل الفتيات؟
وأجابتها المرآة: **الملكة فى كل القسمات.**
لكن نصوع الثلج آيات
فى الحسن فاقت البنات
أجمل منك آلاف المرات

اكفهر وجه الملكة وفزعت حسداً وكمداً، وشعرت بكراهية كبيرة للفتاة. وكانت فى كل مرة ترى "نصوع الثلج" كان قلبها يعتصرها من الغيرة. نما الحقد فى روح الملكة واستعظم التكبر كما يتوحش النبات البرى ويضرب بجذوره فى الأرض دون نهاية. وتبددت سعادة الملكة، وولت الطمأنينة من حياتها دون رجعة. وفى يوم من الأيام صاحت الملكة بصياد وقالت له:" خذ هذه الطفلة إلى الغابة، لم أعد أحتمل النظر إليها، اقتلها وأحضر إلىَّ الرئتين والكبد دليلاً على انتهاء أجلها!" اقتاد الصياد الفتاة إلى الغابة وسحب خنجر الصيد وهم ينزع قلبها من صدرها حتى شرعت الطفلة تبكى وتنتحب وقالت له:" اتركنى يا عزيزى الصياد أعيش، سأتدبر حالى فى الغابة البرية، ولن أعود أبداً للقصر!" كانت الصبية بديعة الحسن والجمال فشق على الصياد قتلها وقال لها:" انصرفى أيتها المسكينة!" ولم يعبأ الصياد بعقاب الملكة له لأنه ظن أن

وحوش الغابة البرية سوف تفترس الفتاة واستراح؛ لأنه لم يضطر لقتلها بيده. وفى هذه اللحظة لمح الصياد خنوصًا يقفز أمامه فطعنه بالخنجر وأخرج رئتيه وكبده وأخذهما كدليل للملكة. أمرت الملكة طباخ القصر بإعداد الرئتين والكبد ورش الملح فوقهما، وراحت المرأة القميئة بتوحش تلتهمهم وهى تظن أنهما رئتا نصوع الثلج وكبدها.

أصبحت نصوع الثلج وحيدة تمامًا فى الغابة البرية الفسيحة، مذعورة راحت تتفحص ما حولها حتى اوراق الشجر، وتحوم وتدور لا تدرى ماذا تفعل و كيف تنجو بنفسها. أخذت تسير وتسير وخطت فوق الأحجار المدببة وداست فوق الأشوك المسننة، وكانت الحيوانات الفترسة والوحوش البرية تقفز جوارها وتثب من حولها دون أن تمسها بسوء! أخذت "نصوع الثلج" تمشى قدر ما استطاعت قدماها السير، وفى المساء رأت بيتًا صغيرًا، دخلته. فى البيت الصغير كان كل شىء دقيقًا لطيفًا منمنمًا، وجميلاً نظيفًا مرتبًا، حتى إن الإنسان يعجز عن التعبير عن روعة هذا المكان. كان به مائدة صغيرة مغطاة بمفرش أبيض وفوقها سبعة صحون، بكل صحن ملعقة وبجوار السبعة صحون سبعة سكاكين وسبع سلطانيات. وقرب الجدار سبعة أسرَّة بسبع ملاءات بيضاء مثل الثلج. أكلت "نصوع الثلج" لأنها كانت تتضور جوعًا وشربت لأنها كانت ظمآنة جدًا، لكنها تناولت القليل من الخضار والخبز من كل صحن وشربت قطرة نبيذ واحدة من كل كأس كى لا تأتى على أحد الأنصبة كاملاً. وكانت الفتاة متعبة منهكة فرقدت فى أحد الأسرَّة. لكن الأسرة كانت إما صغيرة وإما كبيرة، فراحت الفتاة تجربها واحدًا تلو

الآخر إلى أن أتت للسرير السابع الذى ناسبها وفيه غفت وراحت فى نوع عميق.

وعندما حلك الليل وصل الأقزام السبعة أسياد البيت الصغير الذين يعملون فى الجبال بحثًا عن الذهب والبرونز ويظلون يعزقون ويحفرون طيلة الوقت فى الصخر. دخلوا البيت وأشعلوا شموعهم السبع فأنار المكان وفى الحال لاحظوا أن أحدًا غريبًا بدل من أوضاع الأشياء بالمنزل.

– فقال الأول:" من جلس على مقعدى؟"

– وتساءل الثانى:" من أكل من صحنى؟"

– وتعجب الثالث:" من قضم من خبزى؟"

– وقال الرابع:" من طعم من خضارى؟"

– وتبعه الخامس:" من غز بشوكتى؟"

– وأضاف السادس:" من قطع بسكينى؟"

– وسأل السابع:" من شرب من كأسى؟"

ثم تطلع القزم الأول حوله ولاحظ أن فراشه ليس مرتبًا كما كان، وأن به أثر إنسان فقال:" من رقد بفراشى؟" أقدم الأقزام الستة ونظر كل واحد منهم وقالوا:" وفى أسرّتنا رقد أحد أيضًا؟!" وعندما رأى القزم السابع نصوع الثلوج نائمة فى سريره صاح بالآخرين فصرخوا

من الدهشة وأتوا بشموعهم السبع واقتربوا بها من وجه الفتاة، وقالوا:" آه .. يا إلهى!! يا إلهى!! يا لها من طفلة بديعة الجمال!!" ومن شدة بهجتهم بها لم يقعدوها أو يقلقوها وتركوها غارقة فى نومها فى سلام. أما القزم السابع فنام بجوار كل واحد من أصدقائه ساعة وانقضت الليلة.

أصبحت الدنيا وأفاقت نصوع الثلج، ولما رأت الأقزام السبعة جزعت وخافت إلا أنهم توددوا إليها وبددوا الخوف لديها وراحوا يسألونها بلطف شديد:" ما اسمك؟" قالت:" نصوع الثلج" قالوا:" وما الذى أتى بك إلى هنا؟ وكيف عثرت على بيتنا؟" قصت الفتاة عليهم حكايتها وكيف أرادت زوجة أبيها قتلها وكيف استعطفت هى الصياد فتركها فى الغابة البرية ثم أخذت تسير وحدها حتى وجدت بيتهم الصغير. قال لها الأقزام:" هل تودين البقاء معنا؟ بإمكانك القيام بالأعمال المنزلية؟ تنظيف البيت وإعداد الطعام وغسيل الملابس والخياطة والغزل؟ ابقى معنا ولن نجعلك بحاجة إلى أى شىء." قالت الفتاة:" نعم أود بسرور ومن كل قلبى."

عاشت نصوع الثلج مع الأقزام السبعة وأدارت شئون البيت، وكانوا الأقزام يذهبون فى الصباح الباكر إلى الجبال ينقبون عن الذهب والبرونز ويعودون إلى البيت فى المساء يجدون الفتاة وقد قامت بكل المهام وأعدت لهم الطعام. وقد حذر الأقزام الطيبون نصوع الثلج من زوجة أبيها وقالوا لها:" احمى نفسك من المرآة الشريرة؛ لأنها سوف تعرف فى القريب العاجل بأنك هنا فلا تسمحى لأحد بدخول البيت!"

وكانت الملكة لاتزال تظن بأنها الأجمل فى كل الدنيا؛ لأنها افترست كبد نصوع الثلج ورئتيها. ووقفت ذات يوم أمام مرآتها تقول:

مرآتى قولى يا مرآتى!
فى الدنيا وكل المملكات
من هى أجمل الفتيات؟

فأجابتها المرآة: **الملكة فى كل القسمات.**
لكن نصوع الثلج آيات
فى الحسن فاقت البنات
وراء جبالٍ ومرتفعات
مع أقزام كل الأوقات
أجمل منك آلاف المرات

اضطربت المرأة فزعًا؛ لأنها كانت تعلم أن المرآة لا تنطق أبدًا إلا بالحقيقة. وأدركت أن الصياد خدعها، وأن نصوع الثلج مازالت حية، وأخذت تفكر من جديد كيف تتخلص منها وتقتلها؛ لأن الفتاة أكثر منها جمالاً ولأن الملكة لم تحتمل أن يفوق حسنها حسن. تنكرت زوجة الأب فى ثياب تاجرة وغيرت وجهها تمامًا. وهكذا رحلت الملكة الشريرة إلى الجبال السبعة حيث السبعة الأقزام. ووجدت البيت وطرقت بابه وهى تصيح قائلة:" نبيع أفضل السلع، نبيع أحسن البضائع!" أطلت نصوع الثلج من النافذة وقالت لها:" نهارك سعيد أيتها المرأة الطيبة! ماذا تبيعين؟" أجابتها المرأة:" أروع البضائع، لدىَ حبال لجبال وأشرطة بكل

الألوان." ثم سحبت أحد الأربطة الموشى بالحرير الملون وأظهرته للفتاة التى ظننت أن المرأة طيبة ويمكن السماح لها بالدخول. فكت نصوع الثلج المزلاج وفتحت الباب وابتاعت الشريط الجميل منها. وبعدئذ قالت لها المرأة:" تعالى يا طفلتى سأربط لك الشريط!" اقتربت الفتاة منها وفى التو لفت المرأة الشريط بعنف وإحكام حول عنقها وخنقتها فسقطت نصوع الثلج لا تستطيع التنفس كالميتة. قالت المرأة:" الآن لم يعد هناك من هو أجمل منى!" ثم انصرفت فى عجلة.



عاد الأقزام إلى البيت واجتاحهم رعب وفزع عندما رأوا الفتاة ملقية فوق الأرض دون حراك كالأموات. رفعوها وأرقدوها فوق أحد الأسرَّة ولاحظوا الرباط الذى شد بإحكام حول عنقها وترك أثرًا عميقًا بعد أن قصوه. بدأت نصوع الثلج تتنفس بصعوبة وعادت الحياة شيئًا فشيئًا تدب فى جسدها. قصت الفتاة على الأقزام ما حدث فقالوا لها: "إن هذه العجوز الشريرة ليست سوى الملكة الزنديقة، حافظى على نفسك منها ولا تدعى أى أحد يدخل البيت فى غيابنا!"

فى هذه الأثناء كانت الملكة قد رجعت إلى قصرها فقصدت المرآة على الفور وسألتها: "

مرآتى قولى يا مرآتى!
فى الدنيا وكل الملكات
من هى أجمل الفتيات؟

أجابتها المرآة: **الملكة فى كل القسمات**
لكن نصوع الثلج آيات
فى الحسن فاقت البنات
وراء جبال ومرتفعات
مع اقزام كل الأوقات
أجمل منك آلاف المرات

علمت المرأة الشريرة أن الصبية قد نجت، واندفعت الدماء إلى قلبها وعروقها من الغضب، وكاد الحقد والغيرة يفتكان بها، وقررت

تدبير حيلة تميت بها الفتاة موتًا أكيداً. صنعت الملكة التى كانت تتقن فنون السحر مشطًا مسممًا. ثم تخفت فى هيئة امرأة أخرى عجوز وذهبت إلى ما وراء الجبال السبعة حيث الأقزام السبعة. وطرقت الباب وصاحت قائلة:" نبيع السلع الجيدة! نبيع البضائع الرائعة!" أطلت نصوع الثلج من النافذة وقالت لها:" انصرفى أيتها المرأة! لن أترك أحد يدخل البيت!" سألتها العجوز:" لكنك تستطيعين رؤية ما لدى، أليس كذلك؟" ثم سحبت المشط المسمم ورفعته عاليًا إلى النافذة. أعجبت الفتاة بالمشط أيما إعجاب حتى إنها استسلمت مرة أخرى للخديعة وفتحت باب البيت واتفقت مع العجوز على الثمن. ثم قالت لها المرأة:" والآن أود أن أمشط لك شعرك." وكانت نصوع الثلج حسنة الطوية فلم يخطر ببالها أية ظنون وتركت العجوز تمشط لها شعرها. ولم تكد المرأة تلمس شعر الفتاة بالمشط حتى فعل السم مفعوله وهوت نصوع الثلج فوق الأرض فاقدة الوعى. سرت المرأة وقالت:" رحلت إذن دون رجعة يا جميلة الجميلات!"

عندما انصرفت الساحرة كان الليل قد هبط وحان موعد عودة الأقزام السبعة إلى دارهم. رأوا نصوع الثلج فوق الأرض تبدو وكأنها ماتت فأدركوا أن زوجة أبيها قد جاءت مرة اخرى وفتشوا فى البيت وعثروا على المشط المسمم فى خصلاتها فسحبوه على الفور من شعرها وأفاقت الفتاة فى نفس اللحظة وقصت عليهم ما جرى. وحذر الأقزام نصوع الثلج مرة أخرى من الملكة الشريرة وأكدوا لها ألا تُدخل أحداً المنزل.

في هذه الأثناء كانت الملكة قد وصلت قصرها ووقفت أمام المرآة السحرية وراحت تسألها:"

مرآتي قولي يا مرآتي!

في الدنيا وكل المملكات

من هي أجمل الفتيات؟

واجابتها المرآة: الملكة في كل القسمات

لكن نصوع الثلج آيات

في الحسن فاقت البنات

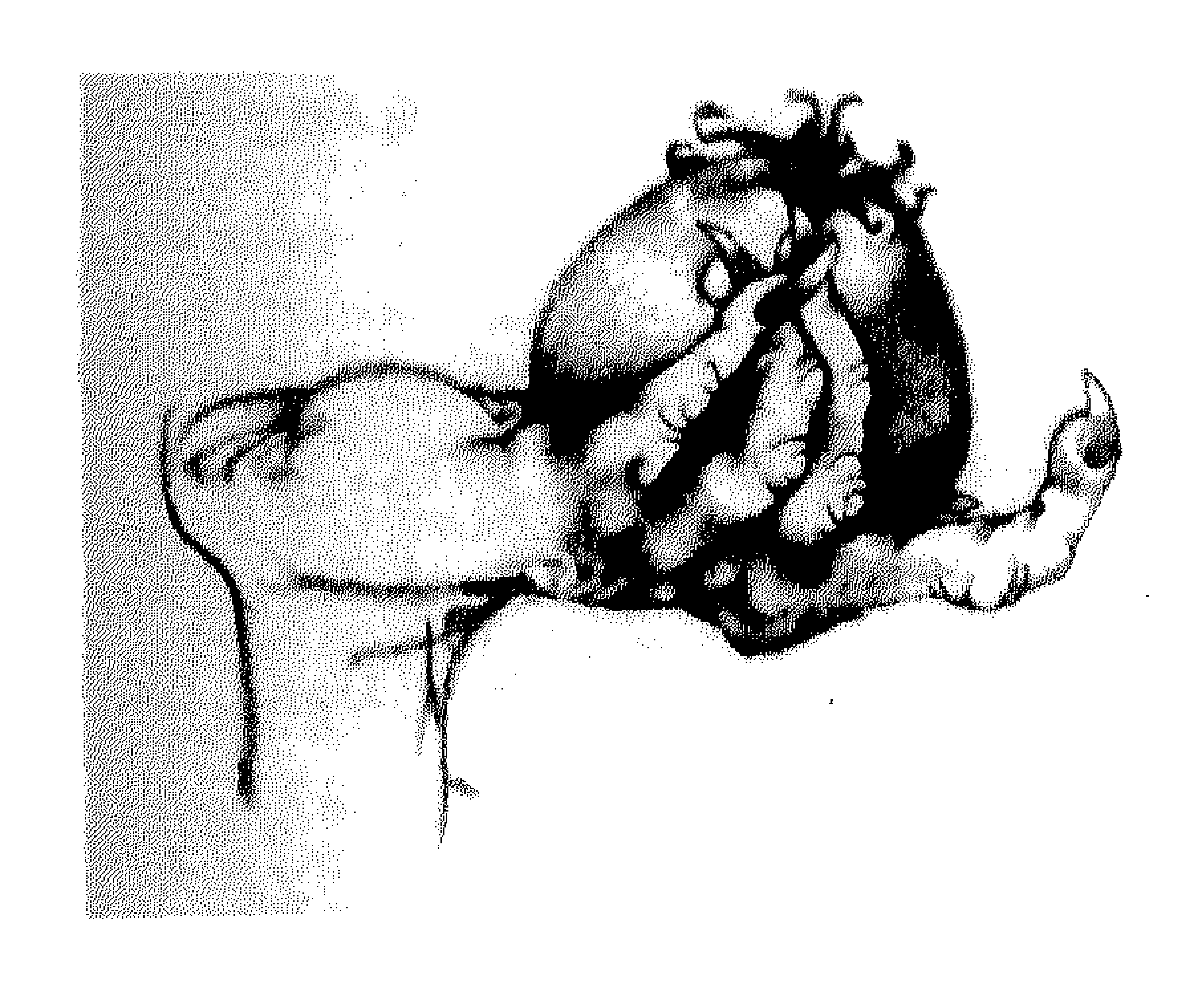
وراء جبال ومرتفعات

مع أقزام كل الأوقات

أجمل منك آلاف المرات



ثارت ثائرة الملكة الشريرة وأرعش الغضب منها الروح والبدن وصاحت تهتف قائلة:" لابد أن تموت نصوع الثلج حتى لو كلفنى الأمر حياتى." ثم فتحت باب غرفة سرية، فى القصر مخفية وأعدت تفاحة مسمومة. كانت التفاحة تبدو شهية، من الخارج بهية مدرجة باللون الأحمر والأبيض يشتهيها كل من يراها لكن من يقضم منها قضمة واحدة لابد وأن توافيه المنية فى الحال. ثم بدلت الساحرة من قسمات وجهها ولونت نفسها وتخفت فى ثياب فلاحة مسكينة ورحلت إلى نصوع الثلج وراء الجبال السبعة حيث الأقزام السبعة. وهناك دقت الباب فأطلت الفتاة من النافذة وقالت لها:" لن أترك أى إنسان يدخل المكان، لقد منعنى الأقزام السبعة!" أجابتها المرأة:" الأمر عندى سيان، وددت لو أنهيت ما لدى من تفاح، فقد تبقت عندى واحدة أهديها لك." قالت نصوع الثلج:" لا أستطيع قبول أى شىء من أى إنسان غريب." أضافت المرأة:" هل تخافين السم؟ ها أنا أشطر التفاحة نصفين؟ النصف الأحمر تأخذينه أنت، والأبيض آكله أنا." وكانت زوجة الأب قد سممت نصف التفاحة الأحمر فقط. نظرت نصوع الثلج إلى التفاحة واشتهتها اشتهاء، وعندما رأت أن الفلاحة تأكل نصفها، تشجعت ولم تستطع مقاومة رغبتها، فمدت زراعها من النافذة وتناولت الشطر الأحمر، وبعد أول قضمة هوت الفتاة فوق الأرض ميتة. عندئذ صاحت زوجة الأب فى شماتة وفرحة تقول:" لن يتمكن الأقزام هذه المرة من إنقاذك أنت يا:



مـــثل الثلج بيـــضـــاء
بلون الدم حـــمـــراء
كـــالأبنوس ســـوداء

وانصرفت الملكة فى عجلة إلى القصر، وهناك وقفت أمام المرآة تسألها:"

مرآتى قولى يا مرآتى!
فى الدنيا وكل الملكات
من هى أجمل الفتيات؟
فأجابتها المرآة: الملكة فى كل القسمات

هدأت المرأة وخبت نيران حقدها وحسدها من الفتاة أخيراً

عندما أبلغتها المرآة أنها أجمل امرأة في كل الدنيا وتأكدت أن نصوع الثلج قد هلكت.

عاد الأقزام إلى بيتهم ورأوا نصوع الثلج فوق الأرض ميتة لا تتنفس ولا تتحرك. رفع الأقزام الفتاة وحلوا أربطتها، وغسلوها بماء صاف ونبيذ وفتشوا كل جزء فيها علهم يجدون السم وينتشلونها من السحر، لكنهم لم يعثروا على شيء. فارقدوها فوق الفراش وراحوا يبكون وينتحبون بجوارها. همّ الأقزام بدفن الفتاة، غير أن جسمها ووجنتاها وشعرها كانت لاتزال:

مثل الثلج بيضاء

بلون الدم حمراء

كالأبنوس سوداء

فقالوا لبعضهم البعض: "كلا .. لن نستطيع مواراتها التراب وهي بهذا الجمال كله!" وصنع الأقزام السبعة لنصوع الثلج تابوتًا من الزجاج الشفاف، فكان المرء يراها من كل جانب، أرقدوها بداخله وأغلقوه عليها بإحكام وكتبوا فوقه بحروف ذهبية:"نصوع الثلوج .. أميرة، ابنة ملك من الملوك"، ثم وضعوا التابوت فوق قمة جبل من الجبال السبعة، يحرسونه بالتناوب. وكانت حيوانات وطيور الغابة تمر بنصوع الثلوج فتبكي، في البداية حلقت بومة من حولها، ثم نعق غراب قربها، وهدلت حمامة فوقها.



وفى يوم من الأيام مـر أمـيـر بتلك الغـابة البـرية ووصل منزل الأقزام السبعة وطلب المبيت. ورأى التابوت أعلى الجبل فتسلقه ونظر إلى نصوع الثلج وشاهد جمالها الفتان وقرأ ما كتب فوق النعش بالأحرف الذهبية. طلب الأمير من الأقزام أن يهبوه النعش بصاحبته قائلاً: " لكم منى كل ما شئتم وأعطونى هذا النعش بالأميرة، إننى لا أطيق العيش دون التطلع إليها فى كل لحظة! وسوف أبجلها كل التبجيل وأحرص عليها كل الحرص؛ لأنها ستكون لى على الدوام أحب إنسان فى الوجود." أدرك الأقزام أن الأمير وقع فى غرام الأميرة الميتة

وأشفقوا عليه وأعطوه النعش بنصوع الثلج. حمل خدم الأمير النعش فوق أكتافهم ومضوا، وإذا بهم يتعثرون فى شجيرة بالطريق وبالنعش يرتج ويسقط منهم فوق الأرض، وإذا بقضمة التفاحة المسمومة تقفز من حلق الأميرة التى فتحت مقلتاها فى نفس اللحظة ورفعت الغطاء الزجاجى وجلست فاعتدلت وعادت حية نضرة كما كانت، وصاحت تقول:" يا إلهى! أين أنا؟" قال الأمير وقد غمرت مهجته سعادة عظيمة وبهجة كبيرة بعودة الأميرة إلى الحياة:"أنت معى، إننى أعشقك أكثر من الدنيا وما حوت، فتعالى معى إلى قصر أبى وتزوجى منى!" نظرت الأميرة إليه وأحبته كما أحبها ووافقته، وقص الأمير عليها ما جرى ورحل الحبيبان معًا.

فى مملكة الأمير أقيمت أروع الأعياد وأبهى الاحتفالات بزواج ابن الملك. ودعيت الساحرة الشريرة إلى الحفل. وراحت تتجمل وترتدى أبهى الثياب ثم وقفت أمام المرآة تسألها:"

مرآتى قولى يا مرآتى!
فى الدنيا وكل الملكات
من هى أجمل الفتيات؟

وأجابتها المرآة: **الملكة فى كل القسمات.**
لكن الملكة الشابة آيات
فى الحسن فاقت البنات
أجمل منك آلاف المرات

لعنت زوجة الأب الشريرة كل ما حولها وقررت ألا تذهب لحفل الأمير ثم عدلت عن قرارها لأنها أدركت أنها سوف تحيا فى عذاب دائم إذا هى لم تر هذه الملكة الشابة التى تفوقها جمالاً وحسنًا وتعرف من تكون. وفى حفل العرس كان الجميع فى انتظارها وقد أضرم النار بالفحم تحت حذاء صنع من الحديد ثم نقل بالكماشات ووضع أمام الساحرة الشريرة وتحتم عليها انتعاله والرقص به إلى أن هوت فوق الأرض صريعة محروقة باللهب.

* * *

كان يا ما كان حدوتة زمـــان

حكاية يرويــها الدهـر والمكـان

وأخرى يطويها العمر والنسيان

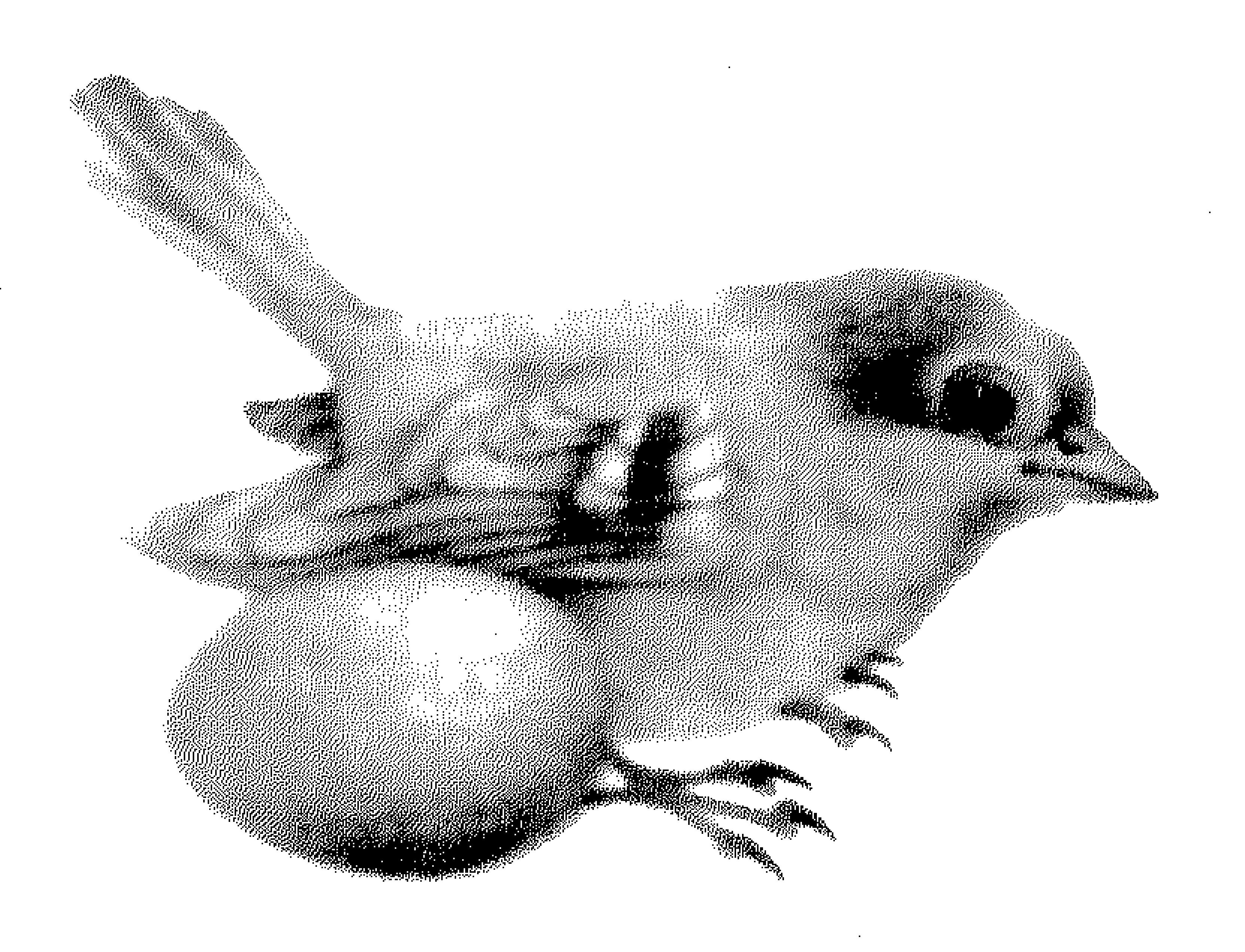
وهــذه يحكيها جـريم الأخـوان

لك هـنا والآن:



الأخوان

DIE ZWEI BRÜDER



كان يا ما كان
فى بلاد الألمان
أخوان اثنان
وأخوان آخران
والروح فى الأبدان
حيرى كل آن:

شب أخوان، وكان الأول منهما قاسيًا فى مهجته شريرًا فى فعلته وقد أصبح ثريًا ميسور الحال عمل صائغ ذهب، وكان الثانى طيبًا

فى سريرته سليمًا فى طويته، فقيراً معوزًا فى المال احترف حزم المقشات يرتزق من بيعها وقد وهبه الله صبيين تؤما متشابهين كقطرتى ماء فى إناء. اعتاد الولدان التردد من الحين إلى الحين على بيت عمهما الغنى، وفى بعض الأحيان يأكلان ما تبقى من المآدب أو يشربان، أو حتى يمرحان فى فناء الأغنياء.

وفى يوم من الأيام ذهب الفقير إلى الغابة يجمع أغصانًا جافة ولمح عصفوراً بديعًا ليس له من مثيل يتلألأ ذهبًا ويغرد سحرا، رماه الرجل بحجر أصابه وأسقط منه ريشة ذهبية وهو يرفرف محلقًا فى المدى، التقط الرجل الريشة دهشًا وقصد أخاه الذى رماها بنظرة صائغ محترف وقال: " إنها ذهب نقى!" وابتاعها لقاء مال كثيرا.

فى اليوم التالى توجه الفقير إلى الغابة ينتزع من الأشجار أفرعًا وتسلق شجرة بتولاً، وكان العصفور ذاته فى قمتها وقد حلق هاربًا إلى السحاب، بلغ الرجل قمة الشجرة وفتش ووجد عشًا وداخله بيضة تتلألأ ذهبا أخذها وانصرف لأخيه مرة أخرى، فحصها الثانى وقال: " إنها ذهب نقى!" وابتاعها مقابل مال أكثر وقال لأخيه الفقير: " أريد العصفور نفسه." وبعث بالفقير للمرة الثالثة إلى الغابة.

والثالثة هى من المرات
فيها ضرات أو مسرات
فإما الحياة وإما الممات
هكذا عاد الفقير للغابات:

ورأى العصفور فوق شجرة البتولا، تناول حجراً وقذفه به فأوقعه وحمله للصائغ الذى ابتهج أيما ابتهاج ومنحه أجراً سخيًا. رد الفقير إلى بيته سعيداً مستبشراً يهنئ نفسه فى الطريق قائلا:" لقد أمنت نفسى وبيتى." أما الصائغ المحنك خبيث الطوية فكان يعرف قيمة العصفور وماهيته، وصاح على زوجته مغتبطًا يأمرها:" حمرى لى هذا الطير الذهبى واحذرى ألا يسقط منه فى الطهى شىء لأن بى رغبة أن أطعمه كاملاً." دفعت المرأة بسيخ فى جوف العصفور وتركته فوق الموقد وانصرفت خارج المطبخ تدير شئون البيت. فى هذه الأثناء دخل الصبيان الفقيران المطبخ وراحا يعبثان بالعصفور ويقلبانه على كل جانب غير مرة إلى أن سقط نتفان منه . تشاور الصغيران وقال أحدهما للآخر:" إننى جوعان ، فلنأكل القطعتين الدقيقتين ولن يلحظ أحد شيئًا !" دخلت الزوجة ورأت الصبيين يمضغان وسألتهما:" ماذا تقضمان؟" أجابا:" سقطت من العصفور قطعتين صغيرتين." قالت المرأة مفزّعة:" آه .. القلب والكبد." ولجأت المرأة إلى حيلة خشية غضب زوجها وذبحت ديكًا وألقت بقلبه وكبده قرب العصفور الذهبى، وعندما حل موعد غداء الصائغ وضعت زوجته العصفور فوق المائدة فأكله كاملاً.



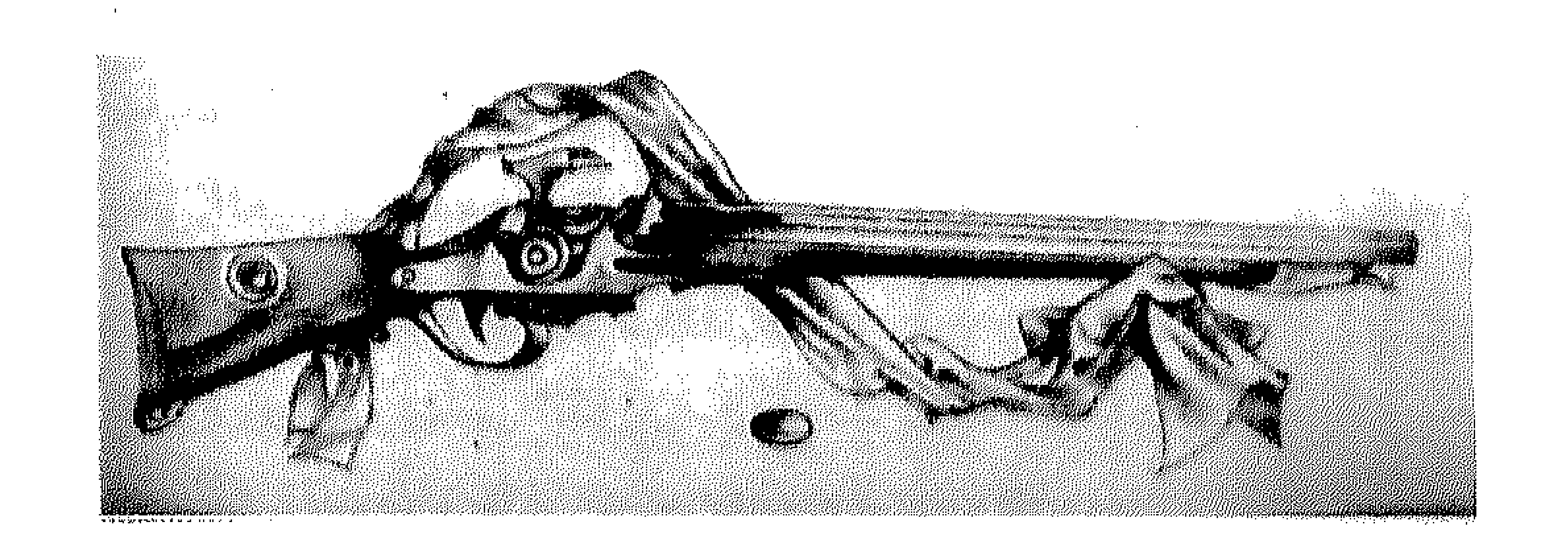
في صباح اليوم التالى دس الرجل يده تحت الوسادة فلم يعثر على القطعة الذهبية!! ولم يكن الصبيان يعلمان بعد شيئًا عن الحظ الذى سطر لهما فى السماء البعيدة. عندما نهضا سمعا شيئًا يسقط فوق الأرض ويصدر رنينًا معدنيًا، رفعاه وإذا براحة كل منهما قطعة من الذهب الخالص. عرض الطفلان القطعتين على والدهما الفقير، فتعجب وتملكته حيرة واضطراب وقال:" كيف هذا؟ ماذا حدث؟" وأمضى اليوم يفكر. ولكن عندما عثر الصبيان فى صباح اليوم التالى على قطعتين أخريين من الذهب ربك الرجل وركض لأخيه الصائغ يقص عليه الحكاية العجيبة ويرجوه مشورةً وتفسيرًا. أدرك الخبيث فورا ما جرى وعلم أن الطفلين أكلا قلب العصفور الذهبى وكبده، وراح الحقد يعبث بروحه الشريرة ويزيد قلبه قسوة ووجهه جهامة ولكى ينتقم قال لأخيه:" تورط طفلاك مع الشيطان فلا تأخذ الذهب ولا تنعم بماله، اطرد الصبيين من بيتك وانج بنفسك من الفساد لأن إبليس أصبح له سلطان عليهما!" ارتاع الرجل رعبًا من الشيطان واقشعر جسده وهرول إلى بيته حزينا لأنه قرر أن يسوق ولديه إلى الغابة ويتركهما وحيدين هناك.

دار واحتار الولدان وفتشا عن الطريق للبيت لكنهما بدلاً من الانسلات من دروب الغابة الملتفة راحا يضربان فى أعماقها. بعد عناء طوى زمنًا التقى الولدان أخيرًا صيادًا سألهما:" أبناء من أنتم يا أولاد؟" أجابا:" حازم مقشات فقير." وقصا عليه الحكاية وكيف ألقى بهما أبوهما فى الغابة؛ لأنهما يعثران كل صباح تحت وسادتيهما على قطعتين ذهبيتين لا يعلمان من أين. قال الصياد:" لا شىء فى الذهب

يخيف طالما أنكما لا تحصلان عليه بطرق خبيثة أو بارتكاب الذنوب." أشفق الصياد عليهما وتصادف أنه لم يرزق أطفالاً فقرر أن يسوقهما إلى بيته وهناك قال لهما: " أود أن احتضنكما وأكون لكما أبًا إلى أن تصيرا رجلين." عاش التوأم مع الصياد وأحباه كما أحبهما ودربهما على فنون الصيد، وكان يدخر لهما الذهب الذى يرزقان به كل صباح لمجهول المستقبل وانتظمت الحياة وجرت الأيام والسنون وشب الأخوان رجلين.

وفى يوم من أيام
ذاك العصر والزمان
وكان الأوان قد آن:

واصطحبهما الأب إلى الغابة وقال لهما: " اليوم سأجرى لكما الامتحان الأخير، إذا أصبتما النيشان تصبحان بعده صيادين ماهرين ولا أخشى عليكما من شيء." وبعد انتظار دام طويلاً لم يعبر أو يركض خلاله أمامهم أى حيوان برى، تطلع الأب حوله ورأى سربًا من طيور الإوز تحلق من فوقهم وترسم فى وسط السماء مثلثا، فأمر أحد الأخوين أن يصيب واحدة من كل طرف وفعل الشاب وأسقط الطيور بضرباته ونجح بذلك فى الامتحان. بعد دقائق معدودة حلق سرب آخر فوق رؤوسهم فى نصف دائرة تتموج مع السحاب وأمر الأب الابن الآخر أن يسقط واحدة من كل نهاية وفعل واجتاز الامتحان. قال الصياد: " إننى أعلن لكما أنكما الآن أصبحتما صيادين محنكين بفنون الصيد وأساليبه، لقد انتهى زمن التعلم وليبدأ وقت الممارسة."



انسحب الأخوان وتشاورا فى ركن من أركان الغابة حول أمر ما، وعندما عادوا جميعًا إلى البيت وجلسوا فى المساء إلى مائدة الطعام صارحا أبيهما قائلين:" لن نقرب الطعام ولا الشراب إلا بعد أن تعاهدنا بتلبية رجاء لنا!"

سأل الأب فى فضول:" وما رجاؤكما؟" قالا:" تدربنا وراكمنا خبرة فى الصيد واسعة، لكننا لم نخبر الحياة قط ولا شاهدنا العالم قط، فاسمح لنا أن نرتحل فى البلاد الواسعة!" قال الصياد العجوز برضى:" نطقتما بما دار فى رأسى، إنكما الآن تسلكان مسلك الصيادين الحق، طلبكما هو بعينه ما أبتغيته، فانطلقوا إلى الدنيا وسوف تنجحان بكل التأكيد وتوفقان." هنأ الجميع بالطعام والشراب وثرثروا طيلة المساء وتحدثوا فى سعادة ووفاق.

وكان يوم الوداع وقد أعد الصيادان العدة للترحال وأهدى الأب لكل منهما كلبًا وصندوقًا صغيرة فى حجم العلبة وأعطاهما ما ابتغياه

من الذهب الذى تجمع عبر الأعوام، ورافقهما بداية الطريق وعند الوداع أخرج الرجل سكينًا برّاقًا وقال لهما: " إذا افترقتما اغمدا نصف هذا السكين فى جذع شجرة عند مفترق الطريق الذى سيفصلكما، وإذا طال الفراق وعاد أحدكما إلى الشجرة سيعرف إذا ما كان أخوه حيًا أو ميتًا لأن نصف السكين المغمد سوف يصدأ إذا هلك ، أما إذا كان طيبًا فسوف يظل يتلألأ كما هو الآن."

رحل الأخوان وكانا يومًا بعد يوم يضربان فى البعد عن موطنهما وعن أبيهما الصياد العجوز وفى رحلة من الرحلات بلغا غابة رحيبة وظلا حبيسين فى طرقها المتشابهة المتشابكة وأخفقا فى الخروج منها فى ذات اليوم الذى دخلاها فيه فقررا المبيت، لكن اليوم التالى لم يأت بجديد وفتشا ولم يعثرا على السبيل، وكان زادهم قد نفد حتى قال أحدهما للآخر: " علينا أن نفتش عن صيد وإلا هلكنا جوعا!" راقب الشبان المكان وهلة وإذا بأرنب عجوز يمر، وهم الصياد الأول يضع إصبعه فوق الزناد، حتى صاح به الأرنب قائلاً:

عزيزى أنت يا صياد

كهل أنا من الأجداد

اترك فضلاً الزناد!

ولا تثقب لى فؤاد

ولك اثنان من الأولاد



ثم قفز الأرنب الكهل إلى الدغل وعاد ومعه أرنبان صغيران راحا يعبثان قرب الصيادين ويقفزان قفزات مبهجة من حولهما فى كياسة وحب فشق على الرجلين ذبحهما واحتفظا بهما يتتبعانهما وراء كل خطوة وحركة. واصل الصيادان مراقبة المكان وبعد فترة قصيرة تسلل من بين الأشجار ثعلب وصوب أحد الشابين البندقية نحوه، فإذا به يصيح:

عزيزى أنت يا صياد
كهل أنا من الأجداد
اترك فضلاً الزناد!
ولا تثقب لى فؤاد
ولك اثنان من الأولاد

ترحم الرجلان على الثعلب وتركاه وبعد دقائق قليلة عاد ومعه ثعلبان صغيران، ملس الصيادان فوق ظهرهما وعطفا عليهما ولم يقتلاهما وفكرا أن يضماهما إلى الأرنبين كى يتسلوا معًا. وظل الشابان يراقبان المكان وأتى ذئب سمين، ضبط أحدهما فوهة بندقيته صوبه، فراح يهتف قائلاً:

عـزيزى أنت يا صـيـاد

كـهل أنا من الأجـداد

اترك فـضـلاً الزنـاد!

ولا تثـقـب لى فـؤاد

ولـك اثـنـان مـن الأولاد

سحب الصياد يده من فوق الزناد ولم يطلق رصاصته، هرول الذئب وعاد بذئبين صغيرين من بين أحراش الدغل. كان الذئبان مولودين للتو وقد خفق قلبا الرجلين عندما لمحاهما فتركاهما يمرحان مع البقية وظلا راقدين فى انتظار فريسة تشبعهما ولمدا دبًا وهما بقتله، غير أنه توسل قائلاً:" أنا أيضًا أريد أن أعيش" وهتف بهما:

عـزيزى أنت يا صـيـاد

كـهل أنا من الأجـداد

اترك فـضـلاً الزنـاد!

ولا تثـقـب لى فـؤاد

ولـك اثـنـان مـن الأولاد

وكما فى المرات السابقة انضم الدبان الصغيران كذلك إلى بقية

الحيوانات، وفى النهاية لاح ملك الغابة وظهر الأسد مهيبًا بلبدته المنفوشة فى وقار وكاد الصيادان يردوه قتيلاً، إلا أنه زأر يقول:

عـزيزى أنت يا صـيـاد
كـهل أنا مـن الأجـداد
اترك فـضـلاً الزنـاد!
ولا تثـقـب لى فـؤاد
ولـك اثـنـان مـن الأولاد



جلب الأسد اثنين من صغاره، وهكذا أصبح لدى الرجلين: أرنبان وثعلبان وذئبان ودبان وأسدان، وراح الجمع في مارش يدب خلف الصيادين ويسخر كل ما لديه لخدمتهما. لكن البهجة التى نشرتها صغار الحيوانات لم تسد رمق الشابين وظل الجوع يقرقر فى أحشائهما، حتى نادى أحدهما الثعلبين وقال لهما: " أنتما متسللان ماكران، اذهبا واحضرا شيئًا نطعمه!" أجاب الثعلبان: " بالقرب من هنا قرية صغيرة كثيرًا ما اختطفنا منها الدجاج وسنرشدكما إلى الطريق." وفى القرية سد الرجلان رمقهما بوجبة سريعة وابتاعا علفًا للحيوانات وكان الثعلبان يتقدمان المسيرة ويقودان الجمع لأنهما كانا قد خبرا تلك المنطقة من قبل. لم يتمكن الصيادان رغم ما بذلاه من جهد فى البحث من العثور على مكان يتسع للجميع ولا سبيلاً للمبيت فقررا أن يفترقا.

حانت لحظة الفراق وتناصف الأخوان الحيوانات فظل مع كل منهما أرنب وثعلب وذئب ودب وأسد ثم عانقا بعضهما البعض وشدا كل منهما على يد الآخر بدفء وحزن وسلا السكين البرّاق الذى أهداهما أبوهما وسار أحدهما إلى مفترق الطريق قرب شجرة وغمده نصفه فى الجذع ثم انطلق الأول صوب الشرق والثانى جهة الغرب بعد أن تعاهدا على الوفاء والمحبة طيلة الحياة.

بلغ الأول مدينة غارقة فى الحداد وقد سحبت فوقها الأشرطة والأعلام السوداء وولج فيها فندقًا وطلب من المضيف إيواء حيواناته ففتح لهم الأخير الحظيرة، تسلل الأرنب من فتحة فى جدارها والتقط بفمه أوراق الكرنب، وفعل الثعلب الشىء نفسه واختطف دجاجة وديكًا

وافترسهما، أما الذئب والدب والأسد فلم يستطيعوا النفاذ من الفتحة فأطلقهم المضيف إلى حيث رقدت بقرة فوق عشب المرعى القريب فأكلوا وشبعوا وهنئوا. وبعد أن اطمأن الصياد على حيواناته الصغار جلس فى حانة الفندق وسأل صاحبه:

- " لماذا يكسو المدينة السواد وتغرق فى الحداد؟"

- المضيف:" لأن ابنة الملك الوحيدة ستموت غداً."

- الصياد:" هل فتك بها المرض؟"

- المضيف:" إنها قوية عفية، لكن موتها محتوم."

- الصياد:" لماذا ؟"

- المضيف:" يرتفع عند مدخل المدينة جبل شاهق يسكن قمته تنين تُساق له كل عام عذراء طاهرة من عذارى المدينة فى نفس هذا اليوم من السنة وإلا دمر المدينة بما فوقها، ولم تتبق فى البلاد عذراء سوى ابنة الملك؛ لذا ليس لها خلاص من قدرها، وسوف تُساق له فى صباح الغد."

- الصياد:" ولما لا يُقتل التنين؟"

- المضيف:" حاول الفرسان وغيرهم كثيرون، خاصة بعد أن أعلن الملك عن أن من يهزم التنين يتزوج ابنته فوراً ويعتلى العرش بعد موته، لكن كل هؤلاء الفرسان دفعوا حياتهم ثمناً للمجاسرة."

أطبق الصياد شفتيه وشرد. وفى باكر الصباح سحب حيواناته وتسلق وهى من خلفه جبل التنين. فوق قمة الجبل شيدت كنيسة صغيرة وعلى الهيكل أكواب ثلاثة كتب فوقها: " من يشرب الكئوس الثلاثة يغدو أقوى رجل فى الدنيا ويسحب السيف المدفون أمام عتبة البوابة." لم يقترب الصياد من الكئوس وراح يفتش عن السيف المدفون لكن ذراعه أخفق فى زعزعته من الأرض. عاد وشرب الأقداح الثلاثة دفعة واحدة ثم هم يسحب السيف فإذا به ينسلت بخفة وسهولة.

حلت ساعة القدر، واصطحب الملك ابنته ومستشاره والحاشية ونظرت الفتاة إلى قمة الجبل فلمحت من بعيد الصياد وظنته جزيئًا من أحد أطراف الغول الرهيب ينتظرها وتعثرت فزعًا من مصيرها وتوقفت لحظات ثم واصلت السير فما من خيار فإما هى وحدها أو البلاد كلها. عجز الملك عن رؤية ما سوف يجرى لابنته فغادر المكان وتحتم على مستشاره مراقبة المشهد حتى النهاية. فى هذه الأثناء بلغت ابنة الملك قمة الجبل ولم تجد التنين بل الصياد وحيواناته الحبيبة، تلقفها الشاب على عجل قائلاً لها إنه يبتغى انتشالها من الهلاك وساقها داخل الكنيسة وأوصد الباب بالمزلاج وأحكم غلقه، واستدار للتنين الذى وصل للتو ساحة المعركة ليبدأ الصراع. زحف التنين يجأر ويهدر بصوت مريع قائلاً للصياد:" ما لديك لتفعله هنا فوق الجبل؟" أجاب الرجل:" أتيت لمصارعتك!" قال التنين:" كم من الفرسان ذاقوا هنا الردى، وستلحق أنت الآخر بهم." ثم نفس التنين نارًا من حلوقه السبعة ليشعل بلظاه العشب الجاف من تحت أقدام الصياد فيختنق وينتهى أجله، غير أن

الحيوانات ركضت من كل حد وصوب وراحت تدهس العشب بأقدامها إلى أن خبت ألسنة النيران وانطفأت. حنق التنين وفي ثورة الغضب ضرب بذيله في الهواء بعنف حتى التف حول نفسه وأطاح بثلاثة رؤوس من السبعة. اشتعل التنين غيظًا ونهض ببدنه الجسيم مرتفعًا في الهواء ونفس ألسنة النيران مرة أخرى صوب الصياد وهم يقفز فوقه غير أن الصياد أمسك سيفه بقبضة فولاذية وعزم شق بحافته الهواء وبتر ثلاثة رؤوس أخرى من فوق أعناق التنين، سقط الوحش فوق الأرض وتلوى وهم يهاجم الصياد مرة ثانية غير أن الرجل لم يمهله لذلك وقتًا وانقض على ذيله بما تبقى لديه من جهد وعافية وفصله عن مركبة جسده الهائل ومات التنين وانفض العراك. هوى الصياد خائر القوى فوق عشب الجبل وصاح على حيواناته يأمرها بتمزيق بدن الغول مزقًا.

فتح الصياد بوابة الكنيسة، كانت ابنة الملك ترقد على الأرض من وطأة الزعر والهلع وقد فارقها وعيها. حملها للخارج وهي تفيق، أراها التنين الممزق وقال لها إنه أنقذها، فغمرتها السعادة واستبشرت وقالت له:" ستكون زوجي الحبيب إذن!" ابتسم لها، وأضافت:" قرر أبي أن يهبني زوجة لمن يقتل التنين." ثم راجت تحل لفائف عقدها المرجان وتهدى كل حيوان من الحيوانات فصًا في سلسال، أما الأسد فوهبته العقد الذهبي، وأخرجت منديلاً كتب اسمها فوقه بنقوش وزخرفة وأعطته للصياد. تناوله الشاب وقطع ألسنة التنين السبعة من رؤوسه المبتورة المبعثرة وربطها في المنديل ودسه في حقيبته وقال للأميرة:" هذا دليل هلاك التنين، والآن نحن منهكان فلننم قليلاً!" أجابت العذراء:"

هيا!" رقدا فوق العشب وقال الصياد للأسد:" كن يقظًا كى لا يهاجمنا أحد ونحن نيام!" ثم أغمض عيناه وكذا الأميرة وغطا فى سبات عميق. كان الأسد بدوره متعبًا إثر المعركة، فصاح على الدب وقال له:" ارقد جوارى وكن يقظا كى لا نهاجم وسأنام قليلاً!" وأوكل الدب مهمة الحراسة إلى الذئب ونام قرب الأسد، والذئب أمر الثعلب واستلقى جوار الذئب، وألقى الثعلب بالعبء على عاتق الأرنب. نظر الأرنب حوله ووجد الكل نيام وأخذته غفلة واستراح قرب الثعلب فغفا ونام هو الآخر.

كان مستشار الملك يراقب ما حدث فوق جبل التنين واسترعاه السكون الذى خيم فجأة بعد زئير وهدير، ولم ير أن التنين التهم ابنة الملك وقرر أن يتسلق الطود ويكتشف كل شىء بنفسه. كانت أوصال التنين ممزقة مزقًا ولحمه منتفًا نتفًا وقريب منه ترقد العذراء ابنة الملك ومن بعدها الصياد وجواره الأسد ثم الدب والذئب فالثعلب والأرنب والجميع مغيب فى سبات عميق. على الفور أدرك المستشار ذو القلب الشرير ما وقع واستل سيفه وأطاح برأس الصياد، ثم حمل العذراء وهبط بها الجبل وهو يحذرها قائلاً:" إنك رهينة لدى، فلتبلغى الملك أننى أنا الذى هزمت التنين!" أجابت مذعورة مرتاعة:" لا أستطيع ذلك، إن الصياد وحيواناته هم الذين أهلكوه." هددها المستشار بالسيف واستنطقها وعداً ألا تبوح بالسر لا اليوم ولا غداً ومضى بها إلى القصر.

غمرت الملك بهجة عظيمة عندما رأى ابنته الوحيدة حية نضرة بعد أن اعتقد أن التنين قد افترسها. أسرع المستشار إلى الملك يخبره:"

هزمت التنين وأنقذت ابنتك وكل المملكة وأطلب منك أن تصبح الأميرة زوجي كما وعدت!" سأل الملك الأميرة:" هل ما يقصه المستشار صحيح؟" أجابت في خوفها:" آه، صحيح، لكنني اشترط أن يكون العرس بعد يوم وعام من الآن." وقد كانت الأميرة تمني نفسها برؤية الصياد خلال هذا العام.

فوق جبل التنين كانت الحيوانات لاتزال نائمة قرب سيدها مبتور الرأس، حتى حطت نحلة ضخمة فوق أنف الأرنب الذى أبعدها بكفه ولم يتركها تنتشله من سكرة النوم، لكنها هبطت على أنفه مرة ثانية وفى المرة الثالثة وخزته بقوة، أفاق بعدها وأيقظ الثعلب، ونبه الثعلب الذئب، وصاح الذئب على الدب ولكم الدب الأسد ونهض الأخير ولم يعثر للعذراء على أثر ووجد سيده قتيلاً. زأر الأسد زئيراً ردد الهواء والخلاء من حوله وصاح مفجعًا يقول:" من فعل هذا بسيدى ؟" ثم توجه للدب يسأله:" يا دب! لماذا لم توقظنى؟"، وسأل الدب الذئب:" يا ذئب! لماذا لم توقظنى؟" وسأل الذئب الثعلب:" يا ثعلب! لماذا لم توقظنى؟" وسأل الثعلب الأرنب:" يا أرنب! لماذا لم توقظنى؟" تعثرت الكلمات فى فم الأرنب وارتبك بعد أن ألقى باللوم عليه. وهم الجميع يهجم عليه ويثأر منه، لكنه توسل وقال:" لا تقتلونى! أعرف كيف يبعث سيدنا بإرادة الله مرة أخرى للحياة، إننى أعرف الطريق لجبل ينمو فوق قمته عشب الحياة من يأكل منه أو حتى يتذوقه يشفى من كل الأمراض إذا كان مريضا وتلتئم جروحه إذا كان جريحاً ويبعث للحياة إذا كان ميتاً، لكن

الجبل يقع على بعد مائتى ساعة من هنا." قال الأسد:" اركض إلى حيث العشب وعد به خلال أربع وعشرين ساعة وإلا أهلكتك!"

انطلق الأرنب مثل الرياح العاصفة حتى إن أقدامه كادت لا تطأ الأرض وعاد بعد أربع وعشرين ساعة والعشب بين أسنانه. أعاد الأسد رأس سيده إلى مكانها ووضع الأرنب العشب فى فمه. لم يطل انتظار الحيوانات، انصهرت الأطراف المبتورة فى اللحم والتصقت الرأس بالعنق والتحم العنق بالكتفين وعاد كل شىء كما كان ودق القلب فى جسد الصياد وبعث بإرادة الله من جديد. نهض كمن أفاق للتو من النوم وهلع عندما أدرك أن العذراء اختفت، وظن أنها فرت هاربة منه. وكان الأسد فى عجالته قد أدار رأس الصياد فأصبح وجهه إلى ظهره، ولم يلحظ الصياد بادئ الأمر شيئًا وهو غارق فى أحزانه لاختفاء العذراء، ولكن فى وقت الظهيرة عندما عمد إلى تناول طعامه انتبه إلى أن رأسه ليست فى موضعها ولم يعِ شيئًا للوهلة الأولى وسأل حيواناته فقص الأسد عليه الحكاية ووعده أن يعيد كل شىء كما كان. خلع الأسد رأس سيده وعاد فجعلها فى وضعها وأطعمه الأرنب عشب الحياة وثبت الرأس فوق العنق مرة أخرى.

ارتحل الصياد بشجونه فى بلاد الدنيا، أحزانه من أمامه وحيواناته خلفه ترقص أمام الناس فى كل مكان يحط فيه. دار عام والشاب يتجول ويرتحل من مملكة إلى أخرى حتى وصل نفس المدينة التى صارع فيها التنين وصرعه وأنقذ ابنة الملك وقد كست المدينة هذه المرة الأعلام المزركشة والشرائط القرمزية. قصد الصياد نفس المطعم

وجلس وسأل المضيف:" ما الذى يحدث هنا؟ من عام كانت المدينة غارقة فى السواد والحداد واليوم طافية من البهجة باللون الأحمر القرمزى!" أجاب صاحب المطعم:" العام الماضى سيقت ابنة الملك إلى التنين، لكن مستشار الملك قتله وغدا حفل عرسهما، لذلك كانت المدينة وقتذاك تنعى ابنة الملك، أما اليوم فتزفها."

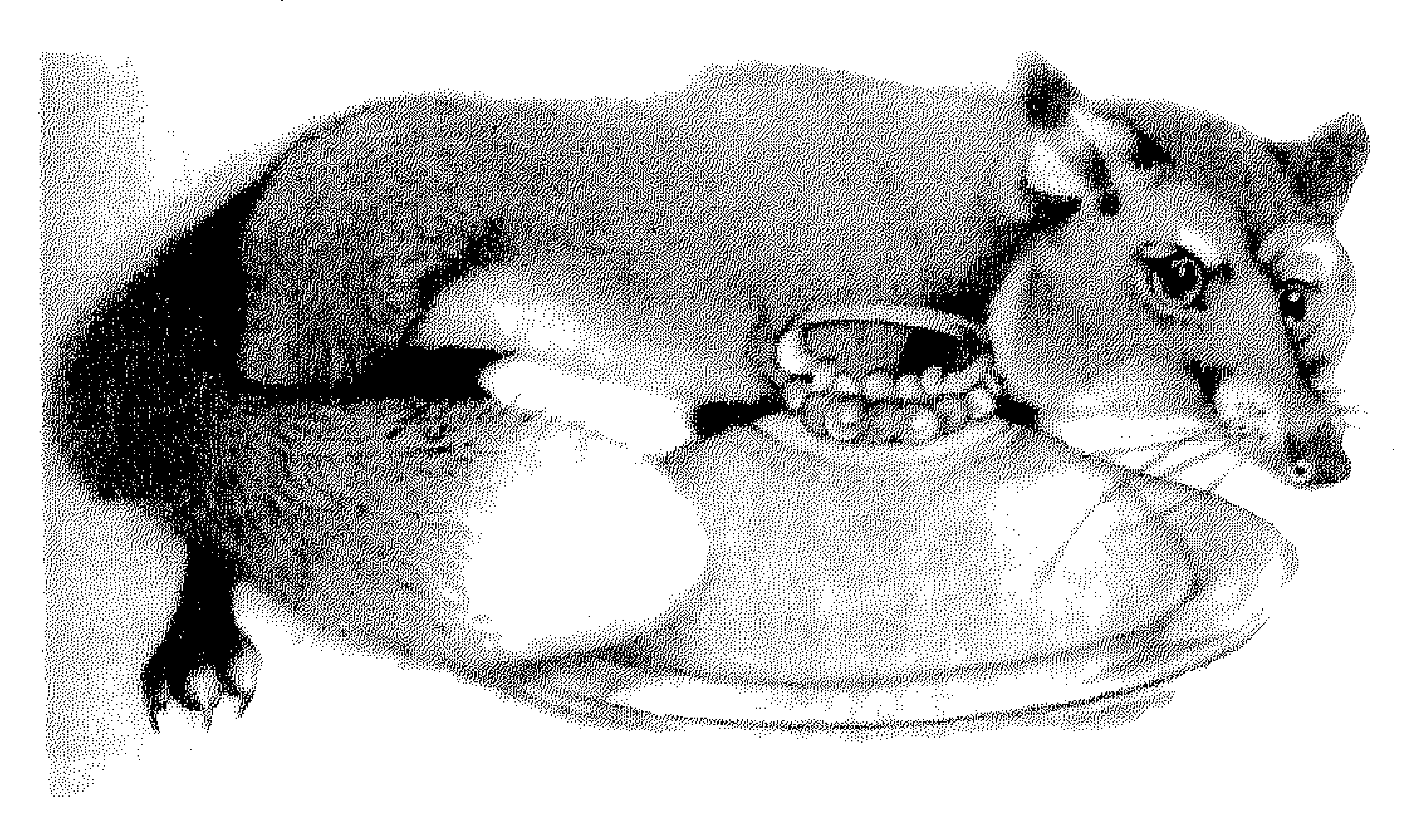
فى يوم العرس جلس الصياد فى المطعم وقال للمضيف:" هل تراهن يا سيدى على أننى اليوم سآكل من خبز الملك؟" أجاب الرجل:" أراهن بمائة قطعة ذهبية." سحب الصياد حافظته ووضع هو الآخر مائة قطعة ذهبية فوق المائدة ثم صاح على الأرنب وقال:" يا أرنبى العزيز اقفز إلى القصر وأحضر لى من خبز الملك!" كان على الأرنب أن ينصرف لإنهاء مهمته لأنه الأصغر حجمًا من بقية الحيوانات الأخرى ولم يكن بوسعه أن يوكل المهمة لغيره. فكر الأرنب فى طريقة مثلى؛ لأنه أدرك أن كلاب الطريق الضالة سوف تلاحقه وتجاهد لنزع جلده من تحت فرائه عندما يركض فى عرض الشارع إلى القصر. انطلق الأرنب يثب بسرعة بعد أن وجد الحل، وكما توقع هرولت وراءه الكلاب، لكنه أسرع وانسل داخل أحد أبراج الحراسة دون أن يلحظه الجندى. اندفعت الكلاب خلفه تعوى تبغى النيل منه، حينئذ تناول الحارس بندقيته وأبرحهم ضربًا حتى انقلب العواء نباحًا وفروا تاركين الأرنب. راقب الأرنب المكان وعندما وثق فى أن الكلاب قد انصرفت بعيدًا وثب من البرج وركض إلى القصر ووصل إلى ابنة الملك تحت مقعدها وراح يملس فوق قدمها. ظنت الأميرة أنه كلبها فسألته:" هل تود الخروج إلى

الحديقة؟" ولما لم يجب لم تأبه له. ملس الأرنب فوق قدمها مرة أخرى، فأعادت عليه السؤال:" هل تود الخروج إلى الحديقة؟" ثم تركته! أصر الأرنب وملس للمرة الثالثة فوق قدمها حتى نظرت الأميرة أسفل المقعد وتعرفت عليه من فص المرجان المدلى من عنقه. رفعته فوق أرجلها وحملته إلى غرفتها وسألته:" ماذا تبتغى يا عزيزى الأرنب؟" أجاب:" سيدى الذى هزم التنين هنا وبعث بى إليك لآخذ خبزًا من عيش الملك ويحمله خادمك حتى باب الفندق كى لا تنتزعه منى كلاب الطريق الضالة." كانت سعادة الأميرة عظيمة وأمرت الخباز أن يعد خبزًا من الذى يطعمه الملك. فعل الخباز ما أمرته به الأميرة، وعند باب المطعم تناوله الأرنب بيديه وارتكز على رجليه الخلفيتين وقدمه لسيده بكياسة.

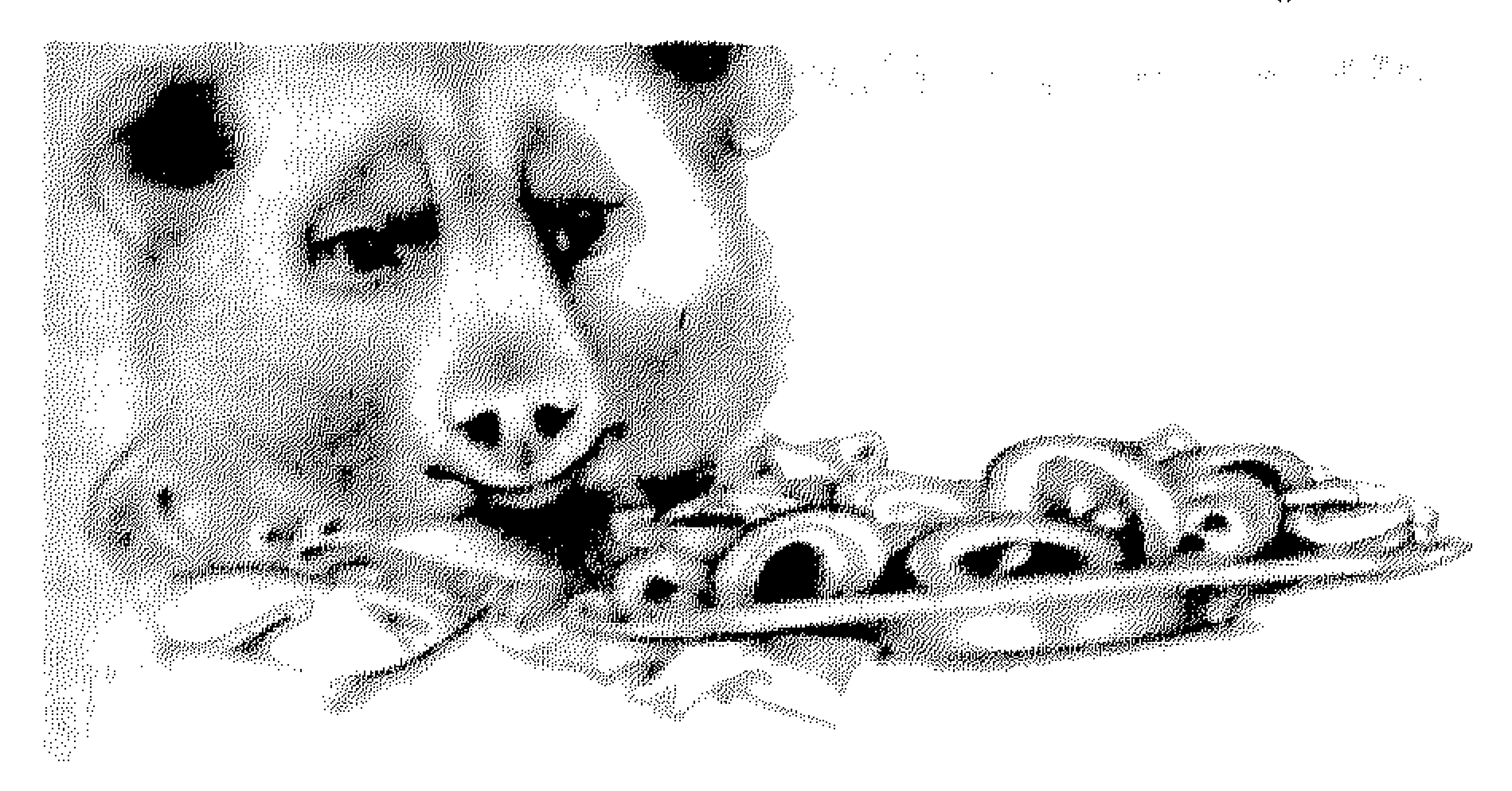
قال الصياد للمضيف بعد أن تملكه ذهول:" الخبز فوق المائدة يا عزيزى والمائة قطعة ذهبية لى، والآن أود أن أتذوق اللحم المشوى الذى يأكل منه الملك." لم يغامر المضيف برهان آخر لكنه صاح بتعجب:"حقا .. هذا ما أود أن أراه!" صاح الصياد على الثعلب وقال له:" يا ثعلبى العزيز اركض للقصر وأحضر لى لحمًا مشويًا من لحم مأدبة الملك!" تسلل الثعلب بحيلة ودهاء إلى القصر دون أن يلحظه أى كلب فى الطريق وجلس تحت مقعد الأميرة وملس فوق قدمها. نظرت ورأته وتعرفت عليه من فص المرجان فى عنقه وأخذته لغرفتها وقالت له:" ماذا تبتغى يا عزيزى الثعلب:" قال:" سيدى الذى هزم التنين هنا وبعث بى إليك لآخذ لحمًا مشويًا من الذى يأكله الملك، ويحمله خادمك حتى باب الفندق كى لا تنتزعه منى كلاب الطريق الضالة." أمرت الأميرة الطباخ

بطهى لحم من الذى يأكله الملك، وأن يحمله حتى باب الفندق. فى الفندق أخذ الثعلب سلطانية اللحم من الطباخ وضرب بذيله الهواء من حولها كى لا يحط الذباب فوقها وأحضرها لسيده فى أدب وكياسة.

رمق الصياد صاحب الفندق بنظرة ملغزة وقال له:" الخبز واللحم فوق المائدة يا عزيزى والآن أود أيضًا شيئًا من خضار الملك." وصاح على الذئب وقال له:" يا ذئبى العزيز اركض إلى القصر وأحضر لى من خضار الملك!" سار الذئب فى قلب الشارع العريض لا يخشى أحدًا وعندما وصل إلى ابنة الملك راح يجذب طرف ردائها، تطلعت الأميرة إليه وتعرفت عليه من فص المرجان فى عنقه وسارت معه إلى غرفتها وقالت له:" ماذا تبتغى يا عزيزى الذئب؟" قال:" سيدى الذى هزم التنين هنا وبعث بى إليك لآخذ خضارًا من خضار الملك!" أمرت الأميرة الطباخ بطهى خضار من الذى يأكله الملك، وأن يحمله حتى باب الفندق. وهناك أخذ الذئب السلطانية من الطباخ وقدمها لسيده فى إجلال.

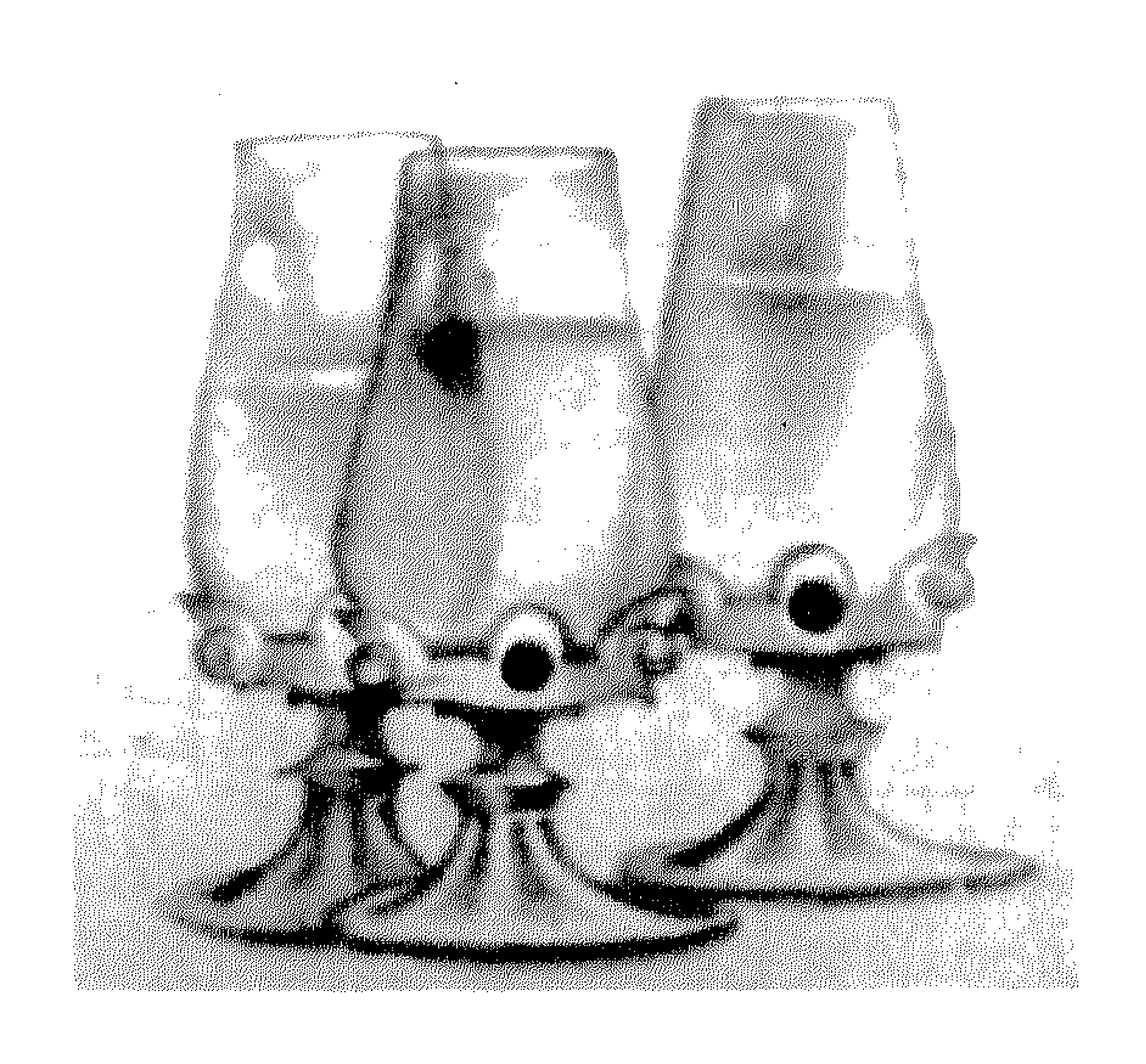


قال الصياد للمضيف:" أترى يا عزيزى؟ فوق المائدة خبز ولحم وخضار، لكننى أرغب أيضاً فى حلوى الملك." وصاح على الدب:" يا دبى العزيز إنك تهوى الحلويات وتلعقها بسرور، اذهب للقصر وأحضر لى من حلوى الملك!" حث الدب الخطى إلى القصر، وكان كل من يراه يفسح له الطريق خشية واحتراماً، لكن حراس القصر أوقفوه عند البوابة، عندئذ قفز الدب فى الهواء يهاجمهم وركل الجنود بحوافره الأمامية وصدهم بالخلفية يمناً ويساراً حتى تفرقوا من حوله وسقطوا من الألم والفزع. مضى الدب بعد ذلك مباشرة إلى ابنة الملك ووقف خلفها يهدر، نظرت إليه الأميرة وتعرفت عليه من فص المرجان فى عنقه وسمحت له باصطحابها إلى غرفتها وهناك سألته:" ماذا تبتغى يا عزيزى الدب؟" أجاب:" سيدى الذى هزم التنين هنا وبعث بى إليك لأخذ من حلوى الملك." أمرت ابنة الملك حلوانى القصر بإعداد فطائر الحلوى من التى يطعمها الملك، وأن يحملها حتى باب الفندق. وفى الفندق لعق الدب عسل الحلوى الذى تساقطت قطراته من حوافها ثم اعتدل فى احترام وتناول السلطانية وقدمها لسيده."



قال الصياد للمضيف:" أترى يا عزيزى! فوق المائدة الآن خبز ولحم وخضار وحلوى، لكننى أود أن أشرب أيضًا من نبيذ الملك." وصاح على الأسد وقال له:" يا أسدى العزيز إنك تحتسى بسرور كأسا من النبيذ، فاذهب للقصر وأحضر لى من نبيذ الملك!" مضى الأسد وأفزع كل المارة وعند حراس القصر زأر فى وجوه الجنود مرة واحدة فقط هرول الجميع إثرها واختفوا فى الحال. وصل الأسد حتى الباب وطرقه، فتحت الأميرة وهلعت، لكنها سرعان ما تعرفت عليه من مفتاح سلسلتها الذهبى فى عنقه، وسمحت له أن يصطحبها إلى غرفتها، وهناك سألته:" ماذا تبتغى يا عزيزى الأسد؟" أجاب:" سيدى الذى هزم التنين هنا وبعث بى إليك لآخذ من نبيذ الملك." أمرت ابنة الملك الساقى إعطاء الأسد نبيذاً من الذى يحتسيه الملك. طلب الأسد أن يذهب مع الساقى ليثق بنفسه أن النبيذ من خمر الملك وهبط معه إلى مستودع الخمور فى بدروم القصر. وعندما هم الرجل يعبئ له من نبيذ العامة أمره الأسد أن يتمهل وصب نصف كأس ليتذوقه وشربها جرعة واحدة ثم قال:" لا .. ليس هذا نبيذ الملك." نظر الساقى إليه بامتعاض وتقدم إلى برميل نبيذ مستشار الملك وهم أن يعبئ له منه حتى أمره الأسد أن يتمهل كى يتذوقه! سخط الساقى عليه وقال:" حيوان غبى لا أكثر ولا أقل ويزعم أنه يفرق بين أصناف النبيذ!" لطمه الأسد خلف أذنه بأحد أقدامه فهوى الرجل وارتطم بالأرض بعنف، نهض الرجل بعد جهد ولزم الصمت والأدب ثم قاد الأسد حيث مخزن نبيذ الملك الذى لم يتذوقه أى

إنسان عداه. صب الأسد نصف كأس وتجرعها دفعة واحدة ثم قال بارتياح:" نعم .. إنه مذاق نبيذ الملك على الأغلب." وجعل الساقى يملأ ست زجاجات حتى فوهاتها وبدا ثملاً بعض الشيء وخطاه ترنحه هنا وهناك. حمل الساقى النبيذ حتى باب الفندق، وهناك تلقف الأسد السلة بفمه وقدمها بهيبة لسيده.



قال الصياد للمضيف:" أترى يا عزيزى لدى خبز ولحم وخضار وحلوى ونبيذ من مأدبة القصر التى لا يتذوقها إلا الملك فحسب، والآن سآكل وحيواناتى." اقتسم الصياد الطعام والشراب مع الحيوانات، وكان جذلاً حسن المزاح لأنه أيقن أن الأميرة مازالت تحبه. وعندما فرغ من الغداء قال للمضيف:" أكلت وشربت كما يأكل ويشرب الملك، والآن سأذهب لقصره وأتزوج ابنته!" أجاب المضيف فى دهشة:" كيف تتزوج منها بينما اليوم حفل زفافها على المستشار؟!" سحب الصياد منديل الأميرة الذى حفظ داخله ألسنة التنين السبعة وقال بعزيمة:" ما أقبض عليه بيدى هو الذى سيمكننى من ذلك." نظر المضيف إلى المنديل وهتف مشدوهاً:" إذا صدقت أى شىء فى الدنيا لن أصدق ذلك وأراهنك عليه ببيتى ومالى وكل ما لدى!!" تناول الصياد حزمة بها ألف قطعة ذهبية وألقاها باستهانة فوق المائدة وقال:" وأنا أراهن بالذهب."

فى هذه الأثناء تعجب الملك للحيوانات التى دخلت القصر وخرجت منه فسأل الأميرة وهما حول مأدبة الطعام:" ما الذى ابتغته منك الحيوانات التى راحت وجاءت إلى قصرى؟" أجابت:" ليس بوسعى أن أبوح لك بشىء، ولكن يجدر بك يا أبى أن تبعث برسول إلى سيد هذه الحيوانات وتتركه يمثل أمامك وأنت تعلم كل شىء." أرسل الملك بخادم إلى الفندق يدعو الضيف الغريب إلى القصر وقد وصل المطعم فى اللحظة التى اتفق فيها الصياد والمضيف على رهانهما. نظر الصياد إلى المبعوث وقال لصاحب الفندق:" أترى يا عزيزى المضيف ها هو الملك يرسل بخدمه إلىّ، لكننى لن ألبى دعوته الآن." ثم استدار إلى الخادم

قـائلا:" أبلغ الملك أن يرسل لى برداء ملكى وعـربة بسـتة جياد وحـرس لحمايتى!" عرف الملك رد الزائر الغريب واحتار وسأل ابنته:" ما عساى أن أفعل؟" أجابت:" افـعل ما يريد يا أبى وسـوف يكون فـعلك صـائبًا!" أرسل له الملك بثـياب ملكيـة وعربة بسـتـة جـياد وحرس لحـمـايتـه. لمح الصياد العربة والحرس فى الطريق إليه فقال:" أترى يا عزيزى المضيف ها هم آتون يصطحبوننى على النحو الذى أردت." بدل الصياد ملابسه وحمل معه منديل الأميرة بألسنة التنين ورحل إلى قصر الملك.

سـأل الملك ابنتـه عندمـا رأى الضـيـف وقـد ترجل قـادمًا صـوب البوابة:" كيف نستقبل الزائر الغريب؟" قالت الأميرة:" اقبل عليه يا ابى!" سار الملك إليه واحتفى به وساقه ومن ورائه حيواناته إلى القاعة وأفسح له مكانًا بينه وبين ابنتـه بينمـا جلس مـسـتـشـاره فى الجـانب الآخـر باعتباره عريس الأميرة، ولم يتعرف المستشار على الصياد. عرض الملك على الصـيـاد فى فـخـر رؤوس التنين السـبـعة قـائلاً:" رؤوس الغـول التى قطعها مستشارى، لذلك سنعقد قرانه اليوم على ابنتى." نهض الصـيـاد من مكانه وفتح أفـواه التنين وسـأل:" وأين ألسـنة التنين يا مولاى الملك؟" امتقع لون المستشار واكفهر وجهه وحارت الكلمات فى فيه وقـال بتعثر:" ليس للتنين ألسنة." قـال الصـيـاد:" الكذابون فقط لا يصح أن يكون لهم ألسنة، أمـا التنـين فـهـا هى ألسنتـه، برهان المنتـصـر!" وسـحب منديل العذراء وحل أطرافه وأخرج ألسنة التنين السبعة ووضع كل واحد منها فى حلق من الحلوق وقد انسجمت تمامًا مع موضعها، ثم قدم المنديل الموشى باسم الأميرة لها وسـألها:" لمن أهديت هذا المنديل؟" أجـابت:"

للذى صرع التنين." صاح الصياد على حيواناته ونزع من حول أعناقها فصوص المرجان ومفتاح سلسلتها الذهبى وسألها:" لمن هذا؟" أجابت:" إنها أحجار سلستى فرقتها على الحيوانات التى هزمت التنين مكافأة لها." قال الصياد:" مولاى الملك! أنا الذى صارعت التنين حتى صرعته وقد برهنت لكم على ذلك بألسنة التنين وبمنديل الأميرة الذى يحمل اسمها وبأحجارها فى أعناق حيواناتى. عندما خارت قواى من المعركة رقدت أنام وجاء المستشار وقطع رأسى ثم حمل ابنتك وزعم أنه الفاعل لكنه كاذب." ثم قص الصياد على الملك كيف أن حيواناته جلبت له عشب الحياة الذى بعثه بإرادة الله إلى الحياة، وكيف أنه تجول وارتحل حول العالم عامًا كاملاً وصل بعده نفس المدينة وسمع من صاحب الفندق أن مستشار الملك الذى هزم التنين سوف يعقد قرانه على ابنة الملك.

استمع الملك للصياد ثم سأل ابنته:" هل هذا الرجل حقًا هو الذى قتل التنين؟" أجابت:" نعم يا أبتاه إنها الحقيقة، الآن أصبح بوسعى الخروج عن صمتى دون أن أخرق عهدى؛ لأن فعلة المستشار الشنعاء قد فضحت دونى، لأنه هددنى وأجبرنى على القسم على حجب السر، لذلك اشترطت أن يكون العرس بعد يوم وعام." اجتمع الملك بمستشاريه الاثنى عشر وأمرهم بإصدار الحكم عليه. وفى ساحة عامة ربطت أطراف المستشار فى أربعة ثيران ركض كل منها فى ناحية فمزق جسده مزقًا فى شوارع المدينة.

تزوج الصياد ابنة الملك وعين حاكمًا على كل المملكة وأقيمت احتفالات العرس ببهجة وبهاء ودعا الصياد أباه ربّاط المقشات وأباه

الصياد وصاحب المطعم وأمطر الجميع بالهدايا والمال، وقال لصديقه المضيف:" أترى يا عزيزى المضيف تزوجت ابنة الملك أما بيتك ومالك فلتحتفظ به لنفسك ولك أيضاً الألف قطعة ذهبية هدية." ابنتهج المضيف وقال:" هذا عدل وإنصاف."

عاش الصياد وزوجته الأميرة فى هناءة وسلام ومحبة ووئام، وكان يخرج دومًا للصيد مع حيواناته، وسمع أن هناك غابة غريبة قيل عنها فى المدينة إنها ظلماء تلفها الأسرار، وأن من يدخل إليها لا يخرج منها . تملكت الصياد رغبة جامحة فى مزاولة حرفته وأراد الصيد فيها وراح يتوسل ويلح على الملك إلى أن سمح له أخيراً، لكنه بعث معه بمجموعة ضخمة من الصيادين والحراس واصطحب هو حيواناته الحبيبة. وانطلقت المسيرة صوب الغابة وعند حافتها لمح الصياد غزالا بريا بديعا أنصع من الثلج الشاهق فقال لحاشيته:" ابقوا هنا إلى أن أعود، سأركض وراء هذا الحيوان البرى الرائع لأصطاده." وانتظر الجميع حتى أمست الدنيا ولم يعد الملك الشاب. فى القصر قصوا الحكاية على زوجته وقالوا لها:" إن الملك ركض وراء غزال فى غابة السحر ولم يعد منها . ارتاعت الملكة خوفًا على زوجها الذى كان فى هذه الأثناء لا يزال يركض وراء الغزال الجميل ولا يلحق به أبدا وكلما ظن أنه أصابه، يعود ويراه من بعيد يقفز ويثب. لم يدر الصياد أنه غار فى جوف غابة السحر العميق إلا بعد أن اختفى الغزال تمامًا ولم يعد له أى أثر. تناول الصياد بوقه ونفخ فيه بقوة، لكنه لم يتلق ردًا من حراسه وحاشيته البعيدة. تطلع الملك الشاب إلى الغابة الظلماء وأحس من

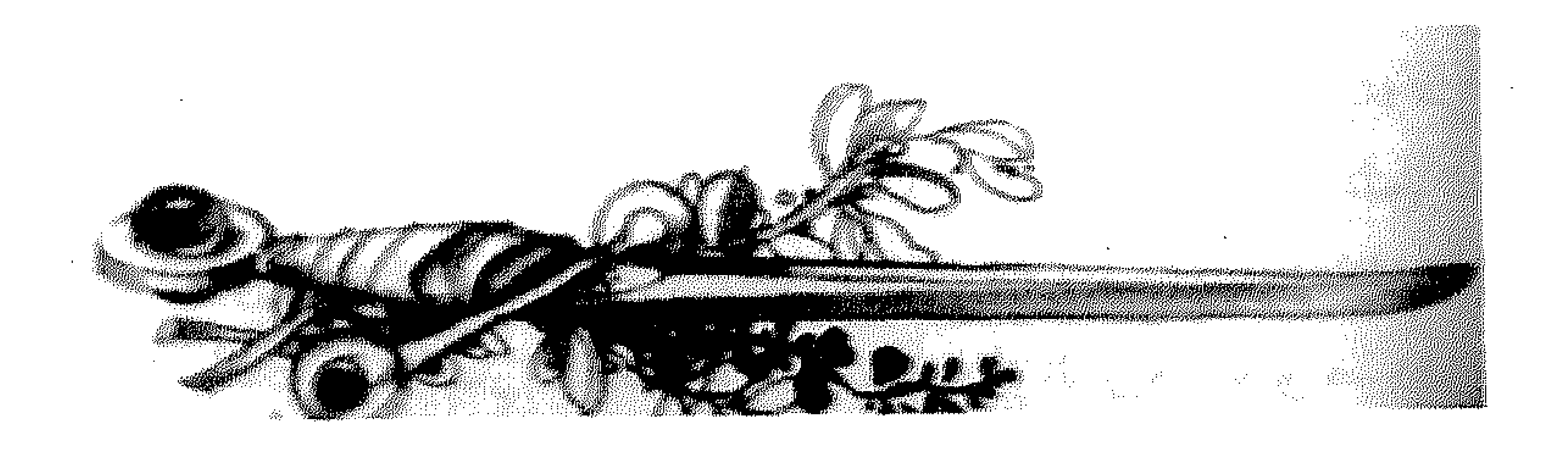
سكون حيواناتها ومن نسمات الهواء الرطيب أن الليل قد أطبق، وأن العودة للقصر فى هذه الليلة ستصبح عسيرة وقرر المبيت. هبط من فوق جواده وأضرم نارًا قرب شجرة وجلس وأرقد حيواناته بجواره. ولم تمر سوى لحظة حتى تناهى لسمعه ما يشبه الصوت البشرى، تطلع من حوله، لم ير سوى الظلام مخيمًا، ولم يسمع سوى السكون مطبقًا. ومرة أخرى وعت أذناه حسًا يزفر فى أعلى الهواء تأوهًا، وأبصر الملك الشاب امرأة عجوز فوق نفس الشجرة تتألم قائلة:

فى غابة الظلام
امرأة من الأنام
من البرد لا أنام

قال الملك الشاب:" اهبطى إذن وادفئى بالنار!" أجابت العجوز:" حيواناتك تفترسنى." قال:" لن يمسك أحد منهم بسوء أيتها الجدة فاهبطى!" كانت العجوز ساحرة وقالت له:" سأقذف لك بعصا إذا ملست بها فوق ظهورهم لن يقتربوا منى." تلقف العصا وملس بها فوق ظهور حيواناته التى هوت فور ذلك على الأرض وانقلبت فى نفس اللحظة أحجارا. بعد أن أمنت الساحرة جانب الحيوانات نزلت من فوق الشجرة وبعصا أخرى حولته هو أيضا إلى حجر. ارتفعت بعد ذلك قهقهاتها وجرجرت الملك الشاب وحيواناته إلى قبر عميق وألقت بهم إليه حيث تجمعت أحجار مثلهم كثيرة.

ارتحّل الأخ الثانى الذى توجه صوب الشرق وتجول وبحث عن عمل وكان يرتزق فى بعض الأحيان من رقص حيواناته أمام جمع من

الناس فى المدن والبلاد الغريبة. وبعد زمن وأعوام أراد أن يطمئن على أحوال أخيه فقاد حيواناته إلى الشجرة التى غمد بها السكين البرّاق وانتزعه من جوفها. كان نصف سكين أخيه صدئ من جهة ومتلألئ من الجهة الأخرى فعلم أن أخاه فى محنة ولعله يستطيع انتشاله لأن أحد جانبى السكين مازال يلمع. قصد وحيواناته من خلفه الغرب ووصل إلى بوابة نفس المدينة، وعندما رآه الحراس اعتقدوا أنه ملكهم الشاب وقالوا له:" أتود أن نبلغ الملكة بوصولكم، إنها فى قلق وكرب منذ تغيبت فى غابة السحر وقد خشيت عليكم من الهلاك؟" أدرك الصياد أن الحديث عن أخيه التوأم الذى يسحب أينما ذهب الحيوانات ذاتها بنفس العدد التى يجرها هو دوماً من ورائه. وقرر الصياد أن يتقمص شخصية أخية كى يتمكن من مساعدته، وترك الحرس يصطحبه حتى القصر حيث قوبل ببهجة كبيرة وظنت الملكة أيضاً أن القادم هو زوجها الحبيب، ولم تلحظ أى فرق أو تغيير وسألته:" لماذا تغيبت هذه الفترة الطويلة؟" أجابها:" لقد شردت فى الغابة، ولم أتمكن من العودة بسهولة." وفى المساء رقد الزوجان وتحيرت الملكة عندما رأت زوجها يضع فى الفراش سيفاً ذا حدين يفصلهما، لكنها لم تجرؤ على السؤال.



بقى الصياد فى القصر أيامًا معدودة استفسر فيها عن كل شىء حول غابة السحر الظلماء ثم قال للملك العجوز:" علىّ أن أخرج للصيد فى الغابة مرة أخرى." وعبثًا حاول الملك العجوز وزوجه ثنيه عن عزمه؛ لأن قراره كان قد نفذ وانطلق بفرقة كبيرة إلى الغابة وعند حافتها وقع له ما حدث لأخيه، رأى غزالا بريا بديعا أبيض أنصع من الثلج وأمر حاشيته وحرسه قائلا:" ابقوا هنا إلى أن أعود، أود اصطياد هذا الحيوان البرى الخلاب!" وركض فوق جواده فى عمق الغابة وحيواناته تهرول من خلفه. لم يتمكن الصياد من اللحاق بالغزال، وكان يغوص أكثر فأكثر فى دروب الغابة الملتفة، واضطر للمبيت وراح يشعل نارًا قرب شجرة يتدفأ وحيواناته حتى تناهى إلى سمعه من الهواء صوت يتأوه قائلاً:

فى غابة الظلام
امرأة من الأنام
من البرد لا أنام

رفع الصياد رأسه ورأى الساحرة فوق الشجرة فقال لها:" اهبطى إذن وادفئى بالنار!" قالت العجوز:" حيواناتك تفترسنى." قال:" لن يمسك أحد منهم بسوء أيتها الجدة فاهبطى!" قالت:" سأقذف لك بعصا إذا ملست بها فوق ظهورهم لن يقتربوا منى." ارتاب الصياد فى شأن المرأة وأجابها:" أنا لا أضرب حيواناتى، إما أن تنزلى أو أضطرك أنا للنزول." صاحت الساحرة:" ماذا تبتغى؟ لا تؤذينى!" قال:" انزلى وإلا أطلقت عليك النار!" قالت:" لا أعبأ بأعيرتك النارية." أطلق صوبها

عـدة طلقـات لم تبـدل من الأمر شـيـئًا، وظلت السـاحـرة فـوق الشـجـرة تضـحك وترسل فى قـهقـهاتها إلى الهواء ثم قـالت:" رصاصـاتك لن تنفذ إلى جسدى." سـحب الصياد من جرابه ثلاث طلقات من الفضة لأنه كان يعلم أن سـحر المرأة سوف يعـجز عن صـدها وحشـا بها بندقيته وضغط الزناد فهوت فوق الأرض تصرخ ثم أراح فوقها قدمه الثقيل وقال:" إذا لم تعترفى الآن أيتـها السـاحرة الشمطاء بما فـعلت بأخى وترشـدينى إلى مكانه، سـأحملك بيدى وأقذف بك إلى النار تصبحين فـيها رمـادًا وينتهى أمـرك!" ارتـاعت العـجـوز وتوسلت السـمـاح، وقـالت:" يرقـد اخـوك مـع حيواناته أحجارًا فى قبر." سحبها الصياد من عنقها ودفعها أمامه تدله على الطريق. عند حافة القبر قال مـهددًا:" ابعثيه وبقية المخلوقات أحياء أيتـهـا القـردة الشـمـطـاء وإلا ألقيت بك إلى النـار!" بنفس العـصـا لمست السـاحـرة الأحـجـار، وعـادت الحـيـاة تسـرى فى بدن أخـيـه وحـيـواناته من جديد وكذا كثيرين غيره من التجار والصناع والرعاة. نهض الجميع من القبر وشكروا الصياد وانصرفوا سعداء مستبشرين إلى ديارهم.

أمـا التوأم فـقد سـقطا فى عناق وأمطرا بعـضـهـمـا البـعض قـبـلاً ولمسًا وحنانًا. وعندمـا أفـاقـا من فرحـة اللقـاء أخـذا السـاحـرة وقـيداها وألقيا بها إلى النار أصـبـحت فـيـها رمـادا انتثر فى هواء وخـواء الغـابة التى انحلت فى آفاقها أفرع الشجر المتشابكة وانسل النور إلى مراعيها والبـهـجـة إلى دروبها وظهـر القـصـر جليًـا على بعـد ثلاث سـاعـات من السير.

عاد الأخوان يقص فى الطريق كل منهما على الآخر ما شاهد فى الدنيا وخبر من شئونها فى سنوات الترحال والتجوال. وروى الملك الشاب لأخيه أنه أصبح حاكمًا على كل المملكة بعدما تزوج الأميرة. فضحك أخوه وقال:" لقد علمت بشأنك لأننى دخلت المدينة فظنوا أننى الحاكم واحتفوا بى احتفاءً ملكيًا واعتقدت الملكة نفسها أننى زوجها وكان علىّ أن آكل معها وأجلس بالقرب منها وأرقد بجوارها فى فراشك." أشعلت تلك الكلمات الغيرة فى قلب أخيه الملك واغتاظ وغضب واستل سيفه وأطاح برأسه. وحين أفاق من فعلته ورأى أخاه ملقى مقطوع الرأس ودمه يسيل أخذ يصرخ مروّعًا، ويقول:" لقد حررنى أخى من السحر وكافأته أنا بالقتل." سمع الأرنب نواح سيده وعرض عليه أن يركض ويحضر له عشب الحياة، وقد فعل. والتئم الجرح واختفت آثاره وتصافى الأخوان ومضيا فى سبيلهما للقصر.

توقف الأخ الصياد وهلة وقال لأخيه الملك:" نحن توأم متشابهان كقطرتى ماء فى إناء وأنت ترتدى الثياب الملكية وأنا كذلك، وتجر من ورائك نفس الحيوانات التى تتبعنى، فلندخل القصر من البوابتين المتقابلتين فى ذات اللحظة على الملك!" افترق الأخوان ودار كل منهما من ناحية، وأبلغ حراس البوابتين الملك العجوز بأن الملك الشاب قد عاد وحيواناته من الصيد. تعجب الملك وقال:" كيف يصل ملكان فى نفس اللحظة من بوابتين تفرق بينهما ساعة من السير؟!" فى هذه الأثناء كان الأخوان قد بلغا القصر، وقال الملك لابنته:" أبلغينى بحق الله من منهما زوجك؟ إنهما متماثلان تمامًا!" هلعت الملكة وأخفقت فى تحديد زوجها

الحقيقى، لكنها انتبهت إلى مفتاح سلسلتها الذهبى مدلى من عنق الأسد والأربطة فى أعناق الحيوانات، ومنها تعرفت إلى زوجها وصاحت فى طمأنينة: " الذى يتقدم هذا الأسد هو زوجى."

ضحك الملك الشاب وقال بارتياح: " نعم هو زوجك." نصبت مأدبة الطعام وجلسوا حولها، أكلوا وشربوا وكانوا مبتهجين، وفى المساء رقد الملك الشاب فى فراشه، وسألته زوجه: " لماذا وضعت سيفًا ذا حدين بيننا فى الأيام القليلة الماضية؟ إننى ظننت أنك ستقتلنى!" فأيقن الملك الشاب أن أخاه كان مخلصاً وفياً، عفيفًا تقيًا، وابتسم فى ارتياح ثم غفا.

* * *

كان يا ما كان حدوتة زمان

حكاية يرويها الدهر والمكان

وأخرى يطويها العمر والنسيان

وهذه يحكيها جريم الأخوان

لك هنا والآن:



يوريندا ويورينجل

JORINDE UND JORINGEL



كـــان يا مـــا كـــان
فـــى بـــلاد الألمـــان
الســـحـــر شـــيطان
والحـــب ســلـــطـــان
يورينجل هيـــمـــان

فى سالف العصر والزمان عاشت عجوز وحدها فى قصر شامخ ارتفع بأسواره وسط غابة كثيفة الشجرات والنباتات، وكانت العجوز ساحرة، فى السحر متأصلة تنقلب فى النهار قطة أو بومة، وفى المساء

تعود لهيئتها الآدمية مرة أخرى. وبفنون سحرها كانت تستدرج الطيور والوحوش وتنحرهم ثم تقوم بسلقهم وشيهم. وإذا اقترب أحد على بعد مائة خطوة من قصرها كانت تصب عليه لعنة من لعناتها فيتصلب مكانه لا يستطيع الإفلات أو الحراك حتى تعود وتسقط عنه اللعنة. أما إذا كان الدانى من قصرها ودائرة سحرها عذراء طاهرة، فكانت العجوز تسحرها طائرًا بديعًا وتحبسه فى قفص وتحملها إلى قاعة من قاعات القصر جمعت فيها سبعة آلاف قفص تضم بدورها سبعة آلاف من أندر الطيور والعصافير.

وكانت يوريندا فى ذاك الزمان أروع الفتيات، وكانت آية فى الحسن والجمال، وكان خطيبها يورينجل أيضًا شابًا بديعًا بهى الطلعة والمحيا، وكان الاثنان يحبان بعضهما البعض حبًا عظيمًا، ويخرجان يتروضان فى الغابة عندما يبتغيان التودد لبعضهما البعض أو الحديث بمنأى عن السامعين من الناس. وفى نزهة من تلك النزهات حذر يورينجل عروسه يوريندا من الاقتراب من قصر الساحرة. وكان المساء من حولهما رائقًا والسماء من فوقهما صافية والحمام فوق قمم شجر الزان يرسل هديله إليهما. بكت يوريندا وجلست تحت الشمس التى كان ضوؤها لايزال ينفذ شحيحًا إلى أرض الغابة واشتكت حالها وراح يورينجل أيضا يشكو لها وقد حط عليهما حزن عميق ، وكأن نهاية أجلهما قد اقتربت، واضطربًا وارتبكًا وتطلعًا حولهما فلم يجدا الطريق إلى البيت. نظر يورينجل من بين أشجار الدغل فأبصر أسوار القصر

القديم قريبة منهما. روّع يورينجل وفزع حتى الموت، وتطلع إلى يوريندا فإذا بها عندليب راح يهدر بكمد قائلاً:"

بطوقك الأحمر القانى

عصفورى غنى آلامى

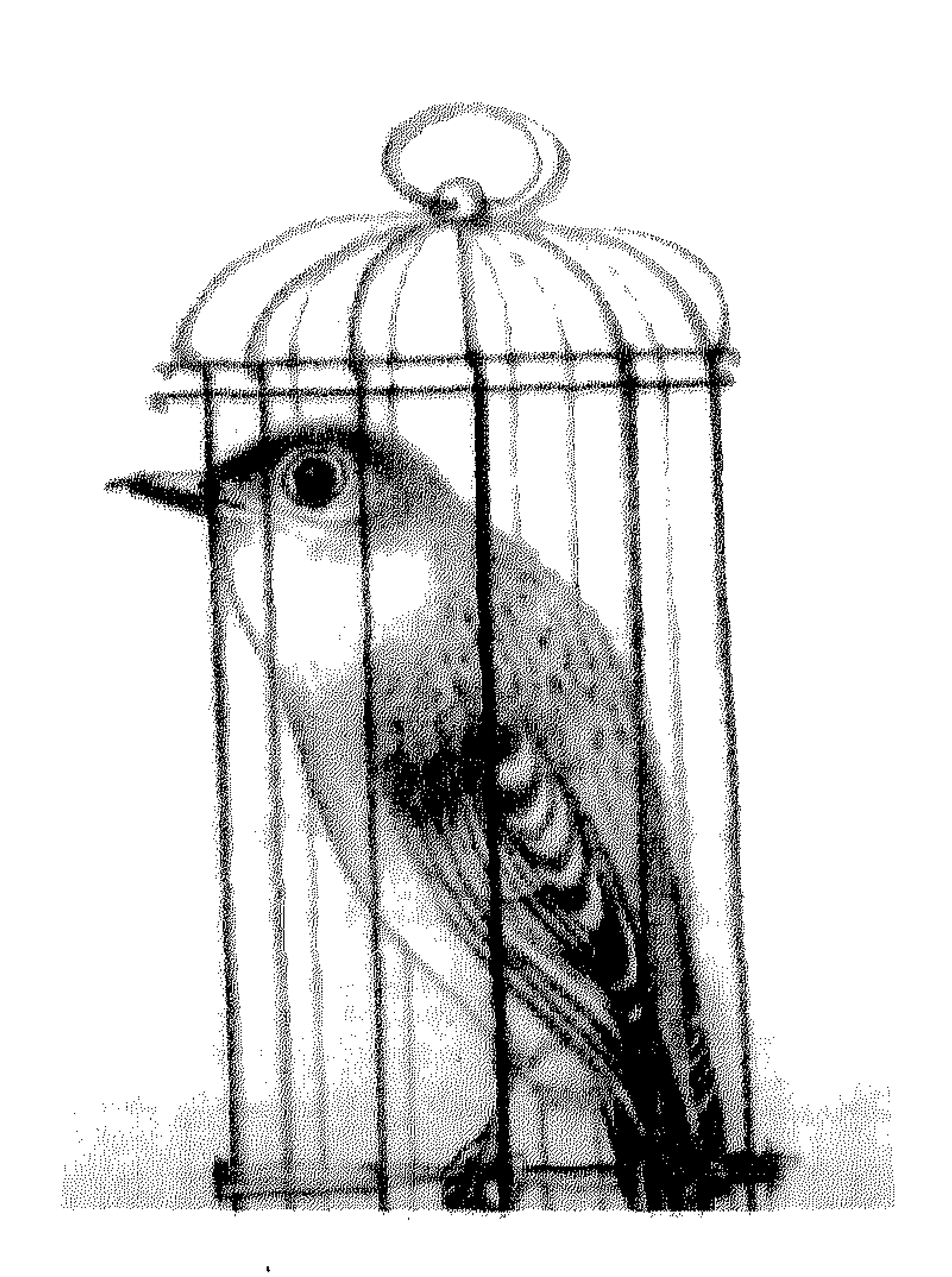
أساى، حزنى، أشجانى

إنه يغرد عمره الفانى

لليمامة وكل الأحزان

وفى الحال حلقت من فوق يورينجل وعروسه "العندليب" بومة بعينين متقدتين ثلاث مرات، وزعقت ثلاث مرات: (شو .. هو .. هو .. هو..)، فتسمر يورينجل، لم يستطع الفكاك من موقعه ولا الحديث ولا البكاء ولا حتى القيام بحركة هينة مثل إرعاش قدمه أو كفه ، ومكث فى مكانه كالحجر!! وعندما هبطت الشمس إلى مغربها طارت البومة وحطت فوق شجيرة ومنها خرجت فى هيئتها الآدمية عجوز معروقة فى انحناء، صفراء الجلد بمقلتين واسعتين حمراوين وأنف طويل معقوف يلمس حافة ذقنها. أخذت الساحرة تزوم وتغمغم وأمسكت بالعندليب وحملته فوق راحتها، بينما ظل يورينجل عاجزاً عن الكلام والحركة. قالت الساحرة بصوت عميق بعدما عادت آدميتها لبدنها وشكلها: "مرحبا بك يا تساخيل! سأحل قيدك من مكانك عندما تحين الساعة الملائمة ويرسل القمر ضوءه إلى القفص." ثم اختفت بالطائر.ونفذ ضوء القمر إلى قفص العندليب فهوى يورينجل على ركبتيه أمام المرأة العجوز

يرجوها ويتوسلها أن تعيد له حبيبته يوريندا، لكن الساحرة الشريرة قالت له إنه لن يراها أبدًا. وراح يورينجل يطلق فى صراخه ويرفع من صوت نحيبه ، لكن كل ذلك لم يعينه فى شىء وقال محدثًا نفسه : "ويلى .. ما عسى مصيرى أن يكون ؟!"



هام يورينجل على وجهه سائرًا طيلة الوقت، ووصل قرية غريبة دون أن يقصدها وهناك ظل زمنا يرعى الأغنام والماشية ، وكثيرًا ما كان يمضى إلى القصر ينظر إليه ولا يقربه. ومرة من المرات رقد يورينجل فى المساء بعقل شارد وفؤاد عاشق وراح فى سبات عميق ورأى فى المنام أنه عثر على زهرة بلون الدم وفى قلبها لؤلؤة بديعة كبيرة الحجم. كسر يورينجل عود الزهرة وحملها ورحل بها إلى القصر الملعون، وكان كل ما تلمسه الورة يتحرر من السحر، وهكذا إلى النهاية حتى استرد يورينجل فى الحلم حبيبته يوريندا.

نهض يورينجل فى الصباح وشد الرحال ومضى بين الجبال والوديان، والمرتفعات والخلجان يبحث ويفتش عن الزهرة. وظل سائرًا نهارًا وليلاً واستمر فى الترحال ثمانية أيام. وصبّح اليوم التاسع وعثر يورينجل على زهرة حمراء بلون الدم وبقلبها قطرة ندى كبيرة مثل لؤلؤة بديعة. حملها يورينجل ، ووصل بها على بعد مائة خطوة من القصر وظل طليقا لم يثبت مكانه فابتهج بهجة عظيمة ، واستبشر وحث خطاه إلى القصر، وهناك ملس بأوراق الزهرة فوق البوابة فإذا بها تنفرج أمامه. دخل يورينجل ومر بفناء يصيخ السمع ليستدل على مكان الطيور الحبيسة من دغدغتها أو أى حركة تأتى بها فتصدر صوتًا يعيه سمعه. وتناهى إليه أخيرًا دغدغة العصافير. وعثر على القاعة التى كانت سجنًا للطيور ، وكانت فيها الساحرة تطعمهم داخل أقفاصهم السبعة آلاف، ولما لمحت يورينجل ثارت ثائرتها واشتد غاضبها وصبت عليه لعنة من لعناتها ونفثت فى وجهه سمًا زعافًا وعلقمًا مريرًا. غير أنها اخفقت فى

الاقـتـراب وظلت على بعـد خطـوتين منه. لـم يعـبـأ يـوريـنـجل بـهـا وراح يتـفـحـص كل قـفـص وكل طـائر عـنـدليب مـن المـئات المسـحـورة، واضـطـرب ولم يعرف كيـف يجد حـبيبته يوريندا من بين كل هؤلاء؟! وشـاءت الأقدار أن يلمح فـى هـذه اللحظات القـصـار العـجـوز تحـاول الفرار بقـفـص طـير خفـيـة وتـهرول به صـوب بـاب القـاعـة. قـفز يوريـنـجل وبوثـبـة واحـدة كـان بجـوارهـا، وبالزهـرة لمس القـفـص ثم السـاحـرة الشـمطـاء. وفـي الحـال تحـررت يوريـنـدا الجـمـيلة من السـحـر، وبطـل سـحـر المرأة العـجـوز فـى القصـر الملعون إلى الأبد. لفت يوريندا زراعاهـا حول عنقه وعانقته ومثلت أمـامه جـمـيلة كـمـا كـانت، بـديعة لازالت. وعـاد يوريـنـجل إلى بقـيـة الطـيـور الحـبيـسـة وأعـادهـا عـذارى طـهـارى، ورحـل مـع مـحـبـوبته إلى داره وعـاش الزوجان عمرًا مديدًا وأيامًا هنيئة.

* * *

كان يا ما كان   حدوتة زمـــان

حكـاية يرويــها   الدهـر والمكـان

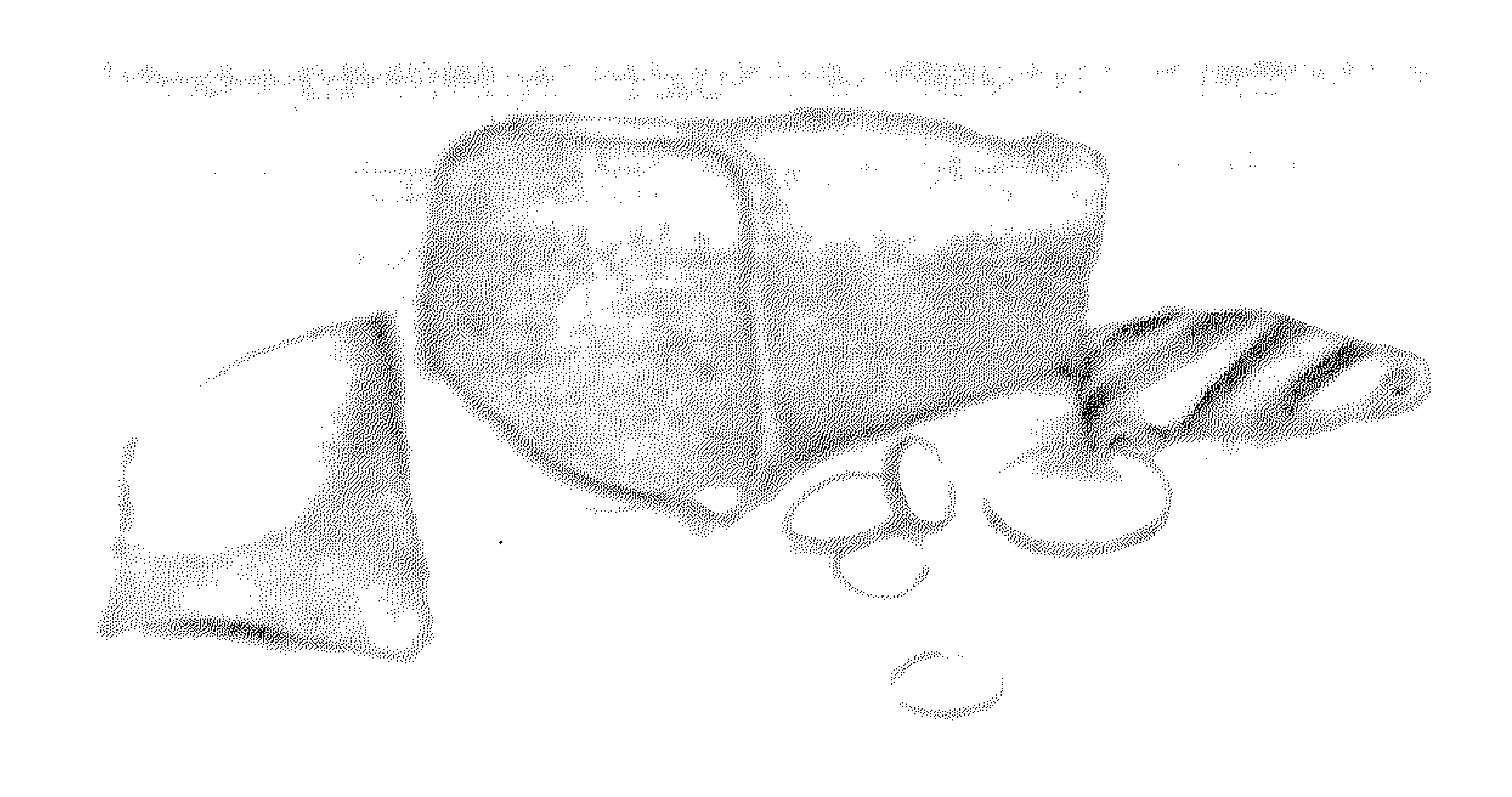
وأخرى يطويها   العمر والنسيان

وهــذه يحكيها   جـريم الأخـوان

لك هـنا والآن:



الدعبوب اللعوب



كان يا ما كان
في بلاد الألمان
والضحك من زمان
في كل وقت قد أعان
وزرع البهجة والحنان:

وقعت حرب ضروس بين أمم وجيوش، وعندما وضعت أوزارها حصل كل جندى على مكافأة انتهاء الخدمة ثم تم تسريح المحاربين.

وكانت المكافأة أربع قطع نقدية الواحدة منها تعادل أربعة بفنجات[1] ورغيف عيش من خبز المخازن العسكرية أخذها أيضًا الجندى الدعبوب وانصرف. وبهذه المناسبة تخفى القديس بطرس فى هيئة شحاذ ووقف فى الطريق، وعندما وصل إليه الجندى الدعبوب توسل منه حسنة فقال الجندى:" ما عساى أن أعطيك يا عزيزى الشحاذ؟ أنا كنت جنديًا وليس لدى سوى المكافأة: رغيف صغير وأربع قطع نقدية، وعندما ينفذ ما لدى سأتسول مثلك تمامًا، على أية حال سأمنحك بالرغم من ذلك شيئًا." قسَّم الدعبوب الرغيف أربعة أجزاء وأعطى القديس ربعًا وبفنجًا ومضى. شكره القديس بطرس وتخفى فى هيئة شحاذ آخر واعترض طريقه مرة ثانية يتوسل منه حسنة كما فعل فى المرة الأولى. كرر الدعبوب ما قاله وأعطاه الربع الثانى من الرغيف وبفنجًا. ، ثم وللمرة الثالثة تخفى القديس بطرس فى هيئة شحاذ آخر وتوسل منه حسنة، فأعطاه الدعبوب ربع الرغيف الثالث وبفنجا وانصرف فى سبيله بربع الرغيف الأخير، وبالفنج المتبقى اشترى بيرة ليبتلع بها خبزه فى أحد المطاعم.

خرج الدعبوب من المطعم ليلتقى مرة أخرى القديس بطرس فى ملابس جندى مسرّح وسأله:" نهارك سعيد يا زميل! هل تعطينى كسرة خبز وقطعة نقدية اشترى بها مشروبًا ؟" أجاب الدعبوب:" ومن أين لى بها؟ لم يكن لدى سوى المكافأة، واعترض طريقى ثلاثة شحاذين أعطيت

(١) البفنج: مثل المليم أصغر وحدة مالية من العملة الألمانية "المارك". (المترجمة)

كل منهم ربع الرغيف وقطعة نقدية وأكلت الربع الأخير وشربت بالفنج المتبقي، لكن إذا كنت معدمًا مثلي فلنتسول معا !" أجاب القديس بطرس:" كلا! لن تكون هناك حاجة للتسول ، أنا أتقن علاج المرضى وأفهم في الدواء وسأرتزق بذلك قدر ما شئت ." قال الدعبوب:" آه .. أنا لا أفهم من هذا الفن شيئًا، حسنًا أتسول وحدي إذن." قال القديس بطرس:" تعال معي! إذا كسبت شيئًا لك نصفه." أجاب الدعبوب:" يروقني عرضك"، ثم انصرفا معًا.



مرا فى طريقهما على بيت فلاح وسمعا عويلاً مروّعا فدخلا. كان رب البيت مريضًا وملقى فوق الأرض على شفا الهلاك وزوجته تنتحب بجواره. قال لها القديس بطرس:" كفى عن البكاء والولولة، سأشفى زوجك." ثم تناول مرهما من حقيبته وداوى به المريض فصح فى الحال ونهض معافى تماما. ابتهجت الزوجة أيما بهجة وانتعش الزوج، وراحا يتحدثان فى هناءة وارتياح. ثم سألت الفلاحة:" وكيف أسدد لكم دينى؟" رفض القديس بطرس أن يكبدهما شيئا، وكلما زاد الزوجان من إصرارهما، كلما تعنت القديس بطرس فى رفضه أى مقابل. حينئذ لكمه الدعبوب هامسا:" اقبل أى شىء، نحن جياع!" سحبت المرأة فى النهاية حملا وتوسلت إلى القديس بطرس أن يقبله لكنه تمسك بموقفه. فلكمه الدعبوب مرة أخرى قائلاً:" خذ أيها الشيطان الغبى نحن بحاجة لأى شىء!" انصاع القديس بطرس لرغبة صديقه قائلا:" حسنا سأقبله لكنى لن أحمله، جره أنت إذا أردت!" وافق الدعبوب وأجاب:" أحمله .. هذه ليست معضلة." رفع الجندى الحمل فوق كتفيه وانصرفا سائرين حتى وصلا غابة وكان الحمل الثقيل قد ناء به فقال للقديس بطرس:" المكان هنا جميل يمكننا الآن أن نشوى الحمل ونأكله." أجاب القديس:" لا مانع عندى ولكننى لا أجيد الطهى، أعد أنت اللحم وإليك بالسطل وسأتنزه أنا قليلاً فى هذه الأثناء، لكن انتظرنى، لا تأكل دونى وسأعود فى الوقت المناسب!" قال الدعبوب:" سر! أنا أجيد الطهى!" انصرف القديس بطرس، ونحر الجندى الحمل وألقى بلحمه فى السطل وأعد كل شىء وانتظر القديس أن يعود لكنه لم يظهر. تناول الدعبوب قطعًا وراح

يأكل، ثم عثر على القلب فقال محدثا نفسه بسعادة وهو يلتهمه:" إنها ألذ قطعة". وصل القديس بطرس ودعا الدعبوب للأكل قائلاً:" هنيئًا لك كل الحمل وأعطنى القلب وحسب." تناول الجندى سكينا وشوكة وشرع يفتش بحماس عن القلب، وبعد لحظات قال:" لا يوجد قلب!" سأل القديس:" وأين هو؟" أجاب الدعبوب:" لا أعرف! آه .. أتدرى إننا حقا حمقى ؟ إننا نبحث عن القلب بينما الحمل ليس له قلب !" قال القديس : " ما هذا الاكتشاف الجديد؟ كل حيوان له قلب." قال الدعبوب:" كلا .. الحمل ليس له قلب، هذا مؤكد! تمعّن يا صديقى فى الأمر بدقة ستجد أن الحمل فى حقيقة الأمر ليس لديه قلب!" أجاب القديس:" ليس لديه قلب! حسنا، فلتهنأ إذن باللحم كله!" قال الدعبوب:" سأحتفظ بما يتبقى حقيبتى لأننى لن استطيع أن أجهز عليه." التهم الجندى نصف اللحم واحتفظ بالنصف الآخر.

انطلق القديس والدعبوب فى الغابة وجعل القديس بطرس نهرا زاخراً يتدفق عرض الطريق فتوجب عليهما قطعه ثم قال للدعبوب:" هيا تقدم أنت المسيرة!" فكر الدعبوب فى أن يجرب معه أولاً، ولو تبين أن الماء عميق جداً يبقى هو بعيداً، وأجابه:" لا يجوز .. بل تفضل أنت!" عبر القديس النهر ووصل الماء إلى ركبتيه، ولكن عندما وطأت قدما الدعبوب قاع النهر ارتفع الماء إلى عنقه فصاح:" ساعدنى يا أخى!" سأله القديس بطرس:" هل تعترف الآن أنك أكلت قلب الحمل؟" أجاب:" لا لم آكله." بلغت المياه حد فمه ثم أعاد القديس السؤال عليه:" هل

تعتـرف الآن أنك أكلتـه؟" أصـر الدعبـوب:" لم آكله." لم يود القـديس بالطبع إغراقه وانخفض منسوب المياه وساعده على الخروج من النهر.

وارتحل القديس بطرس والدعبوب حتى استقر بهما المقام فى مملكة من الممالك وفيها بلغ سمعهما أن ابنة الملك اعتلت بعلة مميتة. بادر الدعـبوب القـديس بطرس قـائلاً:" مـرحـبـا بالرزق، إذا اسـتطعت اشـفـائها فـسـوف نؤمن حـياتنا إلى الأبد!" أسـرع الجندى فى سـيـره ، بينما كان القديس يخطو بتمهل وهدوء غير مبال، وأخذ الجندى يحثه على الإسـراع دون جدوى. وفى نهاية المطاف سمعا فى الطريق أن ابنة الملك ماتت فصرخ الدعبوب فى القديس بطرس قائلاً:

"أسمعت؟ وقعت البلية من جراء تكاسلك!" أجاب القديس:" صه! أنا لا أداوى السقام وحسب بل وبمشيئة الله أبعث الموتى أحياء." أجاب الضحوك:" لتمض الأمور إذن كما تبتغى، وإن تمكنت من ذلك سيكون اجرك نصف المملكة." وصـلا قصـر الملك وكانت أعلام الحداد السوداء ترتفع فـوق كل شـىء. تقدم القديس بطرس إلى الملك وأبلغـه بأنه سـوف يعيد الحياة لابنته. سيق إليها ، وطلب سطل ماء ثم أخلى القاعة من البشر عدا الدعبوب. فصل القديس بطرس كل أعضـاء الجثة وألقى بها فى الماء وأضرم نارًا تحته وتركه يغلى. وعندما انفصل اللحم عن العظم أخرج المخ الأبيض المزدهر من الجمجمة ووضـعه فوق المنضدة وأخذ يجمعه وينظمه وفقًا لنسقه الطبيعى ، ثم قال ثلاث مرات: باسم الثالوث المقدس، يا قدس الأقداس انهضى أيتها الميتة! وبعد المرة الثالثة أفاقت الأميرة معافاة ونضرة كما كانت!



حلقت السعادة بالملك ومن فرط البهجة قال للقديس بطرس: "أطلب ما شئت سأهبه لك حتى لو كان نصف مملكتى!" أجاب القديس:"لا أريد شيئًا لقاء ما فعلت." فكر الدعبوب محدثًا نفسه:" آه منك يا هانز الأحمق!"(١) وجذبه وقال له:" لا تكن بهذا الغباء! أنت ترفض كل شيء، بينما أنا بحاجة لأى شيء!" تمسك القديس بموقفه، ولاحظ الملك أن الرجل الآخر الذى بصحبة القديس يلح عليه، فأمر بملء حقيبته ذهبًا من كنوز القصر.

---

(١) هانز الأحمق: اسم يطلق مجازًا كلقب على كل من هو ساذج أو أحمق من الناس.

انقضت رحلة القديس بطرس والجندى الدعبوب فى تلك المملكة وغادراها إلى غابة وهناك قال القديس للدعبوب:" والآن نقسّم الذهب!" أجاب الجندى:" نقسمه طبعًا!" قسم القديس الذهب ثلاثة أجزاء متساوية، وتطلع الدعبوب وحدث نفسه:" ما الفكرة اللعينة التى دارت الآن برأسه؟! يوزع الذهب على ثلاثة بينما نحن اثنان!" وبادره القديس قائلاً:" ثلاثة أنصبة، واحد لك والثانى لى والأخير لمن أكل قلب الحمل." انكب الدعبوب فورًا على نصيبين وصاح:" أنا الذى أكلته، صدقنى! أنا الذى أكلته." قال القديس:" كيف أكلته؟ الحمل ليس له قلب!" أجاب الدعبوب:" ما الذى سيجعل الحمل دون سائر الحيوانات دون قلب؟ تمعن يا أخى فى الأمر! طبعًا له قلب شأنه شأن كل الكائنات الأخرى، وهل اعتقدت حقًا أن ليس له قلب؟!" قال القديس:" حسنًا احتفظ إذن لنفسك بالذهب كله وسأتركك هنا وأمضى وحدى فى طريقى." أجاب الجندى:" كما شئت، عش سعيدًا!" ثم تأمله الدعبوب بحيرة قائلاً": لا بأس فليرحل .. لكن يا له من قديس رائع حقا!" .

افترق القديس بطرس عن الجندى الدعبوب اللعوب الذى أصبح بحوزته مال وفير، غير أنه لم يدر ماذا يفعل به. كان يهب الكثيرين منه ويسرف فى الإنفاق دون سبب. هكذا بدد ما لديه فى فترة وجيزة وعاد معدمًا مرة أخرى. وفى ترحاله من بلاد إلى بلاد استقر به المقام فى إحدى الممالك وفيها علم أن ابنة الملك ماتت وفكر: لعلها فرصة جيدة، أبعثها ويكافئوننى أيما مكافأة. وتقدم للملك يعرض خدماته. وكان الملك قد بلغ سمعه أن جنديا من جنود الحرب المسرّحين يجول فى البلاد، وأنه

يبعث الموتى بمشيئة الله. اجتمع الملك بمستشاريه الذين نصحوه بقبول المغامرة لأن ابنته ماتت ولن تضرها المحاولة. سيق الجندى الدعبوب إلى جثة الأميرة وطلب إخلاء الحجرة وسطل ماء ثم فصل كل أعضاء الجسم عن بعضها البعض وألقى بها فى الماء وأشعل ناراً من تحته وتركه يغلى، تماما كما فعل القديس بطرس. وبعد أن انسلخ اللحم عن العظم انتشل المخ من الجمجمة ووضعه فوق المائدة وراح يحاول ترتيب أجزائه ، فخلطها عشوائيا، ثم وقف أمام المسجاة وقال ثلاث مرات:"باسم الثالوث المقدس، يا قدس الأقداس انهضى أيتها الميتة!" لكن الأميرة لم تتحرك! أعاد الدعبوب عبارته ثلاث مرات أخرى دون طائل، وعندما نفذ صبره صاح بها:" انهضى أيتها الصبية المصعوقة وإلا والله لن أرحمك!" فى هذه اللحظة دخل القديس بطرس من النافذة متخفيا فى هيئة الجندى الذى بعث من قبل ابنة الملك الأولى وقال للدعبوب:" ماذا تفعل يا بنى آدم يا عديم الرحمة؟! كيف تريد بعث الميتة، بينما لم تضع كل أجزاء المخ في مواضعها الصحيحة!" أجاب الدعبوب:" فعلت والله كل ما بوسعى يا أخى العزيز." قال القديس:" سأنتشلك هذه المرة من مأزقك، لكن إياك أن تعيد الكرة وإلا نلت عقابك! ولا تطلب من الملك أجرا لقاء ذلك!" نسق القديس عظام الأميرة على النحو الصحيح ورتب كل شىء ثم قال ثلاث مرات:" باسم الثالوث المقدس، يا قدس القداس، انهضى أيتها الميتة!" اعتدلت ابنة الملك من رقادها نضرة وجميلة كما كانت دومًا. غادر القديس المكان من نفس النافذة، وكان الدعبوب مبتهجا مطمئنًا ؛ لأن المغامرة انتهت بسلام،

لكنه كان عكر المزاج ؛ لأنه لن يفوز بمكافأة القصر وقال محدثًا نفسه:" لو أنني عرفت ما الذى دار بخلده وما العفريت الذى ركب رأسه؟! كل ما يأخذه باليمنى يعطيه باليسرى!" سأله الملك أن يطلب ما يشاء ووعده بتلبية كل رغباته، لكنه رفض وأفهمه فى نفس الوقت بالحيلة والتلميح ما يريد فملأ له الملك حقيبته ذهبًا ثم انصرف. كان القديس بطرس ينتظره قرب البوابة وقال له:" امتلأت حقيبتك ذهبا رغم أننى منعتك من أخذ أى أجر، أىّ إنسان أنت؟!" أجاب الدعبوب:" وما حيلتى إذا كانوا دسوه لى غصبًا؟!" قال القديس:" أحذرك من الاقدام على هذه الفعلة مرة أخرى وإلا ستكون نهايتك وخيمة!" أجاب الدعبوب:" لا تقلق يا أخى، ما الذى سيدفعنى الآن إلى تشطيف العظام طالما أن لدى من المال ما يكفينى ويزيد؟!" قال القديس بطرس:" احرص على الذهب، لا تبدده كى يبقى معك زمنا كافيا ولا تمضى فى مزاولة أعمال محرّمة! وسأهديك حقيبة لها قدرة على أن تجلب لك دوما كل ما تتمناه فتجده بداخلها، ولن تراني بعد الآن." قال الجندى:" استودعك الله يا غريب الأطوار، كم أنا مبتهجًا لانصرافك وثق أننى لن ألحق بك!" .

التهى الدعبوب عما قاله القديس بطرس حول الحقيبة وانصرف بالذهب وبدد المال فى ترحاله مثلما فعل فى المرة الأولى، ولما لم يتبق لديه سوى أربعة بفنجات فقط فكر فى كيفية إنفاقها فذهب لمطعم، شرب بثلاثة منها نبيذا وبالأخيرة أكل خبزًا. وفى المطعم وعت أنفه رائحة أوز مقلى وتطلع من حوله فرأى إوزتين فى فرن صاحب المطعم فتذكر ما قاله زميله الجندى حول الحقيبة العجيبة، وقال لنفسه: مرحبًا بالحقيبة

الآن! فلأجربها فى الإوزة!" خرج من المطعم ومن أمام بابه قال:" أتمنى الإوزتين المقليتين فى حقيبتى!" لم يكد ينطق أخر كلمة حتى تناول الحقيبة وفكها وكانت الإوزتان بالداخل. سار إلى أقرب مرج وأفرغ الحقيبة وانكب يأكل بنهم. وزآه حرفيان وهو فى قلب المعمعة ولمحا الإوزة الكاملة التى لم تمس بعد وراحا ينظران إليها بعيون جياع. تأملهما الدعبوب واكتفى لنفسه بواحدة ثم صاح بالرجلين:" خذا الإوزة وأكلاها على شرفى!" شكره الرجلان وذهبا بالإوزة إلى نفس المطعم وطلبا نصف زجاجة نبيذ وخبزًا وشرعًا فى الأكل. وبعد لحظات قليلة تطلعت زوجة صاحب المطعم للرجلين وقالت لزوجها:" إنهما يأكلان إوزة! فاذهب وتأكد، هل اختفت لدينا إحدى الإوزتين من الفرن؟!" نظر الرجل للفرن ووجده خاليا! فهجم عليهما يصيح:" يا لصوص يا سفلة البشر، هكذا إذن تريدون الشبع بالإوزة مجانا، ادفعا الحساب فوراً وإلا لرأيتما الويل بعيونكما!" أجاب الرجلان:" لسنا لصوصا، إنه جندى من جنود الحرب المسرحين الذى أهدانا الإوزة فى المرج بالخارج." قال المضيف:" لا تخدعاننى! كان الجندى هنا ولاحظت سلوكه جيداً وقد خرج بنزاهة، أنتما اللصان وعليكما تسديد الحساب!" ولم يكن لدى الفقيرين مال يسددان منه ثمن الإوزة، فتناول صاحب المطعم عصا وأبرحهما ضربا حتى فرا مهرولين من الباب.

هنأ الجندى الدعبوب بطعامه ثم مضى فى طريقه ووصل إلى منطقة شمخ فيها قصر خلاب وبالقرب منه فندق وضيع. ولج الدعبوب وسأل المبيت وأراد صاحب الفندق أن يتخلص منه فقال له إن:" المكان

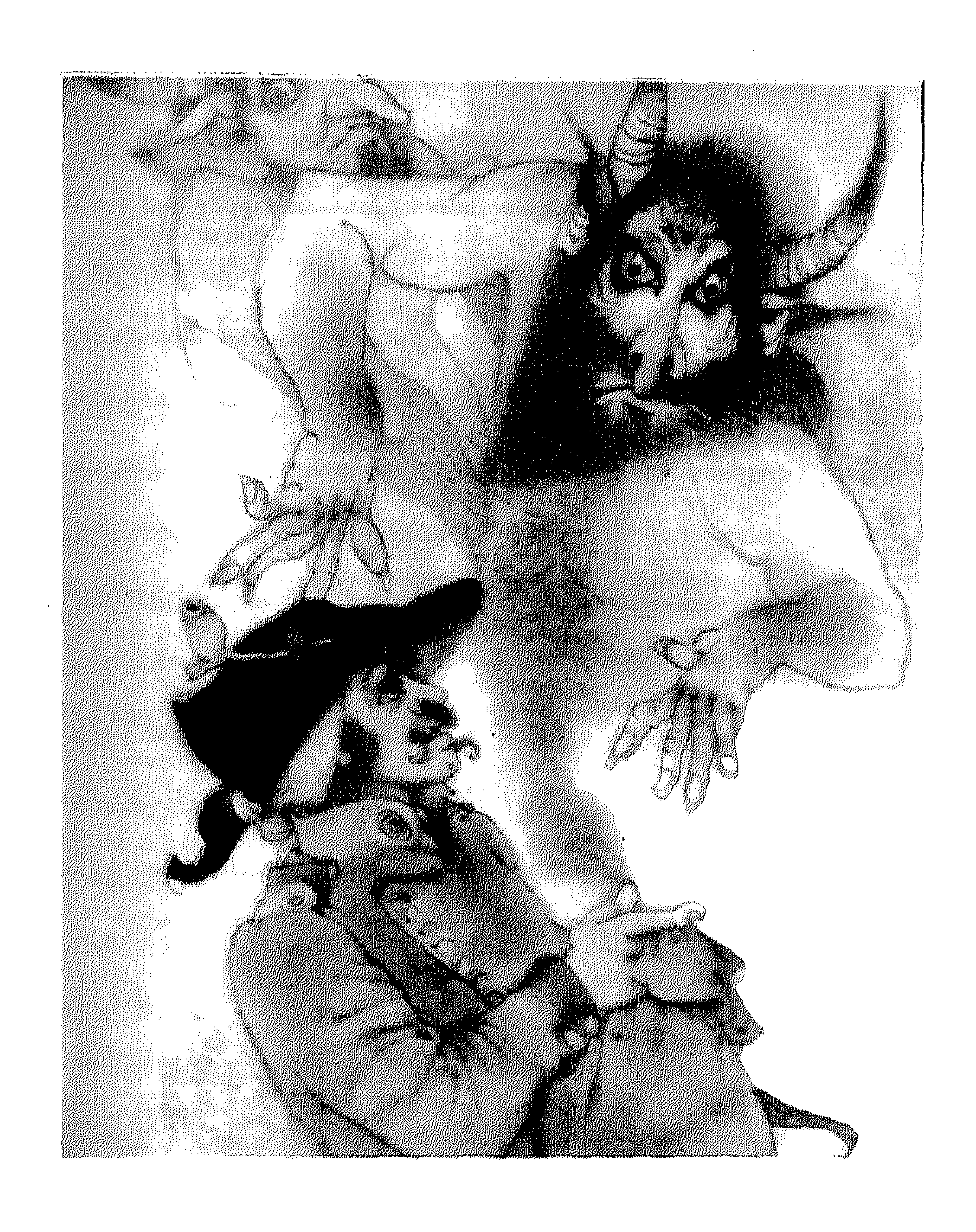
مكتظ بعلية القوم ولا توجد غرف فارغة." تعجب الجندى قائلاً:" غريب أن يأتى الأغنياء إلى هنا ولا يذهبون للقصر المهيب." أجاب المضيف:" لكل شىء سببه، إن من حاول المبيت هناك لم يخرج منه حيًا." قال الجندى:" لكن طالما حاول آخرون فلأجرب أنا أيضًا." أجاب صاحب الفندق:" الأفضل ألا تفعل لأن الأمر مسألة حياة أو موت." قال الجندى:" لا يتطور الأمر فى لحظة واحدة إلى الحد بين الحياة والموت، إلىّ بالمفتاح وزاد وشراب وحسب." أعطاه المضيف ما أراد وانصرف الدعبوب قاصداً القصر. أكل هناك وشرب ، وعندما شعر بالنعاس رقد فوق الأرض لينام، فلم تكن هناك أسرة. وسرعان ما غط فى نوم عميق لكنه أفاق على ضجيج صاخب فى منتصف الليل ورأى تسعة عفاريت دميمة ترقص بالغرفة فى دائرة من حوله فقال لهم:" ارقصوا كما شئتم، لكن إياكم أن يقترب أحدكم منى!" لم تبال العفاريت وراحت تضيق الدائرة عليه شيئًا فشيئًا وتلمسه بأرجلها البشعة فى وجهه. قال الجندى:" اهدئى أيتها الأشباح!" لكن العفاريت عاندت واقتربت منه أكثر فأكثر، فتملكه الغضب وصرخ بهم قائلاً:" هدوء هنا!" ثم تناول رجل كرسى وطاح فيهم ضربا ، ولكن "الكثرة تغلب الشجاعة" تسعة عفاريت ضد رجل واحد! كان الدعبوب يضربهم فى وجوههم ، وكانت العفاريت تجذبه من شعره بعنف وتنتفه نتفًا مؤلمًا حتى زعق فيهم:" إنه تحالف العفاريت إذن! لقد أضجرتمونى حقًا، حسنًا انتظروا! ادخلى أيتها العفاريت التسع فى الحقيبة!" اندست الأشباح على الفور فى الحقيبة وأغلقها الجندى عليهم بإحكام وألقى بها إلى الزاوية. ساد

الهدوء فجأة وخيمت السكينة على المكان ، ورقد الدعبوب لينام إلى أن انداح النهار.

جاء صاحب المطعم ومعه النبيل مالك القصر ليشاهدا إلى أين انتهى الأمر بالجندى الدعبوب، ولما وجداه يستيقظ من نومه سالمًا دهشا وسألاه:" ألم تفعل العفاريت بك شيئًا؟!" أجاب:" إطلاقًا، لقد عبأتهم التسعة فى حقيبتى وبإمكانك العيش فى قصرك مجدداً ولن يكون به أى شبح من الآن فصاعداً." شكره النبيل وكافأه بسخاء ورجاه أن يعمل فى قصره ووعده بتأمين حياته ضد الحاجة والعوز. فقال الدعبوب:" لقد اعتدت الترحال وأبتغى مواصلته" وانصرف إلى ورشة حدادة ووضع الحقيبة بالعفاريت فوق السندان وطلب من الحداد ورجاله أن يضربوا فوقها بعنف فهجموا عليها بالمطارق الحديدية بكل ما أوتوا من قوة، حتى إن العفاريت صرخت صراخًا يثير الشفقة. فتح الدعبوب الحقيبة ووجد ثمانية منهم قتلى والتاسع حيًا لأنه اختبأ بين طيات الحقيبة وقد طار منها مسرعًا، لكنهم تصيدوه وسقط تحت ضربات المطارق هو الآخر.

ظل الجندى يتجول ويرتحل فى بلاد الدنيا وشاهد العجيب من أحوالها وخبر الغريب من بشرها، ولو علم أحد بما رآه لقص علينا ما ندر من حكايات. لكن بقاء الحال من المحال، فقد شاخ الدعبوب اللعوب وهرم وفكر فى نهايته فقصد رجلاً زاهداً تقيًا وقال له:" لقد تعبت من الترحال وأود أن أرسو فى مملكة الله فى السماء." أجابه الزاهد:" هناك طريقان: الأولى رحبة ومريحة تقود إلى الجحيم، والأخرى ضيقة ووعرة

تفـضى إلى الجنة." فكر الدعبـوب:" لابد أن أكـون أحـمق كى أسلك الطريق الوعر." ومضى إلى السـبيل الواسع اللطيف. وصل فى نهـايته إلى بوابة عملاقة سوداء كانت مدخل الجحيم.



طرق الدعبوب الباب فنظر الحارس ليرى من القادم، وكان هو نفس العفريت التاسع الذى اختفى بين ثنايا حقيبته وخرج منها فى ورشة الحددة بعينين زرقاوين من الكدمات والضربات، وعندما رأى الجندى الدعبوب أصابه الهلع وقد ظلت إحدى عينيه متورمة من عنف الضربات، لذلك تقهقر وأغلق البوابة على عجل وذهب لرئيسه يقول:"الرجل صاحب الحقيبة ينتظر فى الخارج يريد الدخول ليضع كل الجحيم فى حقيبته تلك التى حبسنى فيها يومًا ما وأبرحنى ضربًا بالمطارق والشواكيش، فلا تدخلوه!" لم يدخل الدعبوب إذن الجحيم رغم محاولته الثانية، وفكر:" إنهم لا يريدوننى فى الجحيم، ولكن لابد أن أعثر على مكان للعيش، علىّ إذن إيجاد مأوى فى الجنة وأمرى لله." استدار الدعبوب وعاد إلى الطريق ثم سار إلى الجنة حتى بلغ بوابتها وطرقها. كان القديس بطرس يحرسها فى تلك اللحظة وعلى الفور تعرف الجندى عليه وفكر:" حسنا لقد وجدت صديقًا قديمًا، إذن ستسير الأمور هنا على نحو أفضل." غير أن القديس بطرس قال له:" لا اعتقد قط أنك تريد دخول الجنة؟!" أجاب الدعبوب:" لو أنهم أدخلونى إلى الجحيم لما أتيت إلى هنا، لابد أن أجد لنفسى مكانًا للعيش، فاتركنى يا أخى أدخل!" قال القديس بطرس:" لا لن تدخل!" أجاب الدعبوب:" استرد إذن حقيبتك، لا أريد منك شيئًا!" قال القديس:" حسنًا أعطنى إياها!" مد الدعبوب يده بالحقيبة من بين قضبان البوابة وتلقفها القديس بطرس وعلقها فى ذراع مقعده الوثير، فى تلك اللحظة قال الدعبوب:" أتمنى

لنفسى أن أكون داخل الحقيبة." وفى الحال: (هو و ب) أصبح فى الحقيبة داخل الجنة، وسلم القديس بطرس بواقع الحال وتركه فى السماء.

* * *

كان يا ما كان   حدوتة زمـــان

حكاية يرويـــها   الدهـر والمكـان

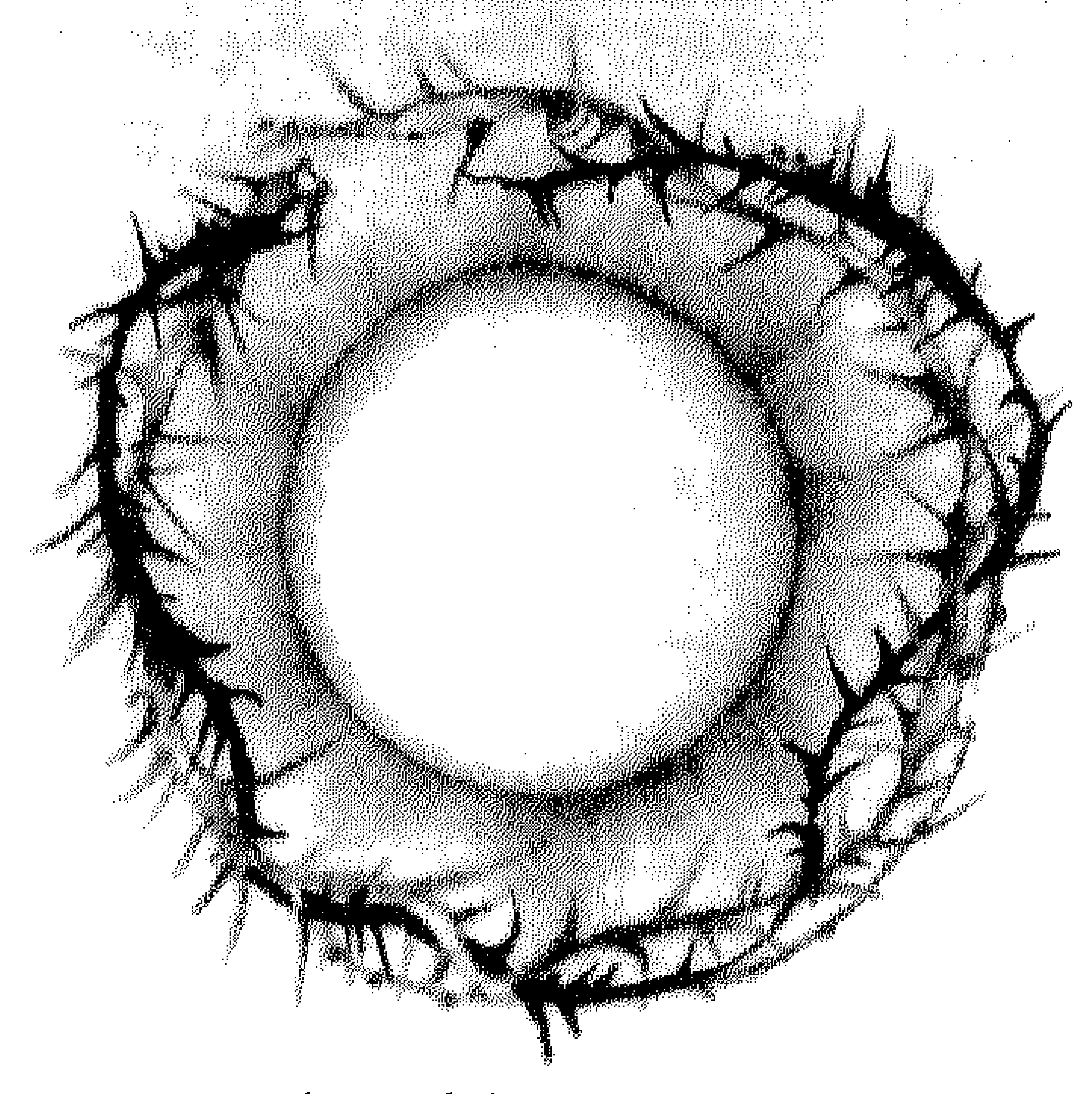
وأخرى يطويها   العمر والنسيان

وهــذه يحكيها   جـريم الأخـوان

لك هـنا والآن:



الرحالان



كان يا ما كان

في بلاد الألمان

والدنيا قمران

خير وأضغان

جمعهما الزمان

لحكمة الرحمن

في قلب الإنسان:

الجبال والوديان لا يلتصقان، لكن الانسان في روحه الشبر

والإيمان يتضافران، على هذا النحو التقى إسكافى بخياط أثناء الترحال. كان الخياط رجلاً جميلاً دقيق القوام مرحًا على الدوام مبتهجًا فى كل الأحيان، رأى شخصًا مقبلاً عليه وعرف أنه إسكافى من حقيبته المدلاة من كتفه فصاح عليه مازحًا:

ارتق لى رتقة .. اسحب لى بكرة

ملس فوقه يمنة .. بالنحس ويسرة

مرة ضربة .. ومرة عثرة

لى أنا فرحة .. وله هو حسرة

وكان الإسكافى رجلاً جهمًا لا يطيق المزاح، وعندما سمع غريبًا فى الطريق يداعبه اكفهر وجهه وعبس وبدا كمن تجرع خلاً، وأقبل على الخياط متأهبا لمعركة، غير أن الخياط انفلت فى الضحك مقهقهًا، وبمودة مد له يده بقنينة خمر قائلاً:" لم أقصد الإساءة، اشرب كى تتجرع مرارة الحياة!" شرب الإسكافى جرعة كبيرة وارتخت قسمات وجهه وأعاد الزجاجة للخياط قائلاً:" الناس تقول الكثير فى احتساء الخمر والسكر، لكن أحداً لا يتطرق بكلمة إلى الظمأ، هل ترغب فى الترحال معى؟" أجاب الخياط:" ليس لدى مانع، ولننتقل إذا أردت إلى مدينة كبيرة كى نجد بها عملاً." قال الإسكافى:" هذا بالضبط ما أرمى إليه، الارتزاق فى الأعشاش غير ممكن، والناس فى القرى فقراء حفاة قانعين"

ارتحل الرجلان بحماس وكانا يتنقلان بخفة كما تنزرق العرسة فى الثلوج، لديهما الكثير من الوقت والقليل من الطعام. وفى المدن كانا

يتعرفان إلى أمثالهم من الحرفيين. وكان الخياط بجرأته ووجه البشوش ذى الوجنتين الحمراوين الجميلتين يحصل دومًا على عمل يرتزق منه، بل وكان أيضًا عندما يحالفه الحظ ينعم بقبلة ابنة صاحب هذه أو تلك الورشة قرب باب البيت وهو فى الطريق لعمله. وعندما كان الرحالان يلتقيان بين الحين والآخر يتبين دومًا أن لدى الخياط أكثر مما بحوزة الإسكافى من خير ومال. فينقلب وجه الإسكافى المتجهم ويكفهر عندما يرى الخياط ويحدث نفسه قائلاً:" كلما خاض الإنسان فى المجون ازداد حظه سعدًا." فيضحك الخياط فى وجهه مقهقها ويرفع صوته بأغنية من الاغنيات ويقتسم كل ما لديه معه. وإذا حصل الخياط على المال واصدرت قطع النقود رنينها فى حقيبته، يتوجه بها على الفور إلى إحدى الحانات، فرحًا يقرع المائدة بأصابعه حتى تتراقص فوقها الكئوس والأقداح محدثة جلبة مبهجة. وكان اعتقاده فى ذلك أن الرزق الذى يأتى بسهولة يبدد بخفة وسرعة. على هذا النحو دارت الأيام بالرحالين الاثنين وانقضت فترة طويلة، لكن بقاء الحال من المحال.

وذات مـــــرة من المرات
والتـرحـال أهم العـادات
فـى زمـن ولـى وفـات

سار الرجلان زمنًا طويلاً، ووصلا غابة كبيرة بدربين يرتفعان إلى مدينة الملك. وكان أحد السبيلين يستغرق سبعة أيام سيرًا على الأقدام، أما الآخر فيومين فقط، لكن أحدًا من الصديقين لم يكن يعلم أيهما الأقصر. جلس الرجلان تحت شجرة بلوط يتشاوران كم من

الوقت يستغرقان وكم من الخبز يحتاجان. قال الإسكافى:" علينا أن نبصر أبعد مما تخطو أقدامنا ونحمل خبزًا لسبعة أيام." أجاب الخياط:" بماذا تخرف! أتريد أن نحمل خبزًا سبعة أيام فوق ظهورنا كالماشية فلا نشاهد الدنيا حولنا، المال الذى فى حقيبتى قيمته لا تجف فى الصيف مثل الخبز الذى يتعفن صيفا أو شتاء، الأفضل لنا أن نفتش عن الطريق الأقصر، أنا سأتوكل على الله وحده ولن يصيبنى شىء أكثر من المقدر لى، ثم من أدراك أننا لن نجد الطريق القصير؟ خبز ليومين يكفى ولنبدأ الرحلة." اشترى الإسكافى خبزًا لسبعة أيام واكتفى الخياط بخبز يومين، وانطلقا إلى الغابة.

لفت سكينة الغابة الموحشة الأنحاء خالية الأنواء، فلا ريح تنسم ولا جدول يهسهس ولا طير يغرد ولا شمس تنفذ من بين أفرع الشجر كثيفة الأوراق. مضى الإسكافى لا ينطق كلمة، معتل المزاج وقد ناء ظهره بحمل الخبز وراح العرق يتصبب فوق وجهه المكدر المكفهر، وسار الخياط بجواره خفيفا يقفز من حوله يقفز ويمرح هناك ويصفر لحن أغنية على حافة ورقة شجر ويفكر بارتياح فى أن:" الله فى السماوات لابد أن يكون راضيًا ؛ لأننى مرح كل هذا المرح."

تجول الصديقان يومين وفى اليوم الثالث لم تبد الغابة قد اقتربت من حافتها أو أظهرت طرفا من أطرافها، وقد أتى الخياط على خبزه وبدأ القلق يساوره ، لكنه لم يفقد شجاعته واعتمد على الله وراهن على مصيره بالحظ وحده. وفى مساء اليوم الثالث رقد تحت شجرة خاوى البطن وصبّح جوعان واستمر الحال طوال اليوم الرابع على ما هو عليه،

ولم يكن بوسعه فعل شيء سوى أن يتطلع إلى الإسكافى وهو جالس فوق شجرة هاوية فوق الأرض يأكل خبزه. وإذا طلب منه كسرة خبز، أجابه الإسكافى بتهكم:" ما بك؟ لقد كنت مرحا على الدوام؟! الآن عليك أيضا أن تجرب ولو مرة واحدة كيف يكون الإنسان مكتئبا! الطير الذى يطربك فى الصباح مغرداً يتلاحم فى عراك مع الصقور فى المساء." كذا كانت قسوة الإسكافى. وفى صباح اليوم التالى لم يحتمل الخياط وطأة السغب حتى إنه ضعف عن التفوه بلفظة واحدة وقد احمرت عيناه الجميلتان وابيضت وجنتاه الحمراوان واضطربت خطاه من الهزال. حينئذ قال له الإسكافى:" سأهبك اليوم كسرة خبز، شرط أن أخرق لك عينك اليمنى." بكى الخياط التعيس للمرة الأخيرة بكلتا مقلتيه وفضل البقاء حياً ولو بعين واحدة. أما الإسكافى وقد صبت مهجته من حجر فقد اقتلع له العين اليمنى بسكين حاد.

وتذكر الخياط حكمة كانت ترددها أمه عندما كان صبيًا يحوم فى غرفة الطعام هنا وهناك يمزمز وينزنز من كل صنف، كانت تقول له:" يأكل الإنسان قدر ما يستطيع، لكنه يتحمل المعاناة بالقدر المحتوم عليه." قضم خبزه باهظ الثمن ونهض على ساقيه مرة أخرى وطوى سوء حظه بشجاعة وواسى نفسه بالعين اليسرى التى تجلى له الدنيا تماماً مثل العينين معاً.

فى اليوم التالى قرقر بطنه من جديد ووهن قلبه وهوى فى المساء تحت شجرة ليفيق صباح اليوم السابع على حافة الهلاك حتى إنه أخفق تماما عن الحركة. حينئذ قال له الإسكافى:" سأجرب معك الرأفة

وأعطيك كسرة أخرى من الخبز لكن ليس بالمجان، والشرط ذاته: أخرق لك عينك اليسرى!" اختبر الخياط عبث حياته وتضرع إلى الله يطلب منه العفو عنه والمغفرة، وقال:" افعل ما ليس منه بد، وعليّ أن أتحمل قدرى المحتوم، لكن إياك أن تنسى أن الله يسيّر كل لحظة من الحياة، وأن ساعة أخرى سوف تحل وتحاسب فيها على كل الأذى الذى ألحقته بى ولم أستحقه منك. فيما مضى كنت أقتسم معك كل ما لدى من خير الدنيا، وأنت تدرى أن حرفتى التى تطعمنى لا يمكن مزاولتها دون البصر، وإذا أضعته تماما سأغدو شحاذًا متسولاً، فلا تتركنى هنا وحيدا بعدما أصبح ضريرًا وإلا مت ظمأ!" أما الإسكافى الذى جافى الله بروحه وأزاحه من قلبه فقد أقدم على فعلته الشنعاء مرة اخرى وخرق للخياط عينه اليسرى بالسكين ثم مد له يده بكسرة خبز وناوله عصا وسحبه من ورائه!!

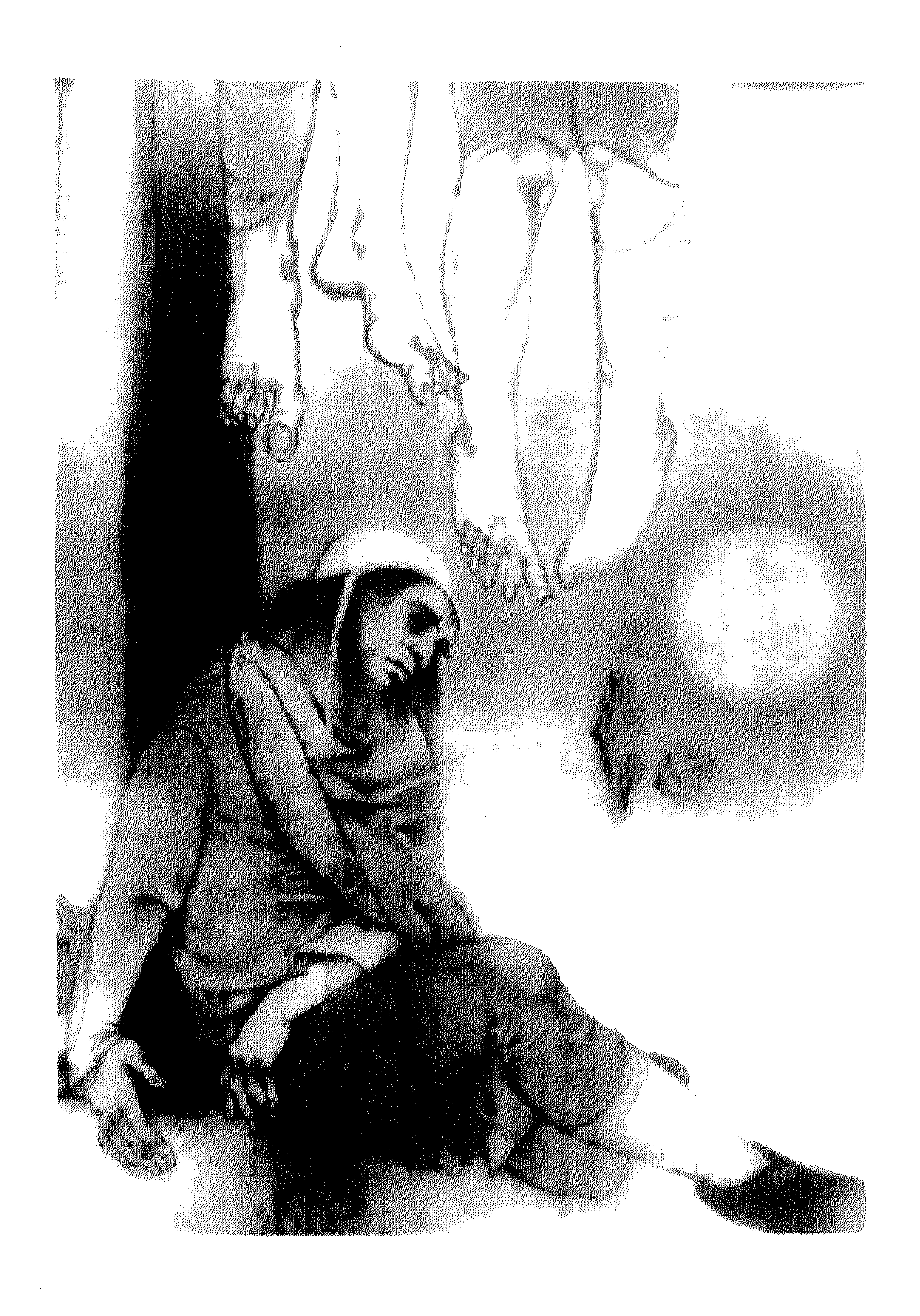


فى الغروب بلغ الرحالان حافة الغابة وقد نصبت أمامها فى أحد الحقول مشنقة، إليها قاد الإسكافى الخياط الضرير وتركه يرقد تحتها وانصرف. غفا الخياط فى بؤس من شدة الجوع وعنف العذاب والإنهاك وظل نائما طوال الليل، وعندما تنبه من نومه لم يدر أين هو. ومن المشنقة كان رجلان يتدليان فى تعاسة، وفوق رأس كل منهما وقف غراب.

– قال أحدهما للآخر:" استيقظ يا أخى!"

– رد الغراب الثانى:" أنا لست نائمًا"

– أضاف الأول:" أود أن أخبرك شيئًا، أتدرى أن الندى الذى تساقط فوقنا فى الليل من المشنقة يعيد البصر لكل من يفرك به عينيه، لو علم العمى ذلك لأبصر منهم كثيرون، لكنهم لا يتصورون أن العجائب ممكنة."



سمع الخياط ما باح به الغراب وتحسس حقيبته وأخرج منها منديلاً وبراحته ضغطه فوق العشب الندى حتى بلله الطل ثم غسل به حدقتى عينيه، وتحقق فوراً ما كشف عنه الغراب! الحدقتان المطموستان الغائرتان أصبحتا فجأة بضتين بمقلتين جديدتين انفتحتا فى التو وأبصرتا شعاع الشمس الآتى من خلف الجبال. نظر الخياط ورأى مدينة الملك ترقد أمامه ببواباتها الخلابة وقلاعها المائة ومفاتيحها وصلبان كنائسها الذهبية التى ارتفعت شاهقة فوق قمم الأبراج وبدأت ترسل أجراسها إليه. سرّح بصره واستطاع أن يميز بدقة حواف أوراق الشجر وحدود كل منها إلى الأخرى، ثم ارتفع ببصره فرأى الطير يحلق ورأى الناموس الدقيق فى الهواء يتراقص برعشة هينة، ثم أخرج الخياط إبرة من حقيبته وتمكن من إدخال الخيط فى ثقبها الدقيق بنفس الخفة والسرعة التى اعتادها من قبل ، حينئذ أحس بأن قلبه سيقفز من صدره فرحة واستبشاراً. ركع على ركبتيه يحمد الله على مغفرته، وقرأ تلاوة الصباح ودعا الله المغفرة للمشنوقين اللذين تدلى جسدهما من المشنقة وأخذا يتخبطان فى بعضهما البعض إثر كل هبة ريح، ثم نهض وألقى بصرته فوق ظهره وسلا عن العذابات التى اعترضته ومضى يصفر لحن أغنية من الاغنيات.

مهرة بنية تقفز بجموح وانطلاق فى أحد الحقول الخضراء كانت أول من التقى بعد عودة الإبصار. أمسك الخياط بلبدتها وهمّ يصعد فوقها قاصداً المدينة، غير أنها توسلت منه حريتها قائلة:" إننى صغيرة جداً ورغم أنك فارس ممشوق رشيق لكنك مع ذلك ستؤلم ظهرى،

اتركنى حتى يشتد عودى، وقد يحين وقت أكافئك فيه على ذلك! " تأملها الخياط وقال:" جامحة أنت مثلى، بك إلى الحقل إذن!" ثم لطها فى ود بفرع شجرة فوق ظهرها حتى إنها رفست الأرض بحوافرها الخلفية ابتهاجًا بالخلاص وراحت تقرفص فوق العشب تارة وتثب فوق الشجيرات تارة أخرى ثم هرولت إلى خلاء الحقل.

قال الخياط محدثا نفسه ولم يكن ذاق الطعام يوما كاملا:" ملأت الشمس عيونى لكن الأكل لم يلمس فمى، سوف التهم أول ما أصادفه حتى لو كان لا يؤكل." خطا طائر اللقلق فى هذه اللحظة من أمامه بساقيه الطويلتين فوق العشب مصوبا عنقه إلى السماء فى عز وكبرياء. صاح الخياط عليه:" قف! قف! وامسك بقدميه وقال له:" لست أدرى إذا كان مذاقك طيبًا أم لا، لكن الجوع لا يترك لى خياراً وسوف أضطر لقطع رقبتك وشيك." أجاب اللقلق:" لا تفعل! إننى طائر مقدس لا اضر الإنسان، بل وأقدم فوائد جليلة للبشر، إذا تركتنى أعيش، فسوف أكافئك على صنيعك يومًا من الأيام." قال الخياط:" انصرف إذن يا ذا السيقان المشوقة!" أرخى الطائر أرجله فى الهواء وارتفع بجناحيه وحلق فى السماء بتمهل وتؤدة. سأل الخياط نفسه:" وما نتيجة كل هذا؟ جوعى يشتد ضراوة وأمعائى تزداد خواء، سألتهم فى المرة القادمة ما يسقط بين يدى!" ورأى الخياط بطتين صغيرتين فى جدول تسبحان صوبه فقال:" فى الميعاد يأتى المراد من رب العباد!" وانقض على إحداهن وهمّ يلوى عنقها، فقفزت أمها البطة العجوز من فوق العشب إلى الماء وأخذت تجأر بمنقارها وتتضرع إليه أن يرحم صغارها

قائلة:" هل تتصور كم كانت أمك ستولول وتعوى إذا اختطفك أحد وأراد قتلك؟!" قال الخياط الرؤوم:" اهدئى وضمى صغارك!" ثم أعاد الأسيرة إلى الماء واستدار لينصرف فإذا بشجرة نصف جوفاء والنحل البرى يطير إليها ومنها، ابتهج وفكر:" ها هو جزاء صنع الخير، عسل النحل سوف ينعشنى." غير أن ملكة النحل خرجت عليه ساخطة وتوعدته قائلة:" إذا لمست أحداً من مملكتى وهدمت بيتى سوف نغرس أشواكنا فى لحمك وتكون أكثر إيلاما من ألف إبرة بالجمر مستعرة، أما إذا تركتنا وانصرفت إلى سبيلك فسوف نجازيك يومًا ما على عطفك!" رأى الخياط أن لا حيلة له فى هذا الموقع أيضًا، فقال:" يا لها من وجبات رديئة: المهرة واللقلق والبطة، ثلاث سلطانيات فارغة والرابعة ممتلئة بعسل النحل لكنى لم أحظ بها!"

بجوف خال جرجر الخياط نفسه بعناء إلى المدينة، وكان وقت الظهيرة فأكل فى أحد المطاعم ، وعندما فرغ قال محدثًا نفسه:" والآن علىّ العثور على عمل." لف هنا وهناك ودار فى أرجاء المدينة إلى أن وجد رزقه فى إحدى ورش الخياطة ومكانًا مناسبًا للمبيت. وكان الخياط ماهرا فى حرفته، هكذا لم يستغرق الأمر زمنًا طويلاً حتى اشتهر وذا ع صيته كأفضل ترزى فى المملكة. كان الجمهور يتهافت عليه ويشيد بالخياط القصير وبمهارته التى ما لبثت تزداد وترتفع معها مكانته، رغم أنه كان يردد فى تواضع:" إننى لا أتقدم فى فنى!" لكن تقدمه كان فى واقع الأمر يزداد مع كل يوم ، وكان كل رجال المملكة يتمنون أن يخيط

لهم الستـرات، إلى أن حل اليـوم الذى طلب فـيـه الملك منه أن يلتـحق بفريق الخياطين فى قصره. هكذا:

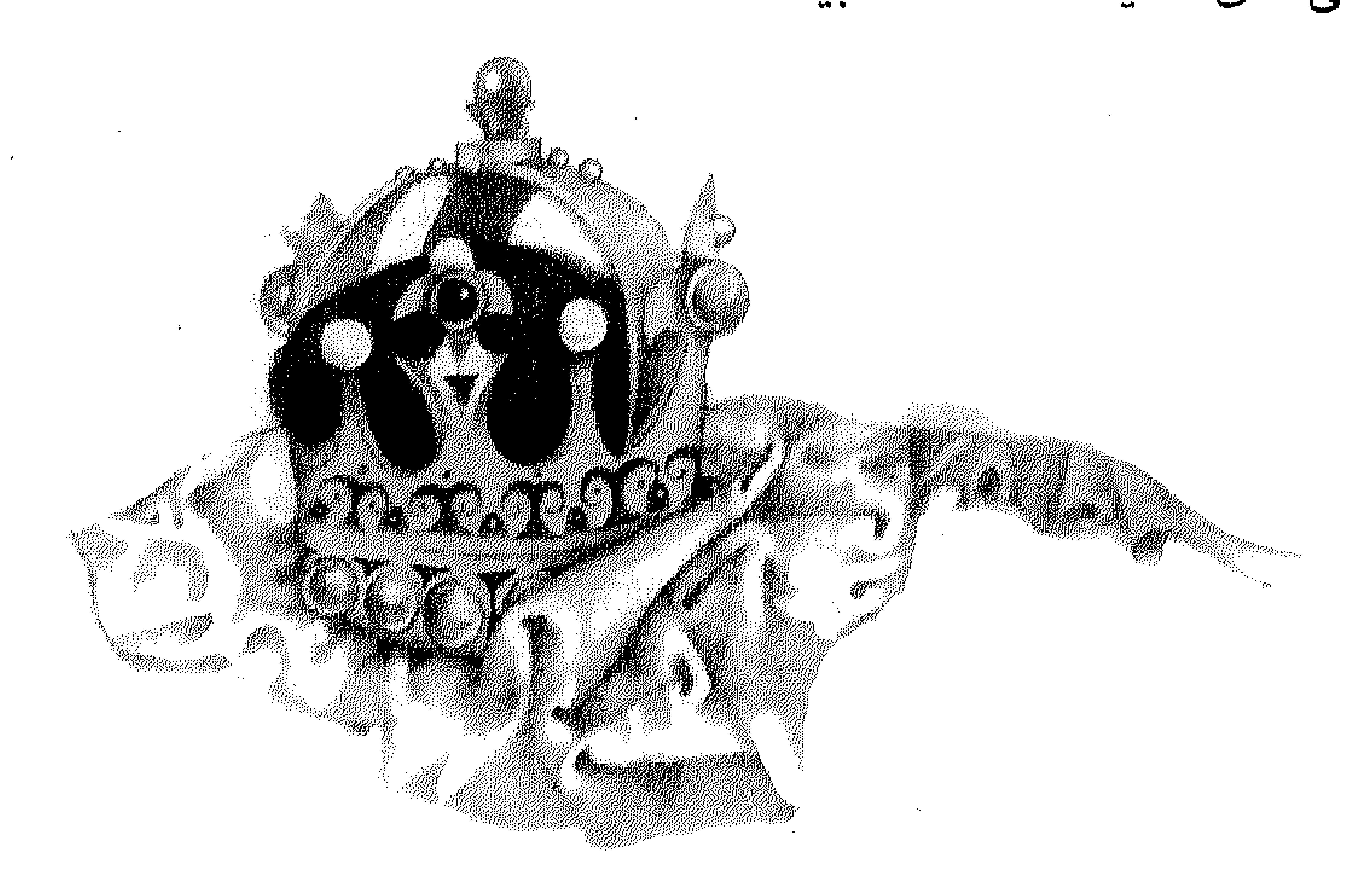
والمصـــادفـــات فلســـفـــات

فـــى كـــل زمـــن ولـــــى وآت

الخيـر آيات والشـر تبـعـات

أراد القدر أن يدعى الإسكافى أيضًا للعمل فى القصر فى نفس اليوم الذى انضم فيه الخياط للبلاط. وعندما لمح الخياط ورأى أن الله رزقه عينين أخريين صافيتين، اكفهر وجهه وفكر فى المكيدة خشية ثأر الخياط منه، ولكن "من حفر حفرة لأخيه وقع فيها." عندما فرغ الجميع من عمل ذلك اليوم وكانت الدنيا فى الغسق، قصد الإسكافى الملك وقال له:" يا مولاى الملك! إن الخيـاط رجل فاسق متبجح زعم أنه يستطيع العثور على تاج العرش الذهبى القديم الذى فقدتموه منذ عهود فى مملكتكم!" أجاب الملك فى ارتياح:" إننى أرحب بذلك!" وفى الصباح دعا الملك الخياط وأمره أن يجد التاج الذهبى. فكر الخياط:" الماجن يبدو دائمًا أعظم من شأنه، عندما يطلب منى الملك المتذمر ما لا طاقة لإنسان به فلن أنتظر للغد وعلىّ مغادرة المدينة اليوم وإلى الترحال مرة أخرى." حزم صرته وانطلق خارج القصر وعند بوابة المدينة شعر بالأسى والغبن وشق على نفسه أن يدير لها ظهره بعد عهد من الاستقرار والهناء. فى هذه الأثناء كان الخياط قد بلغ الجدول الذى تعرف قربه إلى صديقته البطة العجوز، وكانت تجلس فى هذه اللحظة فوق عشب الشاطئ تنظف

ريشـها بمنقارها. وتعرفت البطة عليه فى الحال وسألته:" لماذا تطأطئ رأسك؟" أجابها:" ستتعجبين إذا سمعتى ما حدث لى." وروى لها عن مطلب الملك. قالت البطة:" باستطاعتى مساعدتك إذا كان هذا كل ما لديك، سقط التاج فى الماء ويرقد للآن فى القاع وسوف ننتشله لك فى الحال، افرش أنت منديلا فوق الأرض واستعد لحمله!" غطست البطة ومعها بناتها الاثنتا عشرة بطة الصغيرة، ثم طفت بعد خمس دقائق تسبح وسطهن وترفع التاج بجناحيها ومن حولها البطات الأخريات يساعدنها بمناقيرهن. وصل الجميع إلى الشاطئ والقوا بالتاج فوق المنديل. ويا له من تاج كان، ويا له بريق تلألأ متوهجًا فى شعاع الشمس، زاهية فيه أحجار الياقوت المائة ألف. عقف الخياط أطراف المنديل الأربعة وحمل التاج للملك الذى فاقت سعادته كل الحدود وعلق فى عنق الخياط سلسلة ذهبية.



رأى الإسكافي أن المكيدة قد فشلت فتقدم للملك مرة ثانية ، وقال له:" سيدى الملك! لقد تبجح الخياط مرة أخرى وزعم أنه يمكنه تقليد القصر من داخله وخارجه بما حمل وما احتوى وإبداع نموذج فني دقيق له بالشمع." دعا الملك الخياط وأمره بتقليد القصر بشتى التفاصيل، الثوابت والمتحركات، من الداخل والخارج في بناية من الشمع، شرط ألا ينقص أى شيء ولا حتى مسمار على الجدار، وإلا سوف يقضى ما تبقى من عمره حبيسا تحت الأرض! فكر الخياط مهموما محدثا نفسه:" تتوالى المنغصات وتكثر المشكلات، ما من إنسان في الكون يستطيع ذلك!"

ألقى الخياط بصرته فوق ظهره وانصرف. وفي طريقه مر على شجرة باسقة، جلس تحتها وطأطأ رأسه، حتى أقبل النحل عليه وسألته ملكته:" لماذا تطأطىء رأسك، هل التوى عنقك؟" أجاب:" كلا! إنني مغتم من شأن آخر." ثم روى لها عن مطلب الملك. طن النحل يتشاور فيما بينه، ثم عادت إليه الملكة تقول:" عد إلى بيتك وارجع لنا غدا في نفس هذا الموعد واحضر معك منديلا كبيرا ولا تعبأ بشيء!" عاد إلى القصر بينما طار النحل معه ونفذ عبر الشرفات والنوافذ وتسلل إلى كل الأركان والغرف وتفحص كل شيء بروية ودقة بالغة ثم عاد محلقا للغابة وشيد قصراً صغيراً من شمع العسل في سرعة وإتقان حتى ظن من رآه أنه القصر ذاته وقد ارتفع في لحظات. ذهب الخياط للنحل في المساء ، وكانت البناية آية في الروعة والجمال لم ينقصها شيء ولا حتى

مسمار على الجدران أو حجر واحد من السقيفة. كان القصر شاهق البياض أنصع من ثلوج الشتاء، رقيقًا يفوح عبق العسل المسكر منه. لفه الخياط بحرص وقدمه للملك الذى لم يفق من الدهشة والتعجب فرحًا وابتهاجًا، ووضعه فى أكبر قاعات القصر، وكافأ الخياط ببيت كبير من الحجارة ، لكن الإسكافى لم ينه عند هذا الحد مكائدة وقصد الملك للمرة الثالثة.

والثالثة هى من المرات
فيها ضرات أو مسرات
فإما الحياة وإما الممات
وعاد الإسكافى بمؤامرات

وقال للملك:" مولاى! تجرأ الخياط وتبجح مرة أخرى وتجاوز كل الحدود وبعد أن بلغ سمعه أن الماء لا ينبع داخل القصر، زعم أنه ينوى إخراجه، ماء رقراقًا صافيًا مثل الكريستال من قلب الفناء فى نافورة طولها قامة الإنسان." دعا الملك الخياط ، وقال له:" إذا لم تنبثق المياه حتى الغد فى قصرى كما وعدت سأجعل خادمى الذى ينحر البهائم يقطع لك رأسك فى نفس الحظيرة!" لم يستغرق الخياط المسكين فى التفكير طويلاً، وهرول مسرعًا إلى بوابة القصر ومنها هرول إلى الخارج. وفى الطريق انحدرت عبراته دافئة فوق وجنتيه ؛ لأن حياته أصبحت مهددة وعظم على نفسه مصيره الحزين.

وبينما كان يخطو بوأد شجيًا يفكر، ركضت صوبه مهرة بنية فتية بديعة، كانت ذات المهرة التى وهبها حريتها فى يوم من الأيام. أقبلت عليه تقول:" دار الزمن وحل اليوم الذى أصبحت فيه قادرة على رد جميلك، أدرى ما بك، لكن لا تعبأ ستنقضى محنتك بسلام، اصعد فوق ظهرى فهو يتحمل الآن اثنين من وزنك الخفيف!" دقت مهجتة بعنف من البهجة وبوثبة واحدة اعتلى ظهر صديقته المهرة وطارت به فى قفزات واسعة إلى المدينة فالقصر. وفى وسط الفناء ركضت المهرة فى دائرة ثلاث مرات بسرعة البرق ثم ارتطمت بالأرض بعنف ووحشية حتى انفلقت أحجارها ودوت مثل طلقات رصاص فى الخلاء وعلا ضجيج يصم الآذان فى الفناء ثم انداح فى القصر كله وما حوله، وفار الماء فى التو من تحت أقدامها صافيا نقيا مثل الكريستال مندفعًا مرتفعًا بقامة حصان يحمل فارسًا، ويدأ شعاع الشمس يتراقص فوقه حبات ضوء تتلألأ. عندما رأى الملك المياه فى قصره هرول للخياط يعانقه أمام الجميع. واستمرت حياة الخياط هانئة زمنا ولكنها لم تكن كذلك دومًا.

كان الله قد رزق الملك بنات كثيرات حسناوات، واحدة منهن أجمل من الأخريات، ولم يهبه صبيًا واحدًا يرث العرش ويخلفه، وكانت تلك أمنيته الجليلة. فكر الإسكافى الشرير مرة رابعة فى مكيدة تكون هذه المرة أكيدة بعد أن أخفقت كل ألاعيبه القديمة فى الإيقاع بالخياط وذهب للملك يقول:" يا مولاى الملك! إن الخياط مازال مُصرًا على وقاحته

متماديًا في غروره الذى فاق هذه المرة كل الحدود. لقد زعم أنه يستطيع الإتيان لك بابن ذكر من صلبك من الهواء!" دعا الملك الخياط على وجه السرعة وقال له:" إذا أتيت لى بابن ذكر من دمى خلال تسعة أيام سأزوجك كبرى بناتى !" انصرف الخياط دهشا يحدث نفسه بإن: "المكافأة عظيمة لا شك، لكن المهمة تعلق فى السماء وإذا تسلقت إليها فرع شجرة باسقة سوف ينكسر بى وأسقط هاويا إلى الحضيض." عاد إلى بيته ومد ساقيه فوق منضدة الخياطة وشرد يفكر فى الأمر، وبعد حين صاح بحسم:" لا يوجد حل لها! عليّ الانصرف من هنا فلقد تبدد سلام العيش وهدوئه." حزم صرته وألقاها فوق ظهره ورحل فى عجلة إلى البوابة وخرج منها إلى المرج ، وهناك لمح صديقه القديم. كان اللقلق يسير بهدوء روحة وجيئة مثل أعظم الحكماء ثم توقف والتقط ضفدعة بعد مراقبة طويلة وابتلعها، وعندما لحظ الخياط سأله:" أرى حقيبتك فوق ظهرك فلماذا تغادر المدينة؟" روى الخياط له عن مطلب الملك المستحيل وانتحب كمداً ونعى حظه التعيس. قال اللقلق:" سأنتشلك من ورطتك، اننى منذ زمن بعيد أنقل الأطفال الرضع للمدينة، وبإمكانى أيضًا ولو مرة واحدة أن أحضر لك أميراً صغيراً من الفسقية، عد إلى بيتك وكن هادئًا وبعد تسعة أيام انتظرنى فى القصر! سوف آتى إليك."

عاد الخياط وبعد تسعة أيام ودقائق قليلة انتظرها فى القصر، حلق اللقلق وطرق نافذة من النوافذ، فتح له الخياط فدخل وحط بساقيه المشوقتين على الأرض وسار فى وقار فوق المرمر الأملس ، وكان

قابضاً بمنقاره على وليد بديع مثل الملاك وذراعاه ممتدتان صوب الملكة. أرقد الطائر الطفل فوق ارجلها، فاضطربت الملكة من فرط السعادة. وقبل أن يغادر اللقلق المكان تناول حقيبته وقدمها للملكة، وكانت ممتلئة بالحلويات والمسكرات ، فرقت على الأميرات الصغريات، أما الكبرى منهن فلم تحصل على شيء ؛ لأنها فازت بالخياط الوسيم زوجا لها. وقال الخياط:" لقد ربحت الجائزة الأولى، وكانت أُمي على حق عندما كانت تردد أن من يتوكل على الله ثم على حظه لا يصيبه مكروه."

وبينما كان الخياط الطيب يتهيأ للعرس الملكى كان على الإسكافى الشرير صنع حذاء الحفل الذى سينتعله الخياط فى رقصة الزفاف. ولم يقتص منه الخياط لكن الآخرون نصحوه بمغادرة المملكة وقد قاده الطريق للغابة إلى ذات المشنقة التى ترك تحتها الخياط ذات يوم. سقط الإسكافى جوارها من وطأة الحقد والغضب والحر والتعب، وهوى على الأرض ينام فإذا بالغرابين يسقطان من فوق جسدى رجلين مشنوقين ويعقان نعيقًا بلغت صيحاته السماء ثم يخرقان عينيه الاثنتين. ركض الإسكافى بجنون من شدة الألم والرعب إلى داخل الغابة، واغلب الظن انه تعفن فيها لأن أحدا لم يسمع عنه شيئًا ، ولم يره إنسان منذ ذلك الحين.

* * *

كان يا ما كان حدوتة زمان

حكاية يرويها الدهر والمكان

وأخرى يطويها العمر والنسيان

وهـذه يحكيها جـريم الأخـوان

لـك هـنا والآن:



ماء الحياة

كـــان يا مـــا كـــان

فـــى بـــلاد الألمـــان

عاش ملك وقد تمكن منه المرض حتى كاد يفتك به، وظن الجميع أن الملك لن يصح أبدًا وأن المنية سوف توافيه لا محال. وكان أبناء الملك الثلاثة وقد عصفت بهم الأحزان كمدًا على أبيهم يهبطون إلى حديقة القصر ويظلوا يبكون وينتحبون، حتى لاقهم ذات مرة كهل حكيم وسألهم عما ألم بهم، فقالوا له إن أباهم سوف يموت وأن لا طب وطبيب له يمكن أن يعينه ويشفيه، قال الكهل:" إننى أعرف الوسيلة التى بها يصح الملك ويتعافى، إنها ماء الحياة! إذا رشف العجوز منها رشفة واحدة تعود له عافيته فى الحال، لكن العثور عليها أمر عسير .. عسير للغاية." قال الابن الأكبر:" علىّ إذن أن أجدها." وأسرع إلى أبيه يرجوه السماح كى يرحل ويبحث عن ماء الحياة ؛ لأنها وحدها سوف تقهر المرض وتعيد له الصحة والازدهار. أبى الملك أن يعرض ابنه للمهالك وقال أن الرحلة مليء بالأخطار، وأن الأفضل له أن يمضى هو لحتفة من أن يترك ابنه بين راحتى القدر المجهول. لكن الإبن الذى راح يلح

بإصرار لم يترك للأب خيارا، ووافق الملك على مضض ورحل الأمير. غير أن الابن الأكبر كان يضمر نية أخرى وفكر فى أنه إذا أتى بماء الحياة لأبيه فسوف يحبه الملك أكثر من أخويه الاخرين ويفضله عليهما ويمنحه العرش والمملكة.

انطلق أكبر الأبناء يركض فوق جواده وطوى مسافات كبيرة وبعد انقضاء زمن طويل استوقفه قزم كان واقفًا فى الطريق وصاح به قائلا:" إلى أين تشد الرحال وفيما هذه العجلة؟" أجابه الأمير من فوق فرسه بتكبر وغطرسة:" الأمر لا يعنيك!" وواصل جواده العدو. كرب القزم من إزدراء ابن الملك له وتملكه غيظ جعله ينطق بلعنة صبت على الأمير، الذى زرق فى طريقه بين شعب الجبال الرفيعة وكانت كل خطوة يخطوها للأمام تضيق عليه الممر الجبلى من كل جانب أكثر فأكثر حتى كادت الجبال تنغلق من امامه وتلتحم من يمينه ويساره وسدت الطريق وهو فوق مهرته لا يستطيع التقدم أو التقهقر أو الاستدارة بالفرس أو حتى الهبوط من فوق السرج وظل هناك حبيسًا! فى هذه الأثناء كان الملك ينتظر أكبر الأبناء، وطال الانتظار والغائب بين راحتى القدر الجبار.

تقدم الابن الثانى للملك يطلب منه إذنًا بالرحيل ليفتش عن ماء الحياة. وكان الأمير الأوسط يضمر نية اخرى؛ إذ فكر:" لو أن أخى قد مات فى رحلته سيصبح العرش والإرث من نصيبى." واستسلم الملك أمام إصرار الأمير وانطلق الأخير فوق جواده على الطريق نفسه الذى سلكه أخوه قبله والتقى القزم الذى استوقفه يسأل:" إلى أين تشد الرحال وفيما هذه العجلة؟" أجابه الأمير بتكبر وغطرسة دون أن يلتفت إليه:" الأمر لا يعنيك!" وواصل جواده العدو. دعا القزم عليه بلعنة كما لعن أخاه وانتهى به الحال أيضًا إلى شعب الجبال الرفيعة وزرق فى أحد دروبها وظل بها زنيقًا. وطال انتظار الأب للابن الثانى لكنه لم يعد.

وأراد الابن الاصغر ما ابتغيا أخواه وأخذ يتوسل للملك ويتوسل فانصاع الأب فى النهاية لرغبة ابنه فى العثور على ماء الحياة. وانطلق الأمير فوق صهوة جواده على الطريق نفسه الذى سلكاه أخواه من قبل. واستوقفه القزم متسائلا:" إلى أين تشد الرحال وفيما هذه العجلة؟" اوقف الأمير حصانه وتحدث إلى القزم بود واجابه قائلا:" إننى إبحث عن ماء الحياة لأن مرضا فتاكا ألم بأبى." سأله القزم:" وهل تعرف أين هو؟" اجاب الأمير:" كلا!" اضاف القزم:" سوف ادلك على الطريق لماء الحياة ،لأنك تنحو فى سلوكك نحوًا رصينًا مهذبًا ولا تشبه أخويك المتكبرين. ينبع ماء الحياة من بئر مسحور وسط قصر ملعون، ولن تتمكن بحال من الاقتراب من القصر إلا بعصا حديدية ورغيفين من الخبز سأعطيهم لك. بالعصا تضرب فوق بوابة القصر الحديدية ثلاث مرات فتفتح من امامك ضلفتيها، وبالداخل ستجد فناء يرقد فيه أسدان

يفتحان حلقهما، عليك أن تقذف فى فم كل منهما برغيف من الرغيفين فتأمن كل شر من جانبهما. وتسرع بعد ذلك فى الاغتراف من ماء الحياة قبل أن تدق الساعة الثانية عشرة ، وإلا سوف تغلق البوابة ضلفتيها الحديديتين وتظل أنت حبيسًا داخل القصر الملعون". شكره الأمير بامتنان وتناول العصا الحديدية والرغيفين ومضى.

وجد الأمير كل شىء كما قال القزم. فتحت البوابة الحديدية ابوابها إثر الضربة الثالثة، ورمى بالرغيفين فى حلقى الأسدين فرقدا فى سلام. دخل القصر ووصل فيه إلى قاعة كبيرة وجد بها أمراء كثيرين بالسحر ملعونين، فراح يسحب خواتمهم من أصابعهم وعثر بجوارهم على سيف مسلول وخبز، فأخذهما معه.

ثم فتح حجرة اخرى كان بداخلها عذراء بديعة الحسن والجمال لما رأته هبت واقفة لاستقباله وقبلته وقالت له:" لك كل مملكتى، وبعد عام سأكون لك زوجة لأنك حررتنى من السحر"، ثم أرشدته إلى مكان بئر ماء الحياة فى القصر وحذرته من أن تدق الساعة الثانية عشر ، وهو فى القصر وقالت له:" عليك أن تتعجل فيما تبتغى!" انصرف الأمير وفى طريقه إلى البئر مر بغرفة بها فراش مرتب جميل. وكان الأمير منهك القوى مجهداً من الرحلة الطويلة فأراد أن يستريح قليلاً ثم يستأنف المهمة ورقد فغفا ونام. وعندما أفاق كانت الساعة تدق الثانية عشرة إلا الربع. قفز من الفراش مذعوراً وسار للبئر واغترف منه قنينة وهرول مسرعا إلى البوابة، دقت الساعة الثانية عشر وهو ينفذ من البوابة التى

قطعت جزءًا من كعب الأمير وهى توصد ضلفتيها الحديديتين بسرعة وبصخب وصلصلة.

اجتاحت مهجة الأمير الأصغر بهجة عظيمة وفرح كبير؛ لانه وجد ماء الحياة ورحل به لأبيه. وفى الطريق مر بالقزم الذى رأى معه السيف والخبز فقال له:" حققت نصرًا عظيمًا! فبالسيف تستطيع دحر جيوشا جبارة، اما الخبز فلا ينفد أبدًا!" وشق على الأمير مصير أخويه ولم يرغب فى العودة لابيه دونهما فقال للقزم:" ألا يمكنك يا عزيزى القزم أن تخبرنى أين أخواى، لقد انطلقا فى رحلتيهما من قبلى ولم يعدا!" إجابه القزم:" لقد لعنتهما لأنهما متغطرسان متكبران وهما الآن حبيسان، بين جبلين زنيقين!" توسل إليه الأمير وتوسل إلى أن أزال القزم عنهما السحر وحررهما ثم قال للأمير الأصغر:" احذر منهما فقلباهما سواداوان ويضمران لك شرًا كبيرًا!" فرح الأمير بعودة اخويه وراح يقص عليهما ما حدث له من أحداث وما وقع له من وقائع وكيف عثر على ماء الحياة وملأ منها قنينة، وعن الأميرة البديعة التى فك سحرها وستصبح زوجة له بعد عام وعن مملكتها التى ستهبها له.

اعتلى الإخوة الثلاثة صهوات الجياد وانطلقوا معًا. ومر وقت وانقضى زمن وصل بعده الاخوة إلى مملكة من الممالك دارت فيها رحى حرب ضروس وعمت المجاعة وانتشرت الحاجة والفاقة حتى إن الملك اعتقد أن لا مناص لشعبه من الاندثار ولا خلاص لمملكته من الدمار. ذهب إليه الأمير الأصغر وأعطاه الخبز فأطعم الجميع وأشبعهم، ثم أعطاه بعد ذلك السيف فهزم الملك به جيوش الأعداء وعم

السلام مملكته مرة أخرى وساد الهدوء والوئام. استرد الأمير سيفه والخبز الذى لا ينفد أبداً، وواصل الأخوة مرة أخرى رحلتهم فوصلوا فى طريقهم إلى بلدين آخرين وكان حالهما نفس الحال الذى ساد المملكة الأولى. وكان الأمير الأصغر فى كل مرة يعطى الخبز والسيف إلى الملك، وبذلك أنقذ من الجوع والهلاك ثلاث مملكات.

أبحر الإخوة الثلاثة فوق ظهر سفينة كبيرة إلى أبيهم. وفى مرة من المرات كان الأمير الصغير يغط فى سبات عميق، وأخذ الأخوان يتحدثان فيما بينهما، قال أحدهما للآخر:" لقد وجد أخونا الأصغر ماء الحياة بينما أخفقنا نحن فى العثور عليه. ولذلك سيهبه والدنا على الأغلب العرش والملكة وهما من حقنا." هكذا تعطش الكبيران لأخذ الثأر من أخيهما الأصغر وتعاهدا على الانتقام، وتحينا فرصة أخرى كان فيها الأخ الأصغر نائمًا وسلبوه القنينة وبدلوا ماء الحياة بماء البحر المالح. وعندما بلغت السفينة شواطئ مملكتهم هرول الأمير الصغير فرحًا إلى الأب بالقنينة ليشرب منها ويصح. وما كاد الملك يرتشف من ماء البحر رشفة صغيرة حتى عظم مرضه واستفحل الداء فى بدنه وشاخ وكأن السنين مرت به فى لحظة واحدة. وعندما اشتكى الملك حاله قال له الأخوان الكبيران وقد ابتغيا الإيقاع بأخيهم الأصغر إنه:" اراد أن يفتك بالملك ويقتله بالسم!" وجلبا له ماء الحياة وجرعاه إياه. شرب الأب من القارورة وفى نفسها اللحظة التى لمست شفاه فيها زال سقمه على الفور وصار قويا كما كان فى صباه عفيًا كما كان فى شبابه. أخذ الأخوان الكبيران يسخران من اخيهما الأصغر ويتهكمان

عليه ويقولان له سراً:" عثرت أنت على الماء، وكبدت نفسك العناء، وسنجنى نحن الجزاء! وكان الاحرى بك بدلاً من الاستغراق فى نوم عميق فوق ظهر السفينة أن تكون أكثر حرصا ويقظة عندما استبدلنا بماء الحياة ماء البحر المالح، وبعد انقضاء عام سيحظى أحدنا بالأميرة الجميلة وبمملكتها، واحذر ان تتفوه بكلمة واحدة عما فعلناه، أبوك لن يصدق شيئا مما تقول، فالزم الصمت لتأمن على نفسك وحياتك!"

حزن الملك العجوز وكئب وأعتقد أن ابنه الأصغر أراد التخلص منه، فاجتمع مع ذوى الشأن فى قصره يصدر الحكم عليه للقصاص منه، وتقرر أن يقتل الابن سراً رمياً بالرصاص. وانتظر الملك حتى خرج الأمير فى يوم من الأيام للصيد فى الغابة وأرسل معه صياداً. كان الصياد مغتماً فسأله الأمير:" ما بك يا عزيزى الصياد؟" أجاب الصياد:" علىّ أن افصح لك عن شىء ، ولكننى لا أستطيع أن أخبرك به!!" قال الأمير:" سأعفو عنك إذا كنت قد ارتكبت ذنبا من الذنوب، فقل ولا تخف!" قال الصياد:" يا ويلى! أمرنى الملك بقتلك!" فزع الأمير مصدوماً مصعوقاً مما سمع وقال:" اتركنى يا عزيزى الصياد أعيش وسأهبك كل ما أرتديه من الملابس الملكية مكافأة لك واعطنى بدلا منها ثيابك الفقيرة!" أجاب الصياد:" بكل سرور! وعلى أية حال لم يكن باستطاعتى قتلك." عاد الصياد لبيته مزهواً بردائه ومضى الأمير وحده يغوص فى أعماق الغابة.

ومر وقت وانقضى زمن وصلت بعده إلى قصر الملك ثلاث عربات محملة بالذهب والأحجار الكريمة أرسلها الملوك الثلاثة للأمير الأصغر

الذى أنقذ ذات يوم مملكاتهم من الحروب والمجاعات بالسيف المسلول والخبز الذى لا ينفد أبدًا، وقد أرادوا أن يشكروه ويذكّروه بامتنانهم. فكر الملك العجوز قائلا لنفسه:" ابني إذن ليس مذنبًا!" واعلن على الملأ أنه يعفو عن ابنه الأصغر وأنه متألم كرب لأنه ابتغى قتله. فقال له الصياد:" لم استطع تنفيذ أمركم يا مولاى الملك ولم اقتل الأمير، ابنك حى لم يمت!" ثم قص على الملك الحكاية من البداية حتى النهاية. استراح الملك واطمأن وراح يذيع فى كل البلاد وشتى المملكات أن ابنه لابد أن يعود دون أن يخشى شيئا ، ولن يلقى سوى الرحمة والمحبة.

فى هذه الثناء كانت ابنة الملك الجميلة التى حررها الأمير من السحر قد أمرت برصف شارع عريض أمام قصرها بالذهب المتلألئ النقى. وقالت للحاشية والحراس أن يتركوا من يقطع شارع الذهب مباشرة إليها، أما إذا عبر أحد هذا الطريق وحاد عن أرض الشارع الذهبى فعليهم أن يرودوه ولا يدعوه يصل إليها ؛ لأنه لن يكون الأمير الذى تنتظره.

وفكر الأخ الأكبر أن يتعجل الأمر ويذهب للأميرة الجميلة ويزعم أنه هو الذى حررها من لعنة السحر ويفوز بها زوجة وبمملكتها ثروة. هكذا انطلق فوق صهوة جواده إليها وعندما اقترب من القصر رأى الشارع الذهبى وتعجب له ثم فكر:" إنها لخسارة فادحة أن تدب مهرتى بحوافرها فوق هذا الطريق، وعرج بفرسه إلى يمين الطريق وظل يركض بمحاذات الذهب حتى بلغ بوابة القصر. هناك أعترضه الحرس وقالوا له إنه لن يرى الأميرة ، وأن عليه أن يعود. ولم يكن قد مر وقت طويل حتى

وصل الأخ الثانى، وبدوره تطلع فى انبهار إلى ذهب الشارع المتوهج وفكر:" إنها لخسارة فادحة أن تدب مهرتى بحوافرها فوق هذا الطريق." وحاد بفرسه شمالاً وسار بمحاذات الذهب حتى بوابة القصر، وهناك قالوا له أنه لن يرى الأميرة ، وأن عليه أن يعود.

كان العام قد دارت أيامه وانقضى زمانه. وعرف الأمير الأصغر أن الوقت قد حان ليصل إلى محبوبته وينسى معها آلامه ويخفف من أحزانه، فانطلق فوق جواده وهو يتأمل اللقاء الذى سيكون وفى الزمن الذى أهدره بعيداً عن الأميرة، ولم يلحظ وهو غارق فى فكره الشارع الذهبى، وواصلت مهرته العدو فوق الطريق وعند القصر فتحت البوابة ضلفتيها على مصرعيها أمامه واستقبلته ابنة الملك الجميلة بفرح وسعادة قائلة:" أنت الأمير الذى حررنى سيد مملكتى ومالك قلبى."

أقيمت أبهى الاحتفالات بعرس الأميرة والأمير. وروت الأميرة لزوجها أن أباه الملك العجوز يفتش عنه ؛ فرحل له الأبن الأصغر وأفشى كل الأسرار وكشف له خداع الأخوين الكبيرين وأنه فضّل أن يلزم الصمت. وأراد الملك أن يعاقبهما غير أنهما كانا قد أبحرا هرباً فوق ظهر سفينة كبيرة، ولم يعدا حتى الآن من عرض البحر.

* * *

كان يا ما كان حدوتة زمـــان

حكاية يرويـها الدهـر والمكـان

وأخرى يطويها   العمر والنسيان

وهَـذه يحكيها   جـريم الأخـوان

لك هـنا والآن:



العـازف البـديع



كـــان يا مـــا كـــان
فـــى بـــلاد الألمـــان
عـــــازف بـكمـــان
واللـحـن فـــتـــان
هـو ســـحـــر الفنان

فى يوم من الأيام كان عازف فنان يسير عبر الغابات والغيطان، وكان وحيداً وحدة موحشة، شارداً شروداً متوحشاً يتنقل بفكره من هنا لهنالك ، ولما لم يعد لديه ما يعمل فيه عقله قال محدثاً نفسه:" سيكون

لدى فى الغـابة وقت طويل يكفى لكل شىء ؛ ولذا سـأجـتـذب لنفـسى مؤنسا." وانزل العازف البديع آلة الكمان من فوق ظهره ، وراح يضرب باوتارها لحنًا عذبًا رقيقًا نفذ بروعته إلى أفرع الأشجار وتخلل أوراقها. ظهر على النغم ذئب يخرج من الدغل فقال العازف:" ذئب آت؟ لكننى لست بحاجة لذئب!" أخذ الذئب يدنو منه وسأله:" آه أيها العازف! ما هذه الأنغام الخلابة البديعة! أود أنا الاخر أن اتعلم العزف!" أجاب العازف:" أنه أمر سهل وما عليك إلا أن تفعل ما أقول!" رد الذئب:" سأطيعك يا عزيزى العازف كما يطيع التلميذ معلمه." وسارا معًا فى الغابة حتى وصلا إلى شجرة بلوط عتيقة، جوفاء من الداخل وبمنتصف جذعها شق. توقف العازف بجوارها وقال للذئب:" إذا كنت حقا تبتغى تعلم العزف فضع كفيك الأماميتين فى هذا الشق. نفذ الذئب ما أمر به المعلم، وإذا بالعازف يلتقط حجراً ضخمًا ويهوى به فى عنف فوق كفيه حتى ثبتهما فى فتحة الشجرة، وظل الذئب راقدا مقيدا لا يستطيع الحراك. نظر إليه العازف ، وقال له:" انتظر حتى أعود!" ومضى فى طريقه.

انقضت فترة على العازف وهو يسير فى الغابة ويفكر ويكرر لنفسه قائلاً:" سيكون لدى فى الغابة وقت طويل يكفى لكل شىء ؛ لذا سأجتذب لنفسى مؤنسًا آخر." وأنزل الكمان من فوق ظهره وراح يعزف فى الغابة مرة أخرى، فجاء على صدى النغمات ثعلب يتسلل من بين الأشجار. قال العازف:" ثعلب آت! لكننى لست بحاجة لثعلب!" اقترب منه الثعلب وقال:" آه أيها العازف، ما هذه الروعة التى تعزفها! أريد أنا

الأخر أن أتعلم العزف!" قال العازف:" إنه أمر سهل وما عليك إلا أن تفعل ما اقول!" أجاب الثعلب:" سأطيعك يا عزيزى العازف كما يطيع التلميذ معلمه." امره العازف أن يتبعه وسارا معًا فى دروب الغابة إلى أن وصلا طريقًا ضيقًا للمشاة يحفه الشجر الباسق والشجيرات اليانعات من الجهتين. طوى العازف أفرع شجيرة بندق وحكمها فوق الأرض من تحت قدميه، ومن جانب الطريق الآخر ثنى أفرع شجيرة ثانية ثم قال للثعلب:" هيا أيها الثعلب إذا كنت تريد تعلم العزف إلىّ بكفك الشمال الأمامية!"، واطاعه الثعلب فقيد يده فى الشجيرة اليسرى ثم قال:" والان إلىّ بكفك اليمنى!" وفعل الثعلب ووثق العازف يده اليمنى فى الشجيرة الأخرى ونظر إلى إحكام القيد ولما أطمأن إلى شدة الرباط ترك أفرع الشجرة من تحت قدميه تحلق عاليا، فقفز الثعلب معها يتخبط ويترنح فى الهواء. قال له العازف:" انتظر حتى أعود!" ومضى فى طريقه.

سار العازف فى الغابة وقتا وراح يحدث نفسه مرة أخرى ويقول:" سيكون لدى فى الغابة وقت طويل يكفى لكل شئ لذا سأجتذب لنفسى مؤنسا آخر." وسحب الكمان ونفذت الأنغام عبر دروب الغابة فجاء ارنب على صداها وصدحاها. قال العازف:" أرنب آت! لكننى لست بحاجة إلى أرنب!" رد الأرنب قائلا:" آه آيها العازف! ما هذه الموسيقى الساحرة التى تعزفها! أريد أنا الاخر أن أتعلم العزف!" أجابه العازف:" أنه أمر سهل وما عليك إلا أن تفعل ما أقول!" إجابه الارنب:" سأطيعك يا عزيزى العازف كما يطيع التلميذ معلمه." وسارا معًا فى

الغابة حتى وصلا بقعة منها منيرة بالشمس وتوقفا حيث ارتفعت شجرة حور. ربط العازف الأرنب من عنقه بوثاق طويل من طرف وعقد الطرف الثانى فى الشجرة وصاح عليه قائلا:" هيا أيها الأرنب الحذق النشيط اركض حول الشجرة عشرون مرة!" أطاعه الارنب، فالتف الوثاق حول عنقه الطرى وتقيد. اجتهد الارنب فى حل الوثاق وجذبه فكان يزيده إحكاماً وتضييقاً. عندئذ قال له العازف:" انتظر حتى اعود!" ومضى فى طريقه.

أمضى الذئب هذه الأثناء فى محاولات للانفلات من القيد وراح بدأب يعض خشب الشجرة ويشد كفيه من الشق حتى أخرجهما من فتحة الجذع وعندما انطلق وشعر بالحرية كان غيظ عظيم قد تملكه وغضب كبير سيطر عليه وهرول راكضًا يقتفى أثر العازف ليثأر منه ويمزقه مزقًا. ورآه الثعلب فصاح به بكل ما أوتى من قوة مولولاً عاوياً يقول:" أنقذنى يا أخى الذئب لقد خدعنى العازف!" جذب الذئب أفرع الشجيرتين وقضم الحبل وحرر الثعلب ومضيا معا للانتقام من العازف، فوجدا الارنب واطلقوه هو الآخر وذهبوا يفتشون عن عدوهم المشترك.

ترك العازف أوتار الكمان ترن مرات وتصدح أوقات فى دروب الغابة وقد حالفه الحظ لما بلغت أنغامه سمع قطّاع خشب فقير يعمل، ساقته قدماه دون إن يدرى أو يعى إلى مصدر النغم ، وكان لايزال يتأبط البلطة. وعندما رآه العازف قال:" أخيرًا أتى إلىّ المؤنس الحق، وليس الحيوانات البرية!" وبدأ العازف يرجف أوتار الكمان بحب غامر وروعة فنان حتى إن قطاع الخشب الفقير وقف كما المسحور وقد

انبسط فؤاده للبهجة والحنان. فى هذه اللحظة ظهر الذئب والثعلب والأرنب وقد أدرك قاطع الخشب انهم يضمرون الشر فرفع يده ملوحًا بالبلطة تبرق فى الهواء ووقف امام العازف يستره عنهم فى إنذار صريح لهم. فزعت الحيوانات وتقهقرت وعادت إلى جوف الغابة حتى اختفت. أما العازف فراح يضرب لحنًا بديعًا لقاطع الخشب الفقير شكرًا له وامتنانًا على ما فعله، ثم مضى فى طريقه.

* * *

كان يا ما كان   حدوتة زمان

حكاية يرويها   الدهر والمكان

وأخرى يطويها   العمر والنسيان

وهذه يحكيها   جريم الأخوان

لك هنا والآن:



حكاية الذى ارتحل لتعلم الخوف

كـــان يا مـــا كـــان

فـــى بـــلاد الألمـــان

فى ســالف الأزمـــان

عــــاش أب وولـدان

الأكبر منهما كان ذكيًا فطنًا، يعرف فى كل الأحوال كيف يدبر شئون الحياة صغيرها وكبيرها. أما الأبن الأصغر فكان غرًا أحمق، لا يدرك أهون الأمور، ولايعى أبسط الأصول ولا يرغب فى تعلم شىء أيًا كان. وعندما كان المرء يراه، كان يتحسر ويفكر فى أن شقاءً عظيما ينتظر والده ؛لأنه كان لا يعقل ما يقول ولا يفهم ما يقال. وكان الأب إذا أراد إنجاز مهمة ما يتوجه دوما للابن الأكبر ليتكفل بها، أما إذا شاءت المصادفة أن يوكل إلى الابن الأصغر عملاً كالذهاب لإحضار شئ ما فى ساعة متأخرة من الليل وكان على الابن ان يسير طريقا يمر بفناء الكنيسة حيث المقابر أو من درب آخر مظلم ومفزع، فكان الابن يرفض قائلاً:" كلا يا أبى! سأفزع من الذهاب هنالك"، على الرغم من أنه لم يكن يدرى معنى الخوف. وفى الأمسيات إذا التف الناس فى حلقه وساقتهم الثرثرة إلى قص الحواديت المروعة والحكايات التى يقشعر لها

الأبدان وراح بعض السامعين يقول:" إننى خائف! خائف!" فكان الابن الأصغر يجيب قائلاً:" انهم يرددون دومًا: نحن خائفون! خائفون! حقًا إن الخوف فن لا أفقه فيه شيئًا!" بينما هو لم يعِ ولم يفهم مما قيل أى شىء! وفى مرة من المرات وقد طفح الكيل بالأب، صاح به قائلاً:" استمع إلىّ جيداً من الزاوية التى تقبع فيها! أنت تكبر وستصير رجلا، وفى يوم من الأيام عليك أن تكد كي تجد قوت يومك، ألا ترى كيف يسعى اخوك ويشق طريقه إلى الحياة؟ أما أنت فالخبز الذى تطعمه هباء وخسارة." أجاب الابن:" آه يا أبتاه .. أنا على أتم الاستعداد لتعلم أى شىء لو أن الأمر ممكن، كم تمنيت لو تعلمت الخوف، إننى حقًا لا ادرك ماهيته!" ضحك الأخ الأكبر وهو يستمع لأخيه وفكر قائلا لنفسه:" يا إلهى! كم هو أحمق، حقًا ان الكتكوت الفصيح من البيضة يصيح." أما الأب فتنهد وقال للابن الأصغر:" سوف تتعلم الخوف يا بنى، لكنك لن تكسب به ما يطعمك!" .

وتصادف أن عرج شماس الكنيسة بعد فترة قصيرة فى زيارة على الأسرة، فاشتكى له الأب حالته والعوز وحكى له عن ابنه الأصغر وعن فشله وأنه لا يسعى لتعلم شىء ، وقال للشماس:" تصور إذا سألته بم سيرتزق، يطلب منى أن يتعلم الخوف؟!" فكر الشماس ثم قال للأب:" إذا كان هذا كل ما فى الأمر فأنا سوف ألقنه معنى الخوف! لا عليك إلا أن تبعثه إلىّ وسأجعله يخشوشن كما يجب أن تثقل الرجال!" راقت

فكرة الشماس للأب وأدرك أنه سيأخذه معه إلى بيته في الكنيسة ليتكفل بقرع أجراسها.

نوى الشماس تأديب الشاب واصطحبه معه وبعد أيام قليلة أيقظه في منتصف الليل وطلب منه أن يصعد برج الكنيسة ويضرب أجراسها، وقال الشماس يحدث نفسه:" والآن سوف تخبر ماهية الخوف!" وتسلل من خلف الشاب في عتمة الليل وعندما وصل الأبن إلى أعلى البرج وكاد يمسك بحبال النواقيس لمح هيئة إنسان بيضاء تستقيم واقفة فوق الدرج، أمام مكبر الصوت فصاح من مكانه:" من هناك؟" لكن الهيئة التي كانت متخفية في عباءة بيضاء لم تتحرك ولم يصدر عنها أي صوت. كرر الشاب:" أجب أو ارحل فليس لديك هنا ما تفعله في الليل!" وظل الشماس واقفًا دون حراك كي يوحي للشاب أنه عفريت أو شبح. صاح الشاب به مرة أخرى:" ماذا تبتغي هنا؟ إن كنت لا تضمر الشر فأجب وإلا رميتك من فوق السلم!" لم يجب الشماس بقي كالحجر الجامد لا حركة ولا كلمة واثقا من أن الأمر لن يتطور إلى هذا الحد. ونادى عليه الشاب للمرة الثالثة ، ولما لم تسفر هي الأخرى عن نتيجة تقدم صوب هيئة الإنسان البيضاء وارتطم بها فوقع الشبح من فوق عشرة درجات وسقط في إحدى زوايا السلم وظل راقدًا. عاد الشاب بعد ذلك إلى أجراس الكنيسة يقرعها ثم رجع لبيته ورقد في فراشه ينام دون أن يأتي على ذكر ما حدث بحرف واحد لأحد، وسرعان ما ساقه النعاس إلى نوع عميق.



في هذه الأثناء كانت زوجة الشماس قد انتظرت عودته فترة طويلة وتملكها قلق فذهبت للشاب تسأله قائلة:" ألا تدرى أين زوجى؟ لقد استبقك فى الصعود إلى برج الكنيسة." أجابها الشاب:" كلا! ولكن شخصًا ما كان يقف أمام مكبر الصوت على الدرج ، ولم يشأ أن يحدثنى بشىء أو ينصرف فاعتقدت أنه وغد من الأوغاد ، وقذفت به من فوق السلم. اذهبى وسترين، وإذا كان هو زوجك فإننى آسف حقًا عما وقع." قفزت المرأة من خوفها تركض ووجدت زوجها ملقى يئن فى ركن فوق الدرج لا يستطيع النهوض بساقه المكسورة. سندته وصعدت به ثم

هرولت إلى الأب تشكى له الابن قائلة:" القِ ابنك بزوجى من فوق الدرج وكسر له ساقه فاخرج هذا الفاشل من بيتنا!" أسرع الأب لابنه فى ذهول يزجره ويقول:" الشيطان وحده هو الذى دفعك للقيام بهذه الفعلة الشنعاء، كيف تضرب الشماس بهذه القسوة؟!" أجاب الابن:" مهلا يا أبى، اسمعنى! لم أرتكب أى ذنب، كان الشماس يقف فى الظلام كمن أتى يضمر شرا، ولم يشأ أن يتحرك أو يتكلم وقد أنذرته ثلاث مرات أن يفصح عن ذاته أو ينصرف فلم يفعل ولم أكن ادرى من هو." قال الأب:" لم أعش معك سوى الهوان، اختف من أمام عينى لا أود رؤيتك بعد الآن!" رد الابن:" حسنًا يا أبتاه سأطيعك فيما تبتغيه، ولكن انتظر حتى يحل اليوم الذى ارتحل فيه لأتعلم الخوف، وحينها سأتمكن من فن يكفل لى قوتى." قال الأب:" تعلم ما تريد، الأمر أصبح عندى سيان، هاك خمسين قطعة نقدية خذها وارحل إلى العالم الفسيح ولا تقل لأحد من أنت ومن أبيك كى لا تجلب لى العار!" أطاعه الابن قائلا:" حسنا يا أبى كما تشاء، سأجل رغبتك وتنفيذها أمر هين!"

عندما أصبحت الدنيا نهض الأبن الأصغر ودس فى جيبه النقود وخرج إلى الشارع العريض وهو يردد لنفسه قائلاً:" آه لو أننى فقط استطعت الخوف!" ومر به رجل سمع ما قال، وعندما تقدما فى السير حتى أصبحت مشانق البلدة على مرمى البصر، قال له الغريب:" أترى الشجرة هنالك؟ لقد أوقف سبعة رجال فى الاحتفال بعرس ابنة صانع الحبال ليتعلموا الطيران، اجلس تحت تلك الشجرة وانتظر هبوط الليل، سوف تتعلم هناك الخوف!" أجاب الشاب:" لو أن الأمر بهذه السهولة

لأدركته بسرعة وحينئذ أعطيك خمسين قطعة نقدية إذا أتيت إلى فى الصباح." وبلغ الشاب المكان حيث نصبت مشانق الإعدام وجلس تحتها ينتظر الظلام، وأضرم نارًا حينما استشعر برودة فى الغابة مع عصف رياح شديدة عند منتصف الليل جعلت المعلقين فى المشانق يتخبطون هنا وهناك حينًا وفى بعضهم البعض حينا آخر. تطلع الشاب إلى هذا المشهد وفكر كيف يرتجف وهو قرب النار وشق عليه حال أولئك فى الهواء فركن سلمًا إلى المنصة وفك وثاقهم وانزلهم السبعة ثم اجلسهم حول النار يتدفئون. وشبطت النار فى أطراف ثيابهم الرثة فقال لهم:"انتبهوا وإلا علقتكم مرة أخرى حيثما كنتم." لكن الموتى لا يسمعون وزحفت النار تلتهم ما تبقى من ثياب مهلهلة فغضب الشاب وقال لهم:"إنكم لا تتوخون الحذر وليس بوسعى فعل المزيد لكم ولا أود أن احترق معكم." ثم راح يعيدهم فوق المشانق جثة تلو الأخرى. وعاد يجلس بجوار النار وأخذته غفوة ونام. فى الصباح أتى الرجل الغريب ليأخذ الخمسين قطعة نقدية وسأله:" همم .. هل عرفت معنى الخوف؟" أجابه الشاب:" كلا! ومن أين لى بالمعرفة؟ هؤلاء الرجال لم ينبسوا ببنت شفه وبلغ غباءهم حد انهم تركوا ثيابهم المهلهلة تحترق." أدرك الغريب أنه لن يحصل منه على المال أبدًا، وانصرف وهو يحدث نفسه متعجبًا ويقول :" فى عمرى لم أر هذا الطراز من البشر!"

ارتحل الشاب إلى العالم البعيد، من بلد إلى بلد ومن مكان إلى آخر وكان يحدث نفسه دومًا:" آه لو اننى فقط استطعت الخوف! آه لو أننى أخاف!" وسمعه مرشد للطريق فسار من خلفه حتى لحق به

وسأله:"من أنت؟" أجابه:" لا أعرف!" واصل المرشد اللحاق به وألقى عليه سؤالا ثانيا:" من أين جئت؟" قال الشاب:" لا أعرف!" أضاف المرشد:"من والدك؟" أجابه:" لا أستطيع اخبارك." فقال المرشد:" قل لى إذن بم تغمغم متذمرا حانى الرأس؟" فرد الشاب:" ابتغيت أن أشعر بالخوف، غير أن أحداً لا يخبرنى كيف؟" قال المرشد:" عليك من هذا الهذيان وتعال معى وسأقوم أنا بما يكفل لك هذا!" وسارا معا، وفى المساء وصلا مطعم فندق وأرادا المبيت. وكان صوت الشاب وهو يخطو عتبة المطعم مرتفعًا يقول:" لو اننى اشعر بالخوف! لو اننى اشعر بالخوف!" وسمعه صاحب المطعم فضحك قائلاً:" إذا كانت بك رغبة فى ذلك فستجد هنا الفرصة الحقيقية التى كبدت كثيرين مرحين مثلك حياتهم، لكن من المؤسف حقًا ألا ترى عيناك هاتان الجميلتان إشراقة النهار مرة اخرى عندما تصبح الدنيا." قال الشاب:" إننى وراء هذا الهدف ارتحل إلى بلاد الدنيا وابتغى تعلم الخوف حتى لو كان بلوغه بتلك المشقة التى تحدثنى عنها." وظل الشاب يلح على المضيف إلى أن قص عليه حكاية القصر الملعون الواقع على مقربة والكنوز المخبأة به وتحرسها الأرواح الشريرة، وأن المرء يستطيع أن يعرف الخوف ويدرك ماهيته عن حق إذا أمضى ثلاث ليال بداخله يقظًا لا ينام. وإذا نجح أحد فى ذلك سوف تحرر تلك الكنوز وتسقط اللعنة عن القصر، لذلك وعد الملك من ينجح فى هذه المهمة بزواج ابنته أميرة البلاد ، وأجمل عذراء أنارت الشمس فوق وجهها، غير أن كل من تجرأ ودخله لم يخرج منه أبدًا.



فى صـبـاح اليـوم التـالى ذهب الشـاب إلى الملك ، وطلب منه السماح له بالبقاء فى القصر الملعون ثلاث ليال يقظ لا ينام! تأمله الملك وراق له الشاب فقال:" نعم .. أسمح لك، اطلب إذن ثلاثة أشياء تحملها معك لمهمتك الصعبة، على أن تكون خالية من الروح والحياة!" قال الشاب:"أريد ناراً ودكة متحركة ومنضدة تقطيع مع سكينها المسنون."

أمر الملك بحمل طلبات الشاب إلى القصر في النهار. وعندما همت السماء تمسى دخل الشاب إلى القصر وأضرم ناراً حامية فى إحدى قاعات القصر ووضع منضدة التقطيع وفوقها السكين قرب النار وجلس فوق الدكة المتحركة وقال يحدث نفسه:" آه .. لو اننى اشعر بالخوف، لكننى على ما يبدو لن اتعلمه هنا أيضا!" ومر الوقت وفى منتصف الليل أراد الشاب أن يؤجج ألسنة النار فراح يحرك الهواء بالمنفاخ قبالتها وفى هذه اللحظة تناهت إلى سمعه فجأة صرخة آتية من زاوية الحجرة: مياو .. نحن نرتجف من البرد. صاح الشاب قائلاً:" يا لكم من مهاويس! لماذا تصرخون؟ إذا كنتم تشعرون بالبرد فلتأتوا وتتدفئوا بالنار!" وثبت على الفور قطتان جسيمتان سواداوان في قفزات عنيفة إلى قرب النار وجلستا، واحدة على يمينه والأخرى على يساره وتطلعتا إليه بعيون متقدة توحش وافتراس. وبعد أن تدفأتا قالتا:" نود أن نلعب معك الكوتشينة يا زميلنا!" أجاب الشاب:" ولم لا، ولكن فى البداية أريد أن أرى كفوفكم!" مدت القطتان كفوفهما فقال:" انتظرا، إن مخالبكما طويلة، على اولا أن اقلمها لكم." وسحبهما من اعناقهما ورفعهما فوق المنضدة وثبت كفوفهما قائلاً:" رأيتكما وتأملت مخالبكما بدقة فانحرف مزاجى ، ولم يعد لى رغبة فى لعب الورق." ثم راح يضربهما حتى ماتا وألقى بهما إلى الماء. وبعد أن قضى عليهما عاد ليجلس هادئا قرب النار. وفى هذه اللحظة انطلق من كل حدب وصوب قطط وكلاب فى سلسلة لا تنقطع وراح عددهم يتزايد دون نهاية، وسقط هو بينهم ، ولم

يتمكن من انتشال نفسه. كانت جيوش القطط والكلاب تصرخ في مواء وعواء مفزعًا وهاجموا ألسنة النيران المتقدة ونثروا شعلاتها في الأرجاء جاهدين في اخمادها. ظل الشاب يراقب ما يحدث بثبات وهدوء، وعندما بلغ حنقه أشده أمسك بالسكين المسنون وصاح بهم قائلا:" انسحبي من هنا أيتها الحثالة!" وهوى بالسكين فوقهم فراحت اجزاء منهم تتطاير تحت ضربات السكين والاجزاء الأخرى من أبدانهم تتلوى من الأوجاع حتى نفقت. ألقى بهم الشاب في بركة الماء وعاد يؤجج لهب النار مرة أخرى وشعر بالنعاس وود أن ينام فنظر من حوله ووجد سريرا كبيرا في ركن من أركان القاعة فقال يحدث نفسه:" هو المراد من رب العباد" ورقد في الفراش وكاد يغفو إلا أن السرير بدأ يتحرك وإذا بالحركة تنقلب سيرًا يمضي به في كل أنحاء القصر الملعون، فصاح الشاب:" إليّ بالمزيد! هلم بالمزيد!" أسرع السرير به حتى كاد يحلق وكأن ست فرسات سرجوا في مقدمته واندفعوا به يعدون عبر العتبات والدرجات والسلمات والقاعات، صعودًا وهبوطًا، في طوابق القصر العليا والسفلى بجميع الأمكنة. وفجأة انقلب السرير وأصبح عاليه أسفل، وتحته فوق وتكومت مكوناته فوق الشاب مثل التل. شد هو الوسادة بمشقة ثم الغطاء وانتشل نفسه من هذا المعمعان قائلا:" فليركض به أحد غيري لقد اكتفيت بهذا القدر!" ورقد قرب النار وغط في نوم عميق حتى أصبحت الدنيا وحلّ النهار.



أتى الملك فى الصباح ولما عثر عليه فوق الأرض ظن أن العفاريت والأرواح الشريرة قتلته وتأسف على الشاب الجميل الذى لقى حتفه فسمعه الشاب وجلس معتدلاً يقول:" يا مولاى الملك لم يبلغ الأمر بعد هذا الحد." ابتهج الملك متعجبا وسأله كيف سارت به الأمور؟ أجاب الشاب:" على أفضل ما يكون. ليلة ومضت وسوف تنقضى الليلتان الأخريان أيضًا." وفى المطعم قال له المضيف:" أحقًا أراك حيًا؟! هل علمت إذن ما هو الخوف؟" أجابه الشاب:" لا .. لم أتعلمه بعد وذهب كل شىء سدى، فهل منكم من يخبرنى ما هو الخوف؟!"

فى اليوم الثانى كان الشاب قد ذهب مرات عديدة إلى القصر أثناء النهار، وفى المساء جلس قرب النار وراح يعزف معزوفته القديمة ويردد:" لو أننى شعرت بالخوف! لو أننى علمت ما هو الخوف!" وظل على هذا الحال حتى انتصف الليل وسمع ضجيجًا يأتيه من بعيد، خافتًا فى البداية صاخبًا فى النهاية ، ثم عم المكان سكون للحظات قصار، وفجأة وعى سمعه صرخة مكتومة سقط إثرها نصف إنسان من مجرى المدفأة ووقف أمامه يجأر ويصيح قائلاً:" أنا لست كاملاً، ينقصنى النصف الآخر." وسمع الشاب ضجيجًا مرة اخرى وعاد الكائن الغريب يجأر ويصيح ثم هوى نصفه الآخر من نفس المكان ، وقال:" أود أن أسعر لك النار قليلا." وبينما هو يهيج ألسنة النار كان نصفاه قد التصقا وجلس فوق الدكة أمام الشاب رجل بشع الملامح. بادره الشاب قائلاً:" أنتراهن؟ الدكة لى!" وأزاحه بعنف وجلس، وبدلاً من أن يسقط هو هوى رجال كثيرون فوق أرض القاعة واحد تلو الآخر ومعهم تسعة أموات

وجمجمتان وراحوا يلعبون بهم لعبة لأوتاد. وأحب الشاب أن يشاركهم اللعب فسألهم:" هل أستطيع اللعب معكم؟" فأجابوا:" نعم! لو بحوزتك مال." قال الشاب:" المال وفير، ولكن كرات اللعب ليست بالاستدارة المطلوبة." ثم تناول الجمجمتين ووضعهما فوق الدكة المتحركة وأدارها بقوة حتى لفت بسرعة ، وقال:" الآن سوف تتدحرج بسهولة وتصبح اللعبة بها أكثر مرحًا." لعب الشاب وخسر جزءًا من ماله ، واستمر الحال على ما هو عليه. وفي اللحظة التي انتصف الليل بها اختفى كل شئ من أمام عينيه فجأة، فرقد هو لينام. وجاء الملك في الصباح إلى القصر الملعون وسأله:" كيف كان حال في الليلة الثانية؟" وأجابه الشاب:" لعبنا الكرة بالجماجم وخسرت جزءا من مالي." فاستفسر الملك:"ألم تخف؟!" قال الشاب:" كنا نمرح فلم أشعر بالخوف." وحان وقت الليلة الثالثة.



والثـالثـة هى من المرات
فـيـهـا ضـرات أو مسـرات
فـإمـا الحـيـاة وإمـا الممـات
السـحـر ولى والفـرح آت

ذهب الشاب للقصر فى الليلة الثالثة وجلس فوق أريكته المتحركة منغص مكدر يحدث نفسه قائلاً:" لو أننى أشعر بالخوف!" وفى منتصف الليل ظهر له ثلاثة رجال يحملون نعشًا، قال لهم الشاب:" إنه بالتأكيد ابن عمى الذى توفى أول البارحة." ثم أشر لهم بإصبعه واضاف قائلا:" تعال يا ابن عمى تعال!" وضع الرجال النعش فوق الارض، ورفع هو الغطاء الخشبى وحسس بكفه فوق جبين الميت فوجده باردا كالثلج فقال يحدثه:" انتظر سوف ادفئك قليلا!" ثم حمى يداه فوق ألسنة النار وراح يفرك بهما وجه الميت الذى ظل باردًا كالثلج. فقرر الشاب ان يخرجه من النعش، وأجلسه فى حجره قرب النار ودعك له يداه كى تجرى بهما الدماء، لكن الميت ظل باردًا كالثلج. ففكر الشاب أن يرقد جواره فى الفراش يدفئان بعضهما البعض وجره إلى السرير ووضعه ودثره بالغطاء ومدد جواره. وبعد لحظات سريعة بدأت الجثة تتحرك، عندئذ قال الشاب:" أترى يا ابن عمى، لم يكن هذا ليحدث لو أنى لم أدفئك!" نهض الميت من رقاده وصاح:"والآن سوف أخنقك!"رد الشاب عليه:"أهكذا ترد الجميل؟! عد إذن إلى نعشك فورًا!" ثم حمله للنعش وسجاه وأغلق الغطاء الخشبى من فوقه. ظهر إثر ذلك ستة رجال فى الغرفة،

حملوا النعش في صمت وانصرفوا به، بينما كان هو يحدث نفسه قائلا:" لن اتعلم الخوف بأي حال ولو امضيت عمري كله هنا."

في هذه الأثناء دخل القاعة كهل جسيم أضخم كثيراً من سابقيه، دميم الهيئة مفزع القسمات، تكسو ذقنه لحية بيضاء طويلة الخصلات، صاح في الشاب يقول:" آه منك أيها الدنيء ، عندما تلقى حتفك على يدي ستعرف ما هو الخوف." أجاب الشاب:" مهلا .. مهلا، إذا كان لا مفر من الموت فعليّ مواجهته." قال المارد العجوز:" سوف أسحلك سحلاً." رد الشاب:" رفقًا .. رفقًا، لا تستعرض قوتك على هذا النحو، أنا الآخر عتي وربما أعتى منك." قال المارد العجوز:" سنرى وإن كنت حقا أصلب مني فسوف اتركك تذهب لحالك، تعال إذن!" وساقه المارد العجوز إلى ممر مظلم تضيئ فيه نار حدادة. تناول المارد بلطة وهوى بها فوق السندان، فسقط السندان مهشما فوق الأرض. قال الشاب:" في وسعي القيام بما فعلت." وذهب للسندان الاخر ووقف المارد العجوز جواره ليشاهد عن كثب، فلكمه الشاب وأمسك بخصلات لحيته الطويلة المسترسلة وشق السندان بضربة بلطة وحشر شعر لحيته مع البلطة في الشق ثم قال له:" اوقعت بك وستلقى أنت حتفك على يدي." وتناول الشاب قضيبًا من حديد وأوسع المارد العجوز ضربًا حتى خارت قواه وتضرع إليه يرجوه أن يكف عن الضرب وعرض عليه ثروة كبيرة. سحب الشاب البلطة من الشق فانسلتت لحية المارد وانفك قيده.

عاد المارد العجوز بالشاب من الممر المظلم إلى القصر وقاده إلى غرفة في البدروم بها ثلاثة كنوز مخبأة تطفح بالذهب وقال للشاب

"الثلث منها لملك البلاد، والثلث للفقراء ، والثلث الأخير لك!" وفى هذه اللحظة دقت الساعة الثانية عشر واعلنت انتصاف الليل واختفى عفريت المارد العجوز من أمام عينى الشاب فجأة وظل هو واقفا وحيدا فى الظلام لا يدرى ماذا يفعل، فقال يحدث نفسه:" سأتلمس طريقى فى العتمة وانتشل نفسى من الشدة وأصل إلى القاعة." ووجد الشاب الطرقة التى قادته إلى غرفته ورقد بجوار النار ونام.

أصبحت الدنيا وأتى الملك للمرة الثالثة إلى القصر الملعون وسأل الشاب :" هل تعلمت الآن معنى الخوف؟" فأجابه:" كلا لم أتعلمه! ما هو الخوف يا مولاى الملك؟ ما حدث أن ابن عمى المتوفى حضر بالأمس، ثم جاء رجل عملاق بلحية بيضاء وكشف لى عن مكان ثروة ضخمة، لكن الخوف لم يأت ولم أعرفه، فما هو؟ لم يقل لى أحد شيئًا عنه، ولا أخبرنى احد بكنيته." قال الملك:" لقد حررت القصر من اللعنة وعثرت على مكان الكنوز ، وسوف تتزوج من ابنتى."

أمر الملك بإخراج الذهب واحتفلت المملكة بعرس الأميرة والشاب الذى- رغم حبه العظيم لزوجته أميرة البلاد، وكذلك رغم الثروة الوفيرة والخير الفياض - كان لايزال يردد:" ما هو الخوف؟ آه لو أننى شعرت به! أو عرفت ماهيته!" وقد ضجرت زوجته بذلك ونفد صبرها فى النهاية واشتكت حالها لخادمتها التى قالت لها:" سوف أعينه أنا يا سيدتى الأميرة على تعلم الخوف." وفى المساء والملك الشاب يغط فى نوم عميق ذهبت الخادمة إلى نهير بحديقة القصر وملأت من سمكه الصغير سطلاً وصلت به إلى غرفة الملك الشاب وسحبت من فوقه الغطاء وصبت

السطل بالمسكات فوقه. راح السمك يتلعبط ويقفز عليه ومن حوله فأفاق يصرخ فى فزع:" ويلى! إننى خائف! يا زوجتى الحبيبة! إننى خائف!" .

هكذا عرف الشاب الذى ارتحل لتعلم الخوف، معناه أخيرًا، وأدرك ماهيته، وعلم بكنيته.

* * *

كان يا ما كان حدوتة زمـــان

حكاية يرويــها الدهـر والمكـان

وأخرى يطويها العمر والنسيان

وهــذه يحكيها جريم الأخوان

لك هنا والآن:



طفلة مريم



كـــان يا مـــا كـــان
فـــى بـــلاد الألمـــان
فى قـــديم الزمـــان:

امتدت غابة واسعة رحيبة إمام دار رجل يعمل بقطع الأخشاب لديه زوجة وابنة واحدة عمرها ثلاثة أعوام. وكانت الأسرة الصغيرة تعيش فى ضنك واحتياج وقد بلغ الفقر بها أن الوالدين لم يكن لديهما قوت يومهما ولا حتى كسرة خبز يطعمان بها الفتاة. وذات يوم من الأيام ذهب الرجل إلى الغابة ليقطع الأخشاب وقد تملكه قلق عظيم وإذا

بامرأة تظهر فجأة أمامه فى ضخامة وبهاء وفوق رأسها تاج من النجوم تتوهج تلألؤا، وتقول له:" أنا العذراء مريم أم المسيح، وددت أن آخذ ابنتك معى واكون لها أمًا ترعاها فإلىّ بها لأنك معوز فقير!" أطاع قطّاع الخشب العذراء مريم واحضر لها ابنته فارتفعت بها إلى السماء.

هنأت الطفلة فى السماء وسعدت وكانت تأكل خبزًا مسكرًا وتشرب حليبًا حلوًا وتلعب مع الملائكة الصغار. ومضت الأيام وانقضت السنون فى روعة وجمال حتى بلغت الفتاة أربعة عشر ربيعا، فصاحت بها العذراء مريم ذات يوم تناديها وقالت لها:" يا طفلتى الحبيبة سأغيب عنك فى رحلة بعيدة وإليك مفاتيح السماء الثلاثة عشر، احفظيها لديك، إنها تفرج ثلاث عشرة مملكة من مملكات السماء. اثنتا عشرة مملكة منها يمكنك فتحها لتشاهدى كل الروعة والعظمة بداخلها، تتأمليها وتسعدى بها، أما المملكة الثالثة عشرة فممنوع عليك رؤيتها، ومفتاحها هذا الصغير، احذرى أن تفتحيها أو تدخليها! وإذا فعلت ستجلب لك هذه الفعلة النحس وسوء الحظ!" وعدت الفتاة العذراء مريم بطاعة أمرها. وذهبت العذراء مريم فى رحلتها.

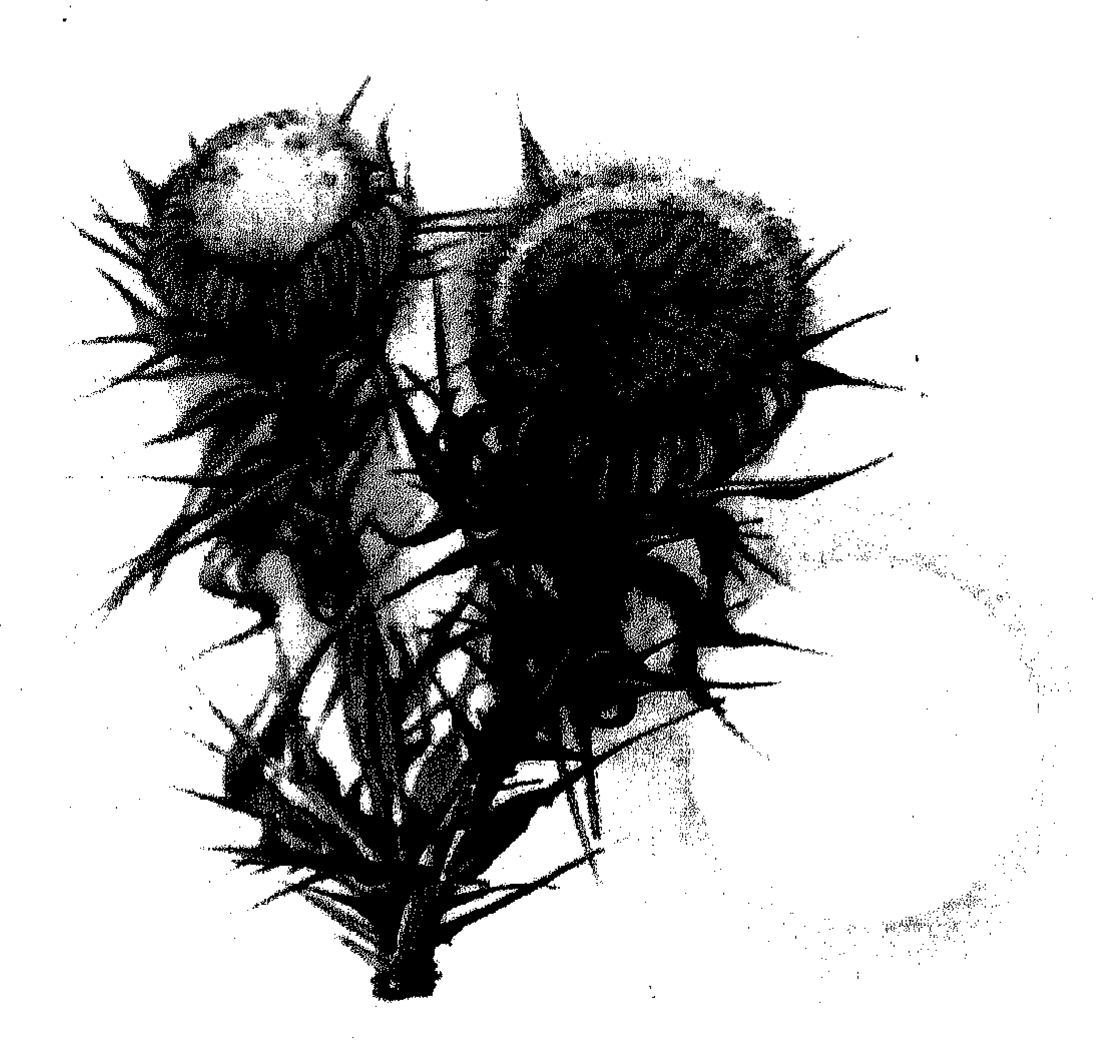
بدأت الفتاة تشاهد مملكات السماء، وتفتح كل يوم بابًا من الأبواب فترى فى كل منها رسولاً من الرسل جالسا فى قلب نور شاهق يرسل بريقًا وسطوعًا وجمالاً، وكانت تشعر بفرحة عارمة وسعادة غامرة بهذا المشهد الرائع الخلاّب، والملائكة الصغار فى صحبتها يبتهجون معها. فتحت الفتاة كل الأبواب، ولم يتبق سوى الباب الثالث عشر، وامامه شعرت برغبة جامحة فى رؤية ما خلفه

والاطلاع على ما يحجب عنها، فقالت للملائكة الصغار:" لن أفرج هذا الباب، ولن أدخل هذه المملكة، وسأكتفى بفتحه شقًا صغيراً أطل منه." أجابتها الملائكة:" كلا! لا تفعلين ما حرمته عليك العذراء مريم، فيجلب لك النحس وسوء الحظ!" لزمت الفتاة الصمت، لكنها لم تستطع بحال أن تلْزمْ قلبها بالهدوء والسكينة، وتملكها فضول راح يوخزها وينخر فى روحها بعنف حتى بدد راحتها وذهب بسلامها. وفى مرة من المرات كانت الملائكة الصغار قد انفضت من حولها ووجدت الفتاة نفسها وحيدة فقالت تحدث نفسها:" أصبحت وحدى ويمكننى رؤية المملكة الثالثة عشرة ولن يعلم أحد شيئًا." اخرجت المفتاح وامسكت به ووضعته فى ثقب الباب وإدارته فانفرجت ضلفتيه فجأة من امامها ، ورأت الفتاة الثالوث ومن حوله نار طاهرة تسطع بريقا وتوهجا. ظلت الفتاة واقفة لحظة من الزمن تراقب وتتأمل بدهشة ما ترى عيناها، ثم اقتربت وبلمسة هينة مرت بإصبعها قليلا فوق بريق ألسنة النار وإذا بالإصبع فى التو ذهب يتلألأ. ذعرت الفتاة وركضت صوب الباب واوصدته خلفها بعنف ومضت. حاولت الفتاة أن تستكين وتهدأ لكن قلبها ظل فى سرعة يضرب أضلعها وبقسوة يرجف صدرها آبيا أن يستقر وينفض عنها الرعب والذهول. وظل إصبعها ذهبًا برّاقًا، حكته فى اضطراب وغسلته، ثم فركته ودعكته غير أن الذهب لم يزل وبقي سطوعه لم يخب.

عادت العذراء مريم من رحلتها البعيدة وصاحت تنادى الفتاة وتطلب منها مفاتيح السماء. ناولتها الصبية حلقة المفاتيح ، وفى هذه الأثناء كانت العذراء مريم قد أراحت كفها فوق صدر الفتاة ونظرت فى

عينيها قائلة:" ألم تفتحى المملكة الثالثة عشرة؟" فأجابتها:" كلا!" لكن العذراء مريم شعرت وأدركت أنها خالفت أمرها واحست بقلبها تحت راحتها يدق بعنف فسألتها مرة ثانية:" حقا! ألم تفعلين؟" قالت الفتاة للمرة الثانية:" كلا!" عندئذ لمحت العذراء مريم الإصبع الذى صار ذهبا من نار السماء الطاهرة وأيقنت ان الفتاة ارتكبت إثماً وكررت سؤالها للمرة الثالثة:" ألم تفعلي؟" أجابت:"كلا !" أضافت العذراء مريم:" إنك لا تستحقين حياة السماء، لأنك لم تطيعى أمرى وفوق ذلك تكذبين." فى هذه اللحظة غرقت الفتاة فى نوم سحيق وعندما أفاقت وجدت نفسها ترقد فوق أرض مقفرة وقد هبطت من السماء. أرادت أن تصرخ وتستغيث لكن صوتها ظل حبيس حلقها ، ولم تستطع إخراج كلمة واحدة من فيها أو تصدر أى حس من جوفها! قفزت تسير فوجدت أينما التفتت النباتات والأعشاب الشائكة وقد ضربت من حولها سياجا عاليا محكم النسيج يصدها عن السير، أخفقت فى اختراقه. عادت إلى حيث أفاقت ووجدت شجرة جوفاء باسقة أصبحت ملاذاً لها وبيتها. كانت تتسلل داخلها عندما تمسى الدنيا، تنام فيها، تستتر بها من الأمطار، وتحتمى فيها من العواصف، كذا باتت حياتها جحيماً وأيامها عذابات، وكانت تبكى بكاءً مريراً عندما تتذكر هناءة العيش فى السماء واللعب مع الملائكة الصغار والمرح فى كياسة وارتياح. وكانت بذور النباتات وحب الفراولة البرية غذاؤها الوحيد الذى تجمّعه بمشقة وعناء فى كل الأنحاء التى تستطيع الوصول إليها داخل سياج الأشواك. وفى الخريف تأخذ فى تخزين العشب وأوراق النباتات تفترشها فى جوف الشجرة

عندما تهبط الثلوج ويجمد الصقيع الأرض كى تتدفأ فوقها، وتجمع البندق المتاسقط من قمم الأشجار تقتات به حتى يحل الربيع. وتمزقت ثيابها بعد فترة وجيزة وتهاوت من فوق بدنها قطعة فأخرى. وفى الربيع كانت الفتاة تجلس أمام الشجرة فى الشمس تحت خصلات شعرها الذى استرسل وطال حتى وصل قدميها وصار كالمعطف يكسو جسدها من كل جانب. ويوم بعد يوم، وعام بعد عام استوحشت الفتاة حتى كادت تتوحش وشعرت ببؤس الحياة وسقم العيش وتعاسة الكون.



وفى وقت من أوقات الربيع والشجر أخضر ندى بديع خرج ملك البلاد للصيد فى الغابة، وراح يطارد غزالا شاردا زرق إلى الدغل الملتف حول الفتاة، وأراد الملك تتبعه فاستل سيفه وترجل من فوق فرسه وأخذ يمزق الأشواك ويسقط أفرع النباتات والأشجار ويفرقها حتى فتح ثغرة ومزق منها إلى طريق صاعد. هناك قرب شجرة رأى فتاة جالسة بديعة الحسن والجمال وكانت خصلات شعرها الذهبى تكسوها حتى أصابع قدميها. وقف الملك لحظات يتأملها فى صمت ثم حدثها قائلاً:"من أنت؟ ولماذا تجلسين هنا فى هذه الأرض المقفرة؟" لم تجب الفتاة لأنها لم تستطع الحديث أو حتى فتح فمها. أضاف الملك:" أتودين الرحيل معى إلى قصرى؟" طأطأت برأسها، فحملها الملك فوق ذراعيه ووصل إلى فرسه ورفعها فوق ظهره. وفى القصر أمر الملك لها بالملبس والمأكل بفيض وترف، ورغم أنها كانت خرساء فإنها كانت خلابة ساحرة فأحبها الملك حباً عظيماً ، ولم يمر وقت طويل حتى تزوجا.

مر عام ووضعت الملكة طفلا، وفى ليل ذات اليوم والملكة وحدها ترقد فى الفراش ظهرت لها العذراء مريم وقالت لها:" ألا تريدين قول الحقيقة؟ إذا اعترفت فسوف أطلق لسانك وإذا نفيت أنك فتحت الباب المحظور وظللت لائذة بالصمت بصلف وعناد فسوف أخذ طفلك معى وأبقيك خرساء!" كان على الملكة أن تجيب لكنها لم تستجب ، وقالت:" لا .. لم أفتح الباب المحظور!" أخذت العذراء مريم الوليد من بين زراعى الملكة واختفت به. وفى الصباح عندما شاع نبأ اختفاء الطفل انتشرت

بين الناس همهمة حول أن الملكة تأكل لحوم البشر وأنها قتلت طفلها، وسمعت هي ما قيل، غير أنها لم تتمكن من الحديث والدفاع عن نفسها، أما الملك فلم يصدق شيئًا مما سمع لأنه كان يعشقها عشقًا كبيرًا.

ومر عام ووضعت الملكة طفلا آخر. وفي ليل ذات اليوم دخلت العذراء مريم عليها مرة ثانية وقالت لها:" إذا اعترفت بذنبك سوف أرد لك طفلك وأطلق لسانك، وإذا بقيت بغطرسة تنكرين فسوف آخذ طفلك الثاني وأبقيك خرساء!" قالت الملكة: "لا .. لم أفتح الباب المحظور!" سحبت العذراء مريم الوليد من بين ذراعيها وارتفعت به إلى السماء. وعندما أصبحت الدنيا صارت همهمة الناس أصواتًا عالية عندما ذاع نبأ اختفاء الطفل الثاني وقيل إن الملكة ابتلعت وليدها وطالبوا باجتماع مستشاري الملك ومحاكمتها. غير أن الملك الذي كان يحبها حبًا كبيرًا أمر مستشاريه ألا يتجرأون بالحديث عن عقاب السجن مدى الحياة أو الحكم بالإعدام على الملكة.

ثم وضعت الملكة في العام الثالث بنتًا جميلة وظهرت لها العذراء مريم للمرة الثالثة في ليل ذات اليوم وقالت لها:" اتبعيني!" وسحبتها من يدها ومضت بها إلى السماء. وفي مملكة السماء رأت الملكة الولدين يلعبان بكرة العالم ونظرا إليها وهما يبتسمان. ابتهجت الملكة ودبت السعادة في مهجتها، عندئذ قالت لها العذراء مريم:" ألم يرق قلبك؟ إذا اعترفت بذنبك سوف أرد لك طفليك وأطلق لسانك!" غير أن الملكة أجابت

للمرة الثالثة قائلة:" لا .. لم أفتح الباب المحظور!" هبطت الملكة والعذراء مريم فوق الأرض وأخذت منها ابنتها الوليدة للمرة الثالثة. وفى صباح اليوم التالى شاع النبأ وقيل أن الملكة آكلة لحوم البشر ولابد من محاكمتها. وأخفق الملك فى هذه المرة عن منع مستشاريه من محاكمتها، وعجزت هى عن رد التهمة والدفاع عن نفسها. هكذا حكم عليها بالموت حرقًا فوق كومة من الحطب والأخشاب وقيدت فى عمود خشبى واشتعلت ألسنة النيران فى دائرة من حولها، وأذابت جليد غطرسة روحها وتكبرها، وشعرت بندم يعتصرها وفكرت:" هل مازال لدى وقت قبل موتى لأعترف أننى فتحت الباب المحظور؟!" فى هذه اللحظة استعادت الملكة صوتها وصاحت بحس عال تقول:" نعم يا مريم، إننى أعترف."

أمطرت السماء على الفور وأخمدت قطراته النيران المستعرة ومن فوق الملكة سقط نور وهبطت العذراء مريم ومعها الولدان من ناحية والبنت فوق ذراعها من الناحية الأخرى ، وقالت لها بود وعطف:" من يندم ويعترف، يزول إثمه ويمحى ذنبه!" وأطلقت العذراء مريم لسانها وأعادت لها أطفالها ومنحتها الهناءة والحظ السعيد طيلة العمر المديد.

* * *

كان يا ما كان حدوتة زمان

حكاية يرويها الدهر والمكان

وأخرى يطويها العمر والنسيان

وهـذه يحكيها جريم الأخـوان

لك هـنا والآن:



الصفقة الرابحة

كـان يا مـا كـان
فـي بـلاد الألمـان
فـلاح مـن الأقنـان
الحظ دومـا لآن
والفطنـة لكـل آن

في سالف العصر والزمان ذهب فلاح في يوم من الأيام إلى السوق مع بقرته وباعها لقاء سبعة تالر[١] وعاد لداره. وكان طريقه يمر بنهير، هناك تناهى إلى سمع الفلاح من بعيد أصوات الضفادع: قاق .. قاق .. قاق. قال الرجل: ماذا؟! تماق؟! أتقصدون ثمان؟ لا ليس ثمان، بل بعتها بسبعة تالر فقط. واقترب الفلاح من ماء النهير وصاح بالضفادع يقول:" أيتها الحيوانات البليدة، هل تعرفون ذلك أفضل مني؟ سبع وليس ثمان قطع نقدية!" غير أن الضفادع لم تأبه له واستمرت تنقنق: قاق .. قاق .. قاق. فرد الفلاح عليهم:" حسنا! أنتم لا تصدقونني، سوف أعدها إذن أمامكم." ثم أخرج النقود من جيب سرواله وأخذ يحسبها لهم قائلاً:" كل أربعة وعشرين جروشن تساوى تالر." غير أن الضفادع لم تتراجع عن موقفها ونقنقت: قاق .. قاق ..

---

(١) "تالر": عملة قديمة.

قاق. جأر الفلاح بغضب شديد قائلاً:" هل تعرفون ذلك أفضل منى؟ عدوها أنتم إذن!" ثم قذف لهم بكل النقود فى الماء ووقف يتنظر أن يفرغوا من الإحصاء ويبلغوه بالرقم الصح، لكن الضفادع أصرت على حسبتها ونقنقت: قاق .. قاق .. قاق، ولم ترد له المال! ظل الفلاح منتظراً وقتًا طويلاً حتى هبط الظلام وتوجب عليه العودة لداره فراح يسب الضفادع وصاح بهم قائلا:" أنتم يا ذووى الرؤوس اللزجة والأقدام المفلطحة والعيون الجاحظة! هل تتصورون أننى سوف أنتظر هنا إلى ما لا نهاية حتى تنتهون من العد؟! تستطيعون الصراخ بأفواهكم الواسعة حتى تؤلم الإنسان أذناه منكم، لكنكم لا تجيدون العد!" وانصرف لبيته بينما كانت الضفادع لا تزال تنقنق من خلفه: قاق .. قاق .. قاق، فتكدر واغتاظ غيظًا كبيرًا.

وانقضى زمن واشترى الفلاح بقرة أخرى وقرر أن يبيعها لحماً بعد نحرها كى يصبح ربحه منها أوفر ويصير بقيمة بقرتين فضلاً عن فروة البقرة التى سيحتفظ بها لنفسه. حمل الفلاح اللحم وذهب لسوق المدينة وعند مدخلها كانت قطعان الكلاب فى انتظاره يتقدمها كلب سلوقى جسيم هاجم المخلاة وقفز على اللحم يشمشم وينبح: هاو .. هاو .. هاو. فقال له الفلاح:" ماذا تقول: هو .. هو .. هو، أتقصد اللحم وتبتغى قطعة منه؟ لا بأس ولكن بشرط أن أصل أنا بأمان!" لم يجب الكلب سوى بـ: هاو .. هاو .. هاو. رد الفلاح قائلا:" حسنًا! سأتركها لك إذا كنت تصر على ذلك، أنا أعرفك جيداً وأعرف الأسياد الذين تحرسهم، ولكننى أحذرك من التلاعب، يجب أن تصل الجزار كى

أحصل أنا على مالى خلال ثلاثة أيام." ثم حل الفلاح مخلاة اللحم وتركها امام الكلب وعاد طريقه إلى الدار. هجمت الكلاب تبح نباحا عاليا وتعوى عواء مرتفعا وسمعهم الفلاح فقال يحدث نفسه:" هم م م .. يريدون التهام اللحم كله لكن السلوقى سيأخذ جانبى فى المعركة."

مرت الأيام الثلاثة وتهيأ الفلاح لتحصيل المال وكان لذلك حسن المزاج وراضياً، لكن أحداً لم يأت إليه بالنقود ليسدد ثمن اللحم. وطال انتظار الفلاح ، وعندما نفد صبره ذهب للجزار يطالبه بالمال. اعتقد الجزار أن الفلاح يمازحه غير أن الفلاح صرخ بوجهه قائلاً:" اترك المزاح جانبًا! ألم يأت إليك منذ ثلاثة أيام كلب ضخم بكل لحم البقرة المذبوحة؟" اشتد حنق الجزار عندئذ وأمسك بعصا المكنسة وراح يركض وراء الفلاح ويوسعه ضربا حتى فر هاربًا وهو يقول له:" أنتظر! الكون مازال فيه إنصاف وعدالة!"



اتجه الفلاح إلى القصر يشتكي، فساقوه إلى الملك الذى كان جالساً فى هذه الاثناء مع ابنته وسأله عن شكواه، فقال:" يا مولاى الملك لقد خدعتنى الكلاب والضفادع وجردتنى من كل ما أملك، وسدد لى الجزار مالى بعصا المكنسة!" ثم راح الفلاح يقص على الملك كل الحكاية، وقد استمعت إليها الأميرة حتى النهاية وانفجرت فى ضحك مدوى. عندئذٍ قال له الملك:" ليس بوسعى إحقاقك فيما قلت، لكننى سوف أزوجك من ابنتى لأنها لم تضحك طيلة عمرها، ولقد وعدت من يفلح فى ذلك بالاقتران منها، ولك ان تحمد الله على حظك السعيد." قال الفلاح:" لكننى لا أريد ابنتك زوجة لى يا مولاى الملك، لدى واحدة فى البيت وهى أكثر بكثير مما أحتمل، عندما أعود لدارى أجدها تراقبنى من كل ركن وكأنها تقف لى فى كل زاوية من البيت فى نفس الوقت." غضب الملك وقال له:" حقًا إنك لجلف خشن!" أجابه الفلاح:" ماذا تنتظر يا مولاى الملك من الثور سوى قرونه!" تطلع الملك إلى هذا الفلاح وقال له:" سنمنحك إذن مكافأة أخرى، سنصرف لك خمسمائة كاملة، انصرف الان وتعال بعد ثلاثة أيام." خرج الفلاح وعند بوابة القصر أوقفه الحارس قائلا:" لقد أضحكت ابنة الملك وستكون مكافأتك كبيرة لا شك؟!" اجابه الفلاح:" نعم! اعتقد ذلك، سيدفعون لى خمسمائة." قال الحارس:" ما عساك ان تفعل بكل هذا المال؟ أعطنى منه صدقة!" قال الفلاح:" لا بأس، سوف أهبك منه مائتين، اذهب للملك بعد ثلاثة أيام وأبلغهم بذلك وخذ المال." وتصادف أن يهودياً كان واقفا بالقرب منهما فسار من خلف الفلاح وتتبعه وراح يجذبه من ثيابه حتى أوقفه وقال له:"

قل لى يا أخى هل أنت ملاك الحظ والرحمة أم أنك معجزة الإله؟! إننى أريد أن أفك لك الثلاثمائة تالر المتبقية إلى عملة صغيرة، فماذا ستفعل بالعملة الكبيرة؟" أجابه الفلاح:" أعطنى إذن الثلاثمائة تالر الفكة الان وخذ العملة الكبيرة من الملك بعد ثلاثة أيام!" ابتهج اليهودى بالربح الذى سيجنيه، وركض يحضر المال فى الحال، وأعطى الفلاح عملة قديمة، الثلاثة جروشات منها تساوى جروشين فقط من العملة الجديدة التى سيحصل عليها من الملك وربح بذلك ثلث المبلغ.

بعد مرور ثلاثة أيام ذهب الفلاح إلى القصر فأمر الملك أن يجردوه من ثيابه ويعدوه لينال الخمسمائة المقررة له. غير ان الفلاح أوقفهم قائلا:" الحق حق لا يمكن إنكاره، فلقد وعدت حارس القصر بمائتين منها وأخذت من اليهودى الثلاثمائة الأخرى فكة." وفى هذه الأثناء كان الحارس واليهودى قد وصلا القصر وحضرا أمام الملك يطالبان بحقوقهما التى حصلا عليها من الفلاح، فنال الحارس مائتين جلدة واليهودى ثلاثمائة. وبينما تحمل الحارس السوط فوق ظهره بصبر، راح اليهودى يولول ويصرخ قائلاً:" هل الضربات العنيفة هى العملة الجديدة الجيدة أم ماذا؟" راقب الملك هذا المشهد وضحك من الفلاح وتبدد غضبه مع الضحك ، وقال له:" لقد نفذت مكافأتك الأولى لذلك سنمنحك أخرى، اذهب وخذ من كنوز القصر ذهبا قدر ما شئت!" ركض الفلاح على الفور وعبأ جيوب سرواله الواسعة حتى طفحت بالذهب ثم هرول إلى مطعم وجلس يعد ثروته. وكان اليهودى قد تسلل وراءه وسمع همهمة الفلاح مع نفسه وهو يزمجر قائلا:" إننى دومًا

تعـيس الحظ، خـدعنى الملك الوغـد! ألم يكن بمقـدوره إعطائى الذهب بنفسه كى أعرف كم يساوى من المال ، وإذا كـان الذهب حر؟" تـعجب اليـهـودى وفكر: يا إلهى! إنه يسب الملك وسـوف يعـاقـبـه الرب، علىّ الذهاب فوراً إلى القصر والتبليغ عنه لأحصل على مكافأة."

استـمع الملك إلى مـا قـاله اليـهـودى وتملكه غضب شـديد وأمـر اليهودى بإحضار الفلاح للمثول أمامه. وصل اليهودى إلى الفلاح وقال له:" عليك المثـول فـورا أمـام الملك! هـيـا انهـض وارحل مـعـى!" أجـابه الفلاح:" حسناً، ولكننى الآن رجل ثرى ولا أستطيع الظهور امام الملك فى هذه الثـيـاب الرثة، علىّ أولاً خـيـاطة مـلابس جـديدة، الا توافـقـنى الرأى؟" حـرص اليـهـودى على إتمام المهـمـة بسـرعـة كى لا يهـدأ الملك ويصرف نظر عن معاقبة الفلاح فيفقد هو المكافأة، لذلك قال له:" حسنا، سأعيرك لفترة قصيرة ثياباً جميلة لا لشىء إلا لما يربطنا من صداقة، الإنسان منا يبذل الكثير فداء المحبة." ارتضى الفلاح هذا الحل وارتدى ملابس اليهودى ورحل معه للملك.

ووقف الرجلان أمام العرش وكرر اليهودى ما قاله من سب فى الملك ، وعندما فرغ من كلامه رد الفلاح قائلاً:" يا مولاى الملك اليـهودى لا ينطق إلا بالكذب، ولا يخـرج من فيـه كلمـة صدق واحـدة، فـهـو يزعم مثلاً إننى أرتدى ثيابه!" صاح اليهودى به قائلا:" ماذا؟! أليست ثيابى؟! ألم اعرك اياها بدافع الصداقة وحدها كى تستطيع الوقوف أمام الملك بلياقة؟!" وهنا قال الملك:" اليهودى لابد أن يكون قد خدع واحداً منا، إما أنا أو الفلاح." وأمر بتصفية حساب اليهودى بـ "العملة الجديدة الجيدة"

أما الفلاح فانصرف عائداً إلى بيته بالثياب الجميلة والذهب يملأ جيوبه وهو يردد لنفسه:" أصبت هذه المرة."

* * *

كان يا ما كان حدوتة زمان

حكاية يرويها الدهر والمكان

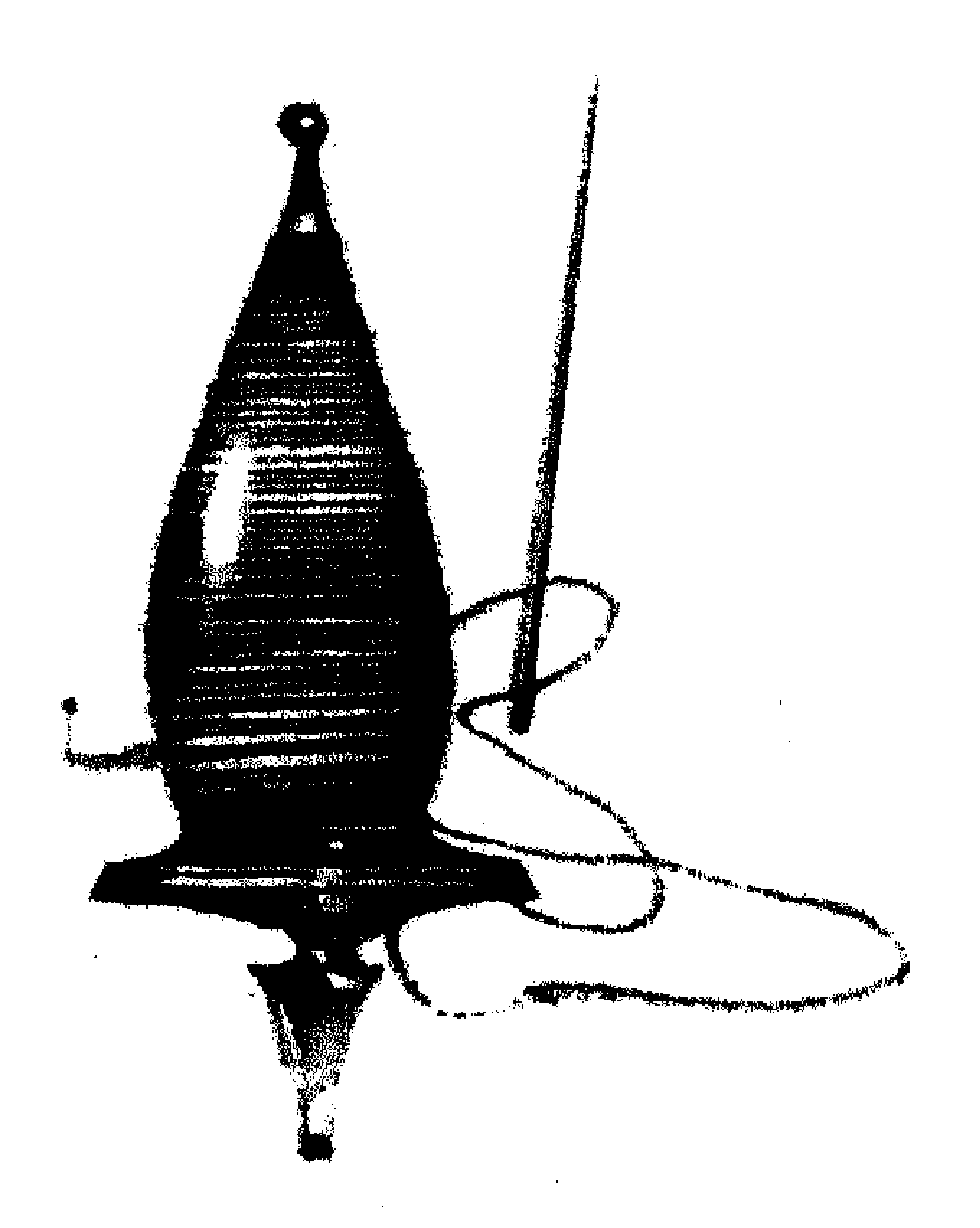
وأخرى يطويها العمر والنسيان

وهذه يحكيها جريم الأخوان

لك هنا والآن:



الناسجات الثلاثة



كـــان يا مــا كــان
فـــى بـــلاد الألمـــان
مـن ســـالف الأوان
الســـعـــد فى كل آن
فـطـــنـــة أو رهـــان

من قديم الزمان عاشت فتاة كسلة لا تريد أن تنسج على المغزل، وقد جاهدت أمها معها، ترجوها تارة وتأمرها تارة، تنهرها مرة وتدعوها أخرى، لكن الفتاة ظلت على حالها بليدة، قاعدة الهمة لا تمس

المغزل بإصبع. ولما نفد صبر الأم وتملكها الغيظ راحت توسع ابنتها ضربا مبرحا حتى أخذت الفتاة تبكى وتصرخ صراخًا مرتفعًا بلغ المارة فى الشارع. وشاءت المصادفة والأقدار أن تكون ملكة البلاد فى هذه الاثناء سائرة بموكبها فى المدينة وقد سمعت صياح الصبية، فتوقفت ودخلت الدار وسألت الأم لماذا تضرب الفتاة؟ خجلت الأم من تخاذل ابنتها ولم تود الإفصاح عنه فقالت للملكة:" لقد أخفقت فى ثنائها عن التوقف عن الغزل، إنها تجلس أمام المغزل وتنسج خيوط الكتان دون توقف أو انقطاع وأنا امرأة ضعيفة لا أقوى عليها." أجابتها الملكة فى انبهار:" لا أحب إلى قلبى أكبر من النسج ولا أطرب فى أذنى أكثر من صوت المغزل، أعطينى ابنتك فلدى من الخيوط والكتان ما لا طاقة لإنسان بحياكته، ولتغزل قدر ما شاءت." راق طلب الملكة للأم وبعثت بالفتاة معها.

ساقت الملكة الفتاة إلى ثلاث غرف فى القصر يعلو فيها الكتان حتى السقوف فى أجمل الخيوط وأزهى الألوان وقالت لها:" والآن اغزلى كما يحلو لك وعندما تنتهين سأزوجك من ابنى الأكبر مكافأة لك ولن آبه لفقرك لأن اجتهادك ودأبك هما ثروتك الفياضة." روعت الفتاة وفزعت من كل روحها، وفكرت أنها فى أنها لم تتعلم الغزل ولو تعلمته فلن تنتهى من تلال الكتان تلك الهائلة ولو عاشت ثلاثمائة عام غزلت فيها كل يوم من الصباح حتى المساء! وعندما اختلت بنفسها راحت تبكى حيرى فى اضطراب وظلت على هذا الحال ثلاثة أيام دون أن تقترب من المغزل. وفى اليوم الثالث مرت الملكة بها وتعجبت لما رأت أنها لم تنه

شيئًا. أسفت الفتاة قائلة:" إن كمدها كبير لفراقها امها ودارها، ولذلك اخفقت حتى الآن فى الجلوس إلى المغزل والشروع فى النسج." قبلت الملكة عذرها، وطلبت منها أن تستهل العمل فى الغد.

تشككت الفتاة فى حياتها وارتابت فى أمر نفسها واضطربت، ولم تعد تعرف ماذا تفعل واغتمت غمًا عظيمًا. وفى حزنها اطلت من النافذة فرأت ثلاث نساء قادمات صوبها، واحدة منهن قدماها مفلطحتان، والأخرى شفتها السفلى تتدلى حتى إنها تستر كل الذقن من وجهها، والثالثة أصابع كفيها فظة عريضة للغاية. ظلت النساء واقفة أمام النافذة ونظرن إلى الفتاة وسألنها عما بها، فاشتكت لهن حالها. قالت لها النساء:" سوف نعينك إذا قبلتى بشروطنا، عليك دعوتنا فى حفل العرس ولا تتنكرى لنا أو تخجلى من أمثالنا وأن تقدميننا للملكة وابنها كبنات خالتك وان تجلسيننا إلى نفس مائدتك فى حفل الزفاف، إذا تعهدتى بفعل ذلك سوف نغزل لك كل خيوط الكتان فى وقت قصير للغاية." ردت الفتاة قائلة:" سأفعل ذلك بسرور ومن كل قلبى، ادخلن إذن وابدأن فى العمل فورًا!"

دخلت النساء وأفسحت الفتاة لهن مكاناً بين خيوط الكتان وسط الغرفة الأولى لتجلسن وتنصبن المغزل. هكذا راحت المرأة الأولى تسحب الخيط وتضغط بقدميها المفلطحتين فوق العجلة، وأخذت الثانية تشبك الخيط بشفتها المدلاة، بينما كانت المرأة الثالثة تلف الخيوط وتقرع بأصابعها العريضة الفظة فوق المائدة دون انقطاع، ومع كل طرقة من إصبعها كانت قطع الكتان المغزولة تتساقط قطعة تلو الأخرى وجزءاً

وراء الآخر وقد أصبح نسيجًا بديع الصنع بأروع وأدق ما يمكن أن يكون. أخفت الفتاة النساجات الثلاثة عن الملكة فى كل مرة تأتى إليها، وكانت تعرض عليها ما تم نسجه، فتتجعب الملكة من سرعة الفتاة وإتقانها الغزل ومن جمال المنسوجات، حتى إن مديحها لها وثنائها عليها لم يتوقف.

فرغت الغرفة الأولى من الكتان ، وبدأ النسج فى الغرفة الثانية ثم الثالثة التى أخليت هى الأخرى فى تلاحق. وودعت النساجات الثلاثة الفتاة وقلن لها:" لا تنسى ما وعدت به ، لأن سعدك فى الوفاء به." رأت الملكة الحجرات الثلاث وقد فرغت تمامًا من خيوط الكتان وتأملت النسيج خلاب الصنع وقد رص تلالا فوق تلال، فأعدت حفل الزفاف، وابتهج الأمير ، لأنه حظى بزوجة ماهرة ذات همة عالية، تعمل على المنشط والمكره. وعندما أوسعها مديحًا وثناءً قالت له:" إن لدى ثلاثة من بنات خالتى وقد بذلوا من أجلى الكثير ولا أريد أن أهملهن فى فرحى وفرحتى فاسمح لى بدعوتهن فى هذه المناسبة السعيدة ، وأن يجلسن إلى مائدتنا فى الحفل!" إجابتها الملكة قائلة:" ولم لا نسمح بذلك!"

وفى الحفل ظهرت النساجات الثلاثة فى روعة وأناقة ورحبت الفتاة بهن قائلة:" مرحبًا بكن يا بنات خالتى العزيزات!" وتعجب الأمير:" يا لها من صداقة حميمة؟" ثم ذهب للمرأة الاولى وسألها:" مم صارت قدماك مفلطحة على هذا النحو؟" فأجابت:" من الضغط فوق عجلة المغزل." وكرر الأمير:" من الضغط؟!" ثم تركها وسأل المرأة

الثانية:" ومم تدلت شفتك حتى أخفت ذقنك على هذا النحو؟" فقالت:" من سحب خيط المغزل ولعقه." وكرر الأمير:" من السحب واللعق!" وأخيراً سأل المرأة الثالثة:" ومم تضخمت أصابع كفيك وأصبحت خشنة على هذا النحو؟" ردت الثالثة قائلة:" من لف خيط المغزل." وكرر الأمير:" من لف الخيط!" ففزع وصاح:" إذن لن تمس زوجتي الجميلة المغزل من الآن وعلى الدوام. بذلك تخلصت الفتاة من الغزل إلى الأبد.

* * *

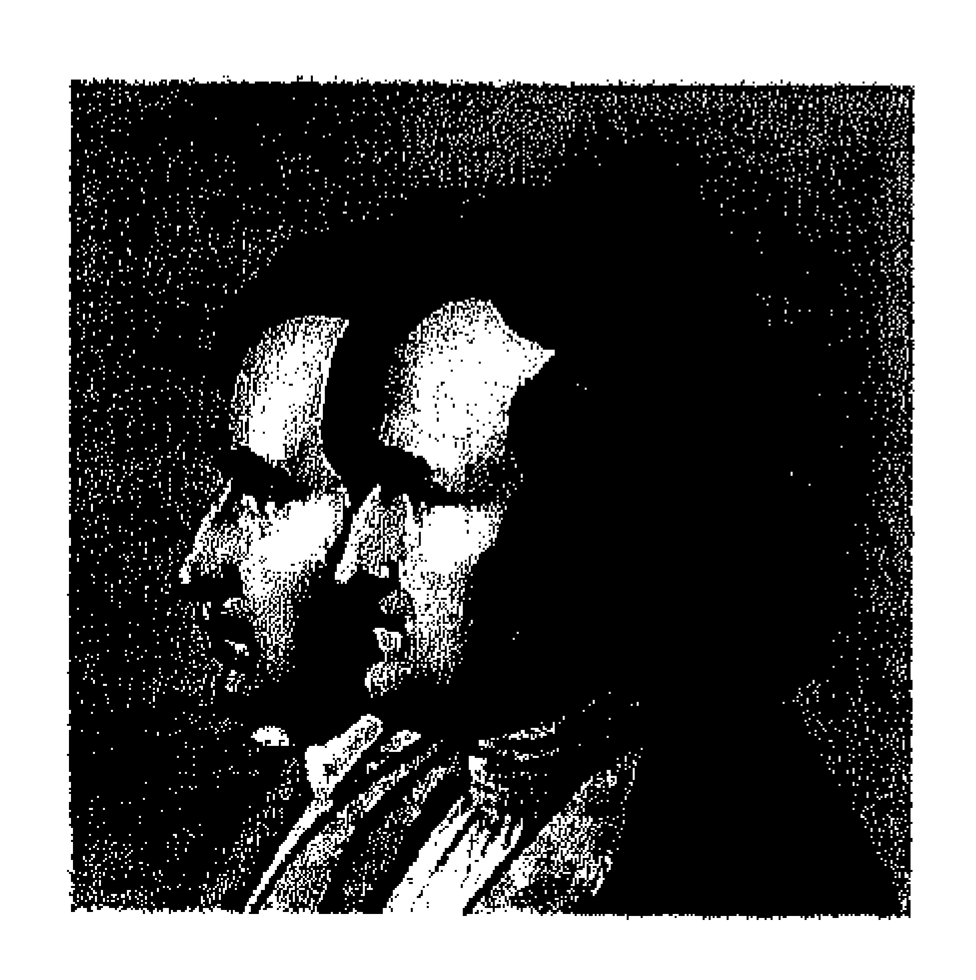
كان يا ما كان   حدوتة زمـــان

حكاية يرويـها   الدهـر والمكـان

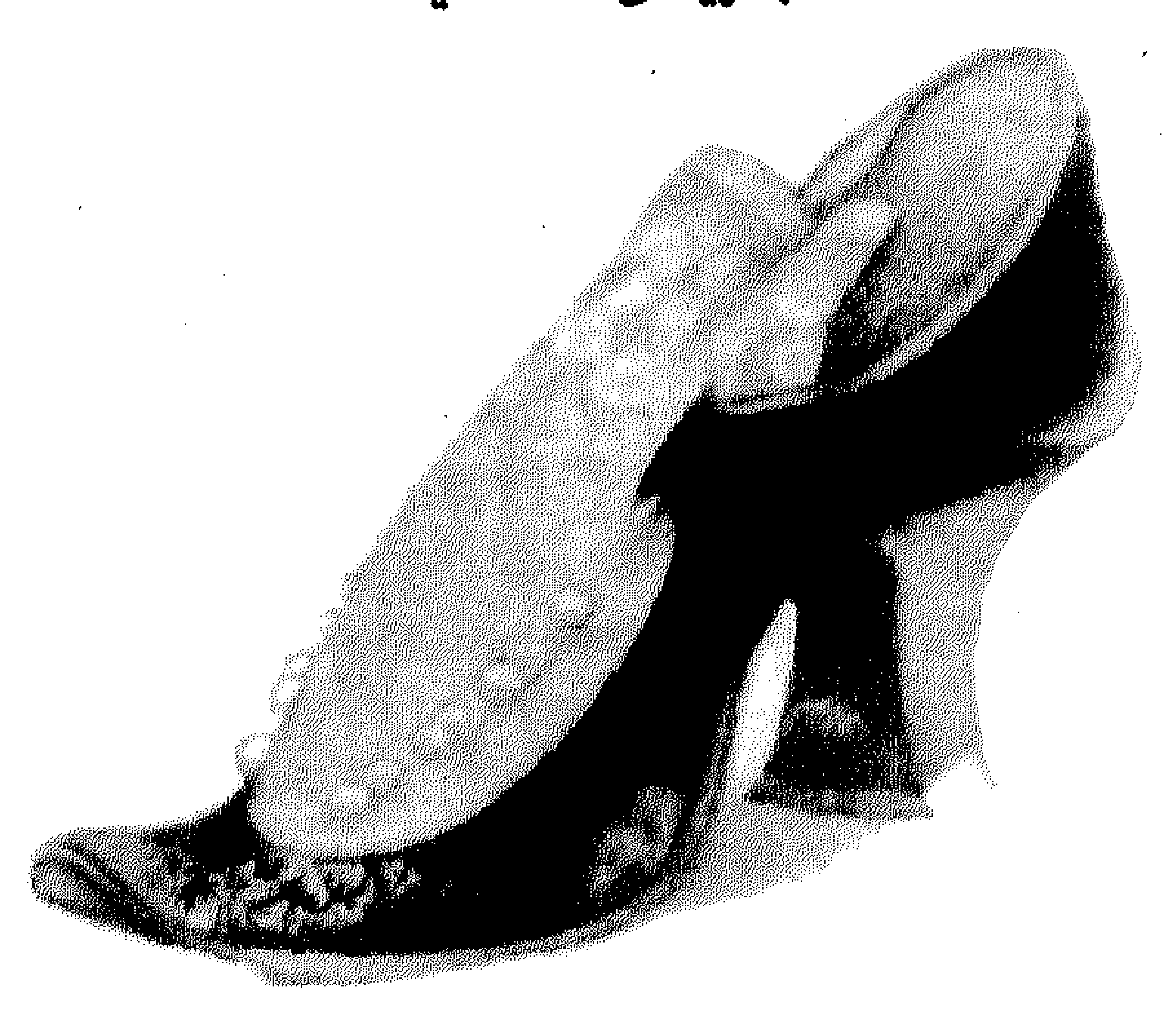
وأخرى يطويها   العمر والنسيان

وهـذه يحكيها   جـريم الأخـوان

لك هـنا والآن:



جريتل الذكية



كـــان يا مـــا كـــان
فـــى بـــلاد الألمـــان

عاشت من زمان طباخة اسمها جريتل ، وكانت تنتعل حذاء أنيقًا بكعب أحمر عال تخرج به مزهوة تتلفت مرة، وتستدير مرة اخرى وتتأمل بإعجاب ودهشة كمْ هى جميلة حلوة. وعندما تعود للبيت تشرب من فرط السعادة والبهجة كأساً من النبيذ. والنبيذ يفتح الشهية لذلك كانت جريتل تتذوق أطيب ما تقوم بطهيه من طعام، وتأكل أفضل ما لديها حتى تشبع وتهنأ. وكانت دائما تردد أن:" الطاهية لابد أن تتذوق الطعام."

وفى يوم من الأيام قال لها سيدها:" يا جريتل! اليوم فى المساء سيزورنا ضيف فأعدى لنا دجاجتين إعداداً شهيًا!" أجابت الطباخة:" حسنا يا سيدى!" ثم ذبحت دجاجتين وسلقتهما ونزعت لهما ريشهما ووضعت فى جوفهما سيخًا شواء وتركتهما حتى حل المساء فأضرمت النار فى الموقد استعداداً لتحمير الدجاجتين. ثم وضعتهما فوق النار وبدأت الفرختان تكتسبان لونا بنيا واصبحتا على وشك النضج. لكن الضيف لم يأت. صاحت جريتل بسيدها قائلة:" سوف أرفع الدجاجتين من فوق النار إذا لم يحضر الضيف الآن! واحسرتاه! فالدجاجتان الآن أشهى ما تكونا وهما فى عصيدتهما الدسمة الساخنة." أجابها السيد:" حسنا سأذهب بنفسى لأحضره." وما أن أدار السيد ظهره للطباخة حتى رفعت السيخين من فوق النار ووضعتهما جانبا قائلة:" إننى أتصبب عرقا واستشعر ظمأ طالما نظرت إليهما وهما فوق النار، ثم .. من يدرى متى سيأتون؟ الأفضل أن أهبط فى هذه الأثناء إلى البدروم وأرشف رشفة من النبيذ". جلست جريتل ووضعت كأسًا أمامها ورفعته ومرة واحدة أفرغته فى جوفها وهى تقول:" صحة وعافية يا جريتل!" واضافت ببهجة:" كأس يجر كأسًا ولا يصح أن أقطع انسياب النبيذ وتسلسل الكئوس." ثم رفعت الكأس واحتست جرعة كبيرة بهمة. عادت الطباخة إلى الدجاجتين ووضعتهما فوق النار ومسحت فوقهما بالذبد وراحت بمرح تقلب السيخين. تصاعد عبق الدجاج المحمر إلى أنف جريتل وقالت لنفسها:" لن تقوم القيامة إذا نقص جزء صغير من

الدجاجتين، ثم أن الطاهية لابد أن تتذوق ما تعده من طعام شهى!" وبإصبعها ملست فوق الدجاج ثم لعقت مرقتة الطيبة قائلة:" آه .. كم هى طيبة عصيدة الدجاج! إنه لإثم وخزى أن تترك هكذا ولا تلتهم فوراً!" ثم ذهبت جريتك للنافذة ، وأطلت منها لترى إذا كان سيدها وضيفه فى الطريق إلى المأدبة، لكنها لم تلمح أحداً. فساقتها قدماها مرة اخرى إلى الدجاجتين وتأملتهما وجذب انتباهها فجأة أن جناح احدى الفرختين قد احترق قليلاً ، وأن زواله أفضل من بقائه لذلك انتزعته من جسد الدجاجة والتهمته وقد راق لها مذاقه. ثم فكرت أن سيدها قد يلاحظ أن الجناح قد اختفى؛ لذلك ولكى لا ينتبه، عليها خلع الجناح الثانى. وبعد أن رسا الجناح الثانى حيث استقر الأول ذهبت الطباخة مرة أخرى إلى النافذة وأطلت منها فلم تر أحداً قادماً. قالت جريتل تحدث نفسها:" لعلهم لن يأتوا أو أنهم بدلوا خطتهم لقضاء هذا المساء فى مكان آخر!" ثم صاحت مهللة:" ويحى! الأكل أكلى واليوم يومى! ولن يخفى على أحد أن هجوماً قد وقع على الدجاج، ثم إن بالى لن يهدأ إلا إذا اتيت عليها بالكامل، لذلك فلأشرب كأسا آخر وآكلها حتى النهاية، نعم الله لا يجوز أن تبدد أو تذهب هباء!" ذهبت الطباخة إذن إلى البدروم وشربت كأسا ممتلئا وأكلت دجاجة بمنتهى الرضى والهناء، ولم يكن سيدها قد ظهر بعد، فقالت لنفسها:" فلتلحق الأولى بالثانية، لا يصح أن نفرقهما وما يسرى على واحدة يسرى على الأخرى، وكأس آخر لن يضرنى." هكذا شربت جريتل كأساً من النبيذ والتهمت الدجاجة الثانية.

وصل السيد إلى البيت وصاح بالطباخة:" اسرعى يا جريتل! الضيف آت، سيلحق بى الآن!" أجابت جريتل:" حسنًا يا سيدى، سيعد الطعام فورًا!" وتطلع السيد ليرى إذا كانت المائدة قد جهزت ثم تناول سكينًا كبيرًا وراح يحفه فوق المسن ليقطع به الدجاج. وفى هذه اللحظة طرق الضيف الباب وفتحت له جريتل وهى تضع إصبعها على فمها وتقول له بصوت خفيض:" صه! صه! انصرف فورًا قبل أن يلمحك سيدى ، ويكون هذا من سوء طالعك! لقد دعاك للعشاء ليقطع لك أذنيك، ألا تسمع صوت سن السكين؟!" وحقًا .. لقد تناهى إلى سمع الرجل صوت سن السكين فهرول هابطا الدرج بكل ما أوتيت قدماه من قوة وسرعة. وراحت جريتل تزعق فى وجه سيدها قائلة:" ما هذا الضيف الرائع الذى دعيتموه يا سيدى؟!" تساءل السيد:" لماذا يا جريتل؟ ماذا تقصدين؟" فقالت:" لقد خطف الدجاجتين من فوق الطبق الذى كنت لتوى أحمل وانصرف بهما!" قال السيد:" وهل هذا سلوك مهذب؟!" ثم تحسر السيد على الدجاج المحمر الطيب ، وأضاف:" على الأقل كان يترك لى واحدة منهما كى أشبع أنا الاخر!" ثم صاح السيد بالضيف يرجوه البقاء، غير أن الضيف فر وكأنه لم يسمع شيئًا، ركض السيد وراءه وكان لا يزال ممسكًا بالسكين فى يده وهو يصرخ قائلاً:" واحدة فقط!" قاصداً بذلك واحدة من الدجاجتين، لكن الضيف اعتقد أنه يعنى أذنًا واحدة فقط وراح يقفز فى عدوه كالملتاث خوفًا كى يصل بيته بـ "الاثنين"!

* * *

كان يا ما كان   حدوتة زمـــان

حكاية يرويـها   الدهـر والمكـان

وأخرى يطويها   العمر والنسيان

وهــذه يحكيها   جريم الأخـوان

لك هـنا والآن:



البجعات الست



كـــــان يا مـــــا كـــان
فـــــى بـــلاد الألمـــــان
والســـحـــر فــتـــان
فـــن مـــن الأفـــنــــان
مـــن ســـــــالـف الأوان:

فى يوم من الأيام خرج ملك البلاد وحاشيته للصيد فى الغابات ووجدوا فيها غولاً مروّعًا، فزع الصيادون منه وأخفقوا فى اللحاق به، لكن الملك انطلق وراءه ، وظل يركض فوق جواده إلى أن أمست الدنيا من

حوله، وإذا به قد شرد بعيداً واصبح حبيسًا فى غابة رحيبة. فى تلك الأثناء أقبلت صوبه ساحرة عجوز تتمايل برأسها، فسألها:" ألا تستطيعين يا عزيزتى أن تدلينى على الطريق للخروج من الغابة؟" أجابت الساحرة:" بالطبع يا سيدى الملك، لكن بشرط، إذا رفضت تنفيذه لن تنجو، وستظل هنا إلى أن تهلك جوعًا." سأل الملك:" وما هو هذا الشرط؟" قالت الساحرة:" تزوج من ابنتى واجعلها ملكة البلاد إنها تستحق ذلك ؛ لأنها آية فى الحسن والجمال ، ولن تجد مثيلتها فى أى مملكة من الممالك! إذا فعلت سأدلك على الطريق."

امتثل الملك لمصيره خشية لعنة الساحرة وانصرف معها إلى كوخ صغير كانت الفتاة تجلس داخله قرب الموقد، واستقبلت الملك دون دهشة أو وجل وبدا عليها أنها كانت فى انتظاره. نظر الملك للفتاة ورأى حسنها وافتتن بجمالها، غير أنها لم تؤثر قلبه ، ولم يستطع أن يتطلع إليها دون أن تنفر روحه منها. وكما حذرته الساحرة لم تدله على الطريق إلا بعد أن رفع ابنتها فوق فرسه، وبعدها عثر على قصره.

أقيمت احتفالات العرس. وكان للملك سبعة أبناء من زوجته الأولى، ستة أبناء وطفلة واحدة. وكان يحبهم أكثر من أى شىء فى الدنيا، وعندما تزوج من ابنة الساحرة خفق فؤاده جزعًا وقلقًا عليهم من شرور زوجته، فساقهم إلى قصر بعيد داخل غابة نائية، كان الطريق إليه متعرجًا ملتوياً والعثور عليه محال دون الاستعانة بحيلة من الحيل. وكان الملك نفسه لا يجد الطريق إليه، لولا أن امرأة حكيمة أهدته كريرية

خيط ذات خاصية عجيبة، إذا قذف بها الملك فوق الأرض تنحل من نفسها ويمتد خيطها على الطريق حتى بوابة القصر، فيتبعها الملك إلى أن يصل إلى أولاده.

كان الملك يذهب دوما لأبنائه، إلى أن لاحظت زوجته تغيبه المنتظم وتملكها الفضول والحيرة من بقاء الملك وحيداً فى الغابة فترات طويلة وقررت معرفة ما يجرى. رشت الملكة خدم القصر بالمال فقصوا عليها كل الحكاية من البداية إلى النهاية وباحوا لها بسر كريرية الخيط التى وحدها تستطيع أن تجلى الطريق أمام الملك إلى قصر الأبناء فى قلب الغابة النائية. أخذت الملكة تفتش حتى عثرت على المكان الذى يخفى الملك فيه الكريرية وكانت الساحرة قد لقنت ابنتها فنون السحر، فرتقت الملكة قمصانا صغيرة من الحرير الأبيض وحاكت داخلها لعنة من لعناتها ، وانتظرت حتى خرج الملك ذات يوم للصيد على عادته ثم انطلقت إلى الغابة بكريرية الخيط التى ساقتها إلى طريق القصر.

لمح الأبناء عن بعيد هيئة إنسان فانطلق الصبية مبتهجين صوبه يظنون أنه أبوهم الحبيب، فى هذه اللحظة ألقت الزوجة الشريرة فوق كل منهم قميصا مسحورا، ما أن لمست الثياب أبدانهم حتى انقلبوا فوراً إلى بجعات طارت ترفرف وحلقت فى سماء الغابة. عادت الملكة بعدها إلى القصر سعيدة تفكر أنها تخلصت من أبناء الزوجة الأولى ؛ لأنها لم تكن تعلم شيئًا عن الابنة التى مكثت فى القصر ولم تنطلق أثر اخوتها عندما سحرتهم المرأة بجعاً.

ذهب الملك فى اليوم التالى لأبنائه، فلم يجد سوى الفتاة التى روت له ما رأت من النافذة وكيف أن أخوتها تركوها وحيدة وهرولوا إلى الغابة ، وكيف تحولوا بجعًا وحلقوا فى السماء وأظهرت له ريشا تساقط منهم فى فناء القصر كانت قد جمعته وصانته. ابتأس الملك وشجن شجنا عظيما، ولم تساوره أية شكوك فى زوجته، وجزع وأشفق على الفتاة من نفس المصير ومن حرمانه منها، وخاف أن تسرق منه هى الأخرى فأراد أن يحملها معه إلى قصره، لكن الفتاة أبت خشية زوجته، وتوسلت لوالدها أن تمكث ليلة واحدة أخيرة فى القصر بالغابة الرحيبة. ولم تطق الفتاة الانتظار ونوت البحث عن اخوتها وترقبت هبوط الظلام ثم تسللت خفية وهربت إلى الغابة.

أمضت الليل سائرة ونهارًا ثم ليلاً آخر حتى كلت ساقاه وهى تتطلع من حولها. ورأت فجأة كوخًا صغيرًا دخلته ووجدت بداخله ستة أسرة صغيرة هابت الرقاد فى أحدها واندست تحت واحد منها وتكورت تنام فوق الأرض القاسية. فى هذه الأثناء والشمس لتوها تتهيأ للغروب تهادى إلى سمعها حفيف رأت فى إثره ست بجعات تحلق صوب النافذة وتدخل منها إلى الكوخ وتحط فوق الأرض ثم تنفخ فى نفسها وفى بعضها البعض فينتزع ريشها إلى أن تقشّر وتساقط مثلما تنسلت القمصان من فوق الأبدان، وتطلعت فرأتِ إخوتها يمثلون أمامها! زحفت من تحت السرير وعانقت اخوتها وعانقوها ، وكانت سعادة الجميع كبيرة لكنها قصيرة لم تدم.



قالوا لها أخوتها: " لن تستطيعى يا أختاه البقاء هنا، هذا الكوخ ملكا للصوص وإذا وجدوك سيقتلونك." سألت الأخت: " ألا تستطيعوا حمايتى منهم؟" أجابوا: " كلا! لأن ريش البجع يسقط من فوق أجسامنا ونسترد هيئتنا الآدمية كل مساء مدة ربع الساعة فقط ثم نعود وننقلب بجعا مرة أخرى." انتحبت الأخت كمداً وسألت: " أما من وسيلة لزوال السحر عنكم؟" أجابوا: " لا يا أختاه إن الشروط عسيرة للغاية: عليك ألا تتفوهين بكلمة واحدة طيلة ستة أعوام وألا تضحكين خلالها قط وفى هذه السنوات ترتقين ستة قمصان من زهر النجوم[1]، وإذا نبست شفتاك بحرف واحد يمضى عناؤك كله هباء."

(١) زهر النجوم: ورد بست ورقات عندما تتفتح تبدو كالنجمة. (المترجمة)

كان ربع الساعة قد انقضى بعد أن أتم الصبيان حديثهما وظهروا مرة أخرى أمامها بجعا طار من النافذة. فى هذه الأثناء اتخذت الأخت قرارها وحسمت أمرها لإنقاذ إخوتها حتى لو كلفها الأمر حياتها. انصرفت من الكوخ إلى أعماق الغابة، ورقدت هناك فوق شجرة تنام. وفى الصباح راحت تجمع زهور النجوم وبدأت تخيط القمصان؛ لأنها لم تكن تستطيع الحديث، أما الضحك فلم يطرق قلبها ولا خطر على بالها، ولم يكن لديها أى هم سوى إنجاز مهمتها وإنهاء القمصان. عاشت الفتاة على هذا النحو زمنا طويلا وحيدة فى الغابة، لكن دوام الحال من المحال.

وفى يوم من الأيام خرج ملك البلاد وحاشيته للصيد فى الغابات ووصلت مجموعة من الصيادين حتى الشجرة التى كانت الفتاة تجلس فوقها، وصاحوا عليها يسألونها: " من أنت؟" فلم تجب، قالوا: " اهبطى إلينا لن نمسك بأذى!" فلم تستجب، وعندما ألحوا عليها بالأسئلة قذفت إليهم بسلسلتها الذهبية كى تسكتهم وينصرفوا عنها ، لكنهم مكثوا حيث وقفوا. راحت ترمى إليهم بحزامها ثم بأشرطة جوربها ، وشيئًا فشيئًا جردت نفسها من رداءها إلى أن تبقى قميص واحد عليها يسترها. لم ينصرف الصيادون وراحوا يتسلقون الشجرة وأنزلوا الفتاة من فوقها ورحلوا بها للملك. سألها الملك: " من أنت؟ وماذا تفعلين فوق الشجرة؟" ظلت الفتاة حبيسة صمتها، أعاد الملك السؤال عليها بكل اللغات التى يتحدثها ، لكنها لم تجب وظلت خرساء مثل السمك فى الماء. كان الملك فى هذه الأثناء قد أمعن النظر فى طلعة الفتاة، وكانت الصبية آية

فى الحسن والجمال ، وشعر بمهجته والعشق يغزوها، أحبها الملك فى نفس اللحظة حبًا عظيمًا، وخلع معطفه وألقاه فوقها يلفها به ورفعها فوق جواده وساقها إلى قصره.

وفى القصر أمر الملك لها بثياب جديدة فبدت فيها براقة مثل النهار الوضّاح، لكنها لم تتفوه بحرف واحد. وكانت تجلس بجواره فى مأدبة الطعام تسلك سلوك الأميرات فى عاداتها وتنحو نحو الملكات فى تواضعها وتأدبها فاشتد إعجاب الملك بها حتى قال:" لن اتزوج إلا من هذه الفتاة." وعقد القران بعد أيام معدودة وأقيمت احتفالات العرس. غير أن أم الملك الشريرة لم تكن راضية عن زوجة ابنها وراحت تغتابها وتقول:" من يدرى من أين جاءت لنا هذه الصبية البكماء؟ وهل تستحق مثلها أن تغدو ملكة البلاد؟!"

انقضى أكثر من العام ثم وضعت الملكة وليدها الأول. وقد دفعت الأحقاد والشرور بأم الملك إلى سرقة الطفل، ثم لطخت فاه الملكة بالدماء وراحت تشتكيها للملك وتقول:" إنها تأكل لحوم البشر" كى توهم الملك أن زوجته الخرساء افترست ابنها الرضيع. لم يصدق الملك ما قالته الأم، وأمر ألا يلحق أحد بزوجته الأذى. أما الملكة فلم يكن لديها هم ولا شاغل سوى القمصان الست، كانت تجلس فى هدوء منكبة عليهم ترتق وتخيط.

دارت السنة ووضعت الملكة فى نهايتها وليدها الثانى، وكان صبيًا جميلاً كما فى المرة الأولى. وأعادت أم الملك الكرَّة وسرقت الطفل

ثم لطخت فاه الملكة بالدماء، وراحت تتهمها بأنها آكلة لحوم البشر. احتار الملك فى الأمر ، لكنه قال:" إن الملكة امرأة صالحة وأطيب كثيرا من أن ترتكب فعلة شنعاء مثل هذه الفعلة، ولو لم تكن خرساء لنطقت بما يبرئها من كل باطل وأى اتهام." ومرت الأيام وانقضت الشهور واستعدت الملكة لوضع مولودها الثالث.

والثالثة هى من المرات
فيها ضرات أو مسرات
فإما الحياة وإما الممات
الخير آيات والشر تبعات

رأى الوليد الثالث نور الدنيا، وعندما لعبت أم الملك الشريرة لعبتها مرة أخرى وسرقت الصبى، وكانت الملكة لاتزال حبيسة الصمت عاجزة عن الدفاع عن نفسها، نفد صبر الملك حينئذ وساق زوجته للمحاسبة وحكم عليها بالإعدام حرقًا.

لكن تصادف أن يكون تنفيذ الحكم فى نفسه اليوم الذى اختتم السنين الستة التى حرمت الملكة نفسها فيها من الحديث والضحك. وبحلول موعد زوال السحر عن إخوتها كانت الملكة قد انتهت من القمصان التى رتقتها من زهر النجوم ولم يكن ينقصها سوى الذراع الأيسر فى القميص الأخير. اقتادوها إلى كومة من القش فوق منصة الإعدام. خطت إليها الملكة حاملة القمصان فوق زراعها. تهيأ الحرس لإضرام النيران فى القش، وفى هذه اللحظة لمحت الملكة ست بجعات تحلق صوبها وتهبط فوقها، فراحت تلقى فوق كل واحدة منها قميصًا

من القمصان. وفي التو تساقط الريش عن البجعات وانسلخ جلدها ومثل إخوتها أمامها في نضارة وشباب كما كانوا دومًا ولم ينقص أحد منهم أي شيء سوى الأخ الأصغر الذي ظل ذراعه الأيسر جناحًا من الريش يخرج من ظهره ويبرز من كتفه. احتضن الإخوة أختهم وقبلوها وأحاطتهم هي بذراعيها، وكانت البهجة عظيمة وغمر السرور والسعادة قلوبهم جميعًا.



نزلت الملكة من فوق منصة الإعدام واتجهت لزوجها الذى وقف مصعوقًا مما رأى وسمع وطفقت تتكلم قائلة:" زوجى الحبيب، الآن يمكننى الحديث، إننى بريئة من كل ذنب وقد حكم علىّ غبنًا وجوراً." ثم قصت الملكة على زوجها كل الحكاية من البداية حتى النهاية. فأمر الملك على الفور بإحضار أطفاله الثلاثة التى أخفتهم أمه الشريرة، ثم اقتادوها بدلاً من الملكة إلى منصة الإعدام وقيدوها وأشعلوا من تحتها النيران فى القش فاحترقت حتى تفحمت ولم يبق منها إلا الرماد. وعاش الملك والملكة مع الأخوة الستة فى سعادة أعوامًا وأعوام.

* * *

كان يا ما كان حدوتة زمان

حكاية يرويها الدهر والمكان

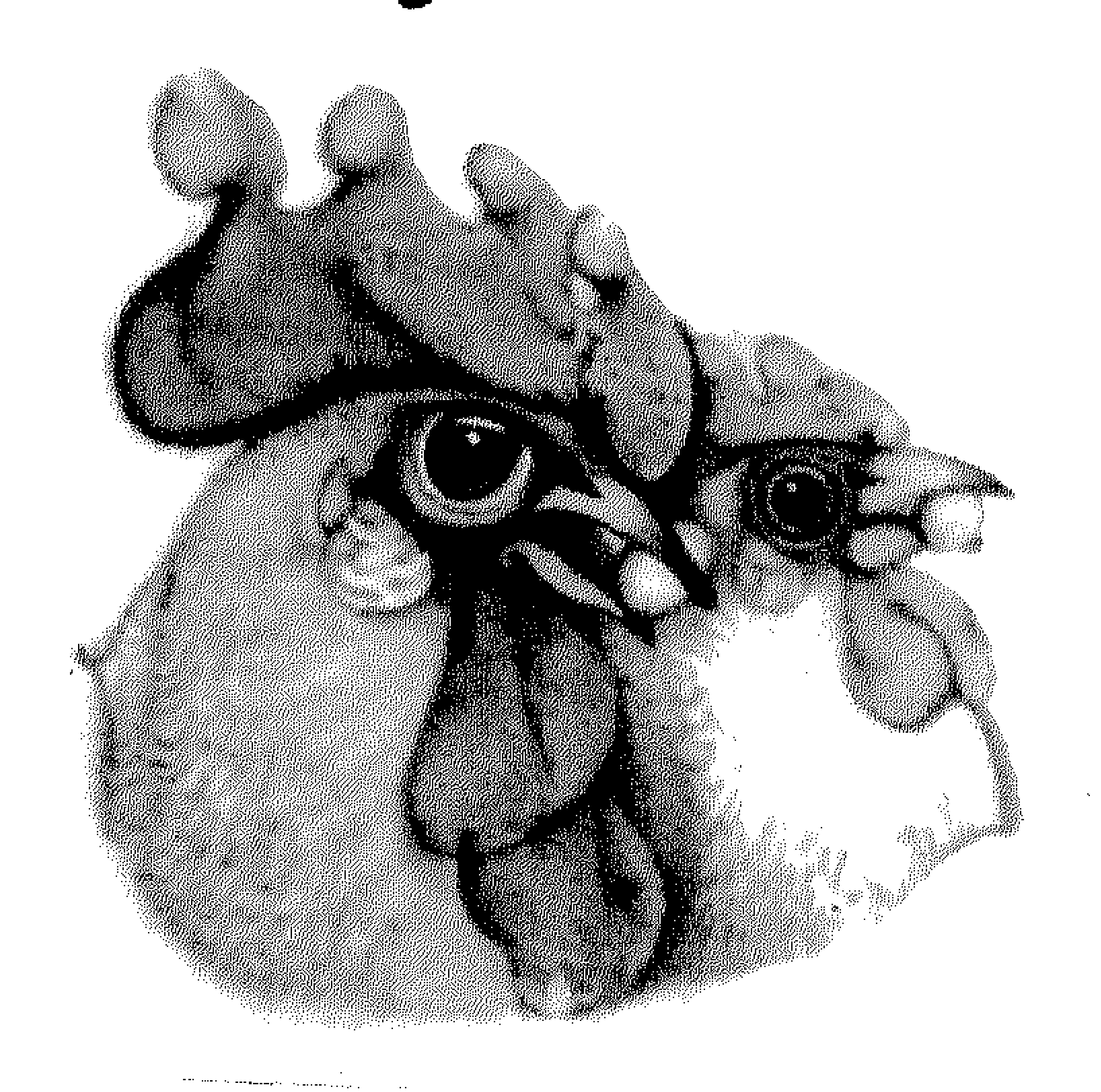
وأخرى يطويها العمر والنسيان

وهذه يحكيها جريم الأخوان

لك هنا والآن:



السفل



كان يا ما كان
في بلاد الألمان

ديك قال لزوجته الدجاجة:" نضجت الثمار وحل موسم الحصاد، هيا نتسلق الجبل ونأكل حتى الشبعة ولو مرة واحدة قبل أن يجمع السنجاب كل حبات الجوز!" أجابت الدجاجة:" فلنذهب إذن ولنبتهج بهذه الرحلة!"

ذهب الزوجان في الصباح إلى الغابة وصعدا الجبل ، وانقضى اليوم عليهما دون أن يشعرا لا بالمكان ولا بالزمان إلى أن دمس الظلام من حولهما. ودفعتهما التخمة والتثاقل إلى التفكير في وسيلة مريحة

للعودة إلى البيت. هكذا قرر الديك صنع عربة من قشور الجوز، وما إن فرغ من عمله حتى تربعت الدجاجة بداخلها قائلة:" حسنًا، الآن تقدم العربة واسحبني!" رد الديك ثائرًا:" لا يا عزيزتي .. لم نتفق على ذلك، أفضّل العودة سائرًا على أن أجر العربة. لن أمانع أن أكون السائس في مقدمة العربة ولكن دون أن أسحبها!"

هكذا تعارك الزوجان وتشاتما بينما أقبلت عليهما بطة تنقنق قائلة في حنق:" من سمح لكم أيهم اللصوص بتسلق جبل الجوز، ألا تعلمون أنه جبلي أنا؟! الذنب إذن ذنبكم ولتنالوا مني عقابكم!" وفتحت منقارها المدبب الطويل وهجمت به تنقر الديك. بادلها الديك عداوة بعداوة وهجم عليها بغيظ وراح ينشب حوافره بعنف في لحمها ويبرحها ضربا ويؤلمها نتفا، فتوسلت البطة الديك ليعفو عنها ولتقوم هي لقاء ذلك بسحب العربة. هدأ الديك ووافق وراح يربط عنقها في المقدمة ثم جلس نافشا ريشه في المقعد الأمامي وانطلقت العربة تعدو بهم مسرعة.

وبعد مرور بعض الوقت اقبل عليهم زوجان يترجلان: الدبوس والإبرة. ما أن لمحت الإبرة العربة حتى صاحت توقفها. ثم سرد الزوجان حكايتهما على الديك والدجاجة والبطة، فقد كانا في ضيافة الخياط وسرقهما الوقت وهبط الليل، وأصبح السير الآن عسيرا في الشارع لأنه ممتلئ بالأوحال والدنيا ظلام في ظلام. توسل الدبوس وألحت الإبرة على أن تقلهما العربة، فوافق الديك لأنهما نحيفان ولن يشغلا مكانا كبيرا، لكنه اشترط عليهما في نفس الوقت أن يكونا حذرين وألا ينغزا أرجله أو أقدام زوجته. هكذا انطلق الحشد مرة أخرى والبطة تجر في العربة وتجر وسط الغابة المظلمة.

وفى ساعة متأخرة من الليل وصلوا إلى مطعم وقرروا المبيت فيه بعد رحلة طويلة أنهكتهم، فضلا عن أن قدمى البطة كانتا قد تورمتا. رمقهم صاحب المطعم بنظرة ارتياب فقد بدا عليهم أنهم من قاع المجتمع وليسوا من علية القوم. غير أنهم ألحوا عليه وأمطروه بالوعود وتعهدوا أن يتركوا له بيضة الدجاجة التى تضعها كل يوم إفطاراً شهياً له ، وأن يستبقى البطة التى تبيض كل صباح. وكان المطعم مكتظا بالزبائن فتردد صاحبه لكنه فى النهاية سمح لهم بالدخول والمبيت، وقام بكل الترتيبات اللازمة لهم. أكلوا وشربوا وتبحبحوا وتبجحوا ثم صعدوا أعلى البيت ليرقدوا.

وفى ساعة السحر من صباح اليوم التالى ، بينما الجميع نيام والبيت هادئ فى سلام أفاق الديك ونبه الدجاجة فنهضت. أكلا البيضة ثم نثرا قشرها فوق الموقد، وأمسك الديك برأس الإبرة وهى نائمة ورشقها بشماتة فى وسادة مقعد صاحب المطعم التى يضعها خلف رأسه، ثم تناولت الدجاجة الدبوس باستهتار وغرزته فى المنشفة!! أما البطة التى وعدوا بها صاحب المطعم فقد كانت تحب النوم فى العراء وكانت فى هذه اللحظة فى الفناء وسمعت دبيب أقدام فنظرت ورأت الديك والدجاجة وهما يتسللان، فنهضت بهدوء لتلوذ هى الأخرى بالفرار، وجدت جدول ماء وراحت تسبح فيه إلى أن اختفت.

مضت ساعتان استيقظ بعدهما صاحب المطعم واغتسل ثم تناول منشفته يجفف وجهه وإذا بالدبوس ينغرس فى لحمه، يدميه ويجرحه من الأذن إلى الأذن. وبعد لحظات راح إلى المطبخ وهم يشعل غليونه

وعندما تقدم صوب الموقد، فاجأته قشور البيضة التى أخذت تتطاير فى وجهه وتقفز فى عينيه وتؤذيهما.

قال صاحب المطعم محدثًا نفسه:" يا له من صباح كئيب!" وحط مكدراً فوق مقعده الوثير ليعود ويثب مفزعًا من ألم الإبرة التى نفذت فى رأسه! صرخ فى ثورة غضبه وراح يفتش عنهم ؛ لأنه أدرك فى الحال أنهم ضيف الأمس، ولما لم يجدهم اغتم وأقسم أنه لن يسمح لأية حثالة أو سفلة بالدخول الى مطعمه مرة أخرى وقال:" أكلوا وشربوا ولم يدفعوا ماركًا واحداً وناموا وبدلاً من الشكر مارسوا ألاعيبهم الشيطانية ومجونهم.

* * *

كان يا ما كان حدوتة زمان

حكاية يرويها الدهر والمكان

وأخرى يطويها العمر والنسيان

وهذه يحكيها جريم الأخوان

لك هنا والآن:



القشة والجمرة وحبة اللوبيا

كـــان يا مـــا كـــان
فـــى بـــلاد الالمـــان
أصل اللوبيـــا بان
والســر قــد اســتبــان

عاشت من زمان فى إحدى القرى إمرأة عجوز فقيرة وحيدة، اعدت فى يوم من الأيام صحنا من اللوبيا لتطهوه. أضرمت النار فى الموقد ولكى تستعر ألسنة اللهب كبشت العجوز حفنة من القش وألقت بها فى النار فانسلتت قشة وسقطت فوق الأرض وعندما همت العجوز بوضع قدر اللوبيا فوق الموقد تدحرجت حبة من بين أصابعها وهوت بجوار القشة ثم قفزت جمرة متقدة من النار واستقرت قرب القشة وحبة اللوبيا.

رقد الثلاثة جوار بعضهم البعض وبدأت القشة بالحديث قائلة:" من أين جئتم يا أصدقائى الأعزاء؟" فأجابت الجمرة:" لقد قفزت من الموقد فى اللحظة المناسبة وإلا لتحولت إلى رماد ولكنت الآن فى عداد الموتى." وقالت حبة اللوبيا:" أنا أيضا أفلت من الهلاك بالمصادفة ولولا أننى قفزت بسرعة من القدر لكنت لقيت نفس مصير أصدقائى وكانت العجوز هرستنى معهم دون رحمة ولاصبحت لوبيا مهروسة مثل البقية." وقالت القشة:" أما أنا فقد أخذت العجوز ستين من إخوتى دفعة واحدة

وأسـقطتـهم فى النار والدخـان، ولحسن حظى أننى انزرقت من بين أصابعها." وتساءلت الجمرة:" ماذا عسانا الآن فاعلين؟" أجابتها حبة اللوبيا:" فى تصورى أن الحياة الجديدة التى كتبت لنا بعد الموت يجب ان تجمعنا لنصبح اصدقاء نتصدى لأية اخطار معا، ولنرحل من هنا إلى بلد اخر نبحث فيه عن حظ اكثر سعادة!" راق اقتراح القشة للجمرة وحبة اللوبيا وانصرف الثلاثة معًا.

رحل الأصدقاء وفى طريقهم مروا بنهير صغير لم يدروا كيف يعبرونه ولم يكن هنا جسر أو وسيلة للانتقال للضفة الاخرى. وعثرت القشة على حيلة ، وقالت للجمرة وحبة اللوبيا:" سأطفو أنا فوق المياه واكون لكما جسرا تعبران فوقى، هكذا نصل جميعا البر الثانى بأمان." القت القشة بنفسها فوق الماء وجاءت الجمرة الساخنة بخطواتها المسرعة تخطو فوقها ، وعندما بلغت منتصف الطريق وعت خرير الماء من تحتها فارتبكت وجزعت من برودته عليها وتوقفت عن السير إلى أن احترقت القشة من حرارتها وهوت تحت الماء غرقى، وفى أثرها انزلقت الجمرة وسقطت هى الأخرى.

وكانت حبة اللوبيا قد أثرت الحذر وانتظرت على ضفة النهير ترقب ما يحدث، ولما شاهدت صديقتاها والماء يبتلعهن وأدركت أنها افلتت من قبضة الهلاك، انفلتت فى ضحك متواصل لم تتوقف عنه، أخذت تضحك وتضحك حتى انفجرت أحشاؤها وانتثرت فوق الارض فتات صغيرة. كانت حبة اللوبيا ستلقى نفس مصير صديقتيها لولا أن خياطًا طيب القلب كان بالمصادفة يتنزه قرب النهير وقد توقف عند

ضفته ورأى أجزاء حبة اللوبيا فأخرج من جيب سرواله خيطا وإبرة وراح يرتقها، فشكرته حبة اللوبيا بامتنان.

وبالمصادفة :

والمصادفات فلسفات
في كل زمن ولي وآت
خصت اللوبيا بسمات
عن كل البقوليات

كان الخيط الذى يحمله الخياط معه أسود وقد رتق به حبة اللوبيا وعقده فى منتصفها، وظل الخيط عالقًا بها من ذلك الحين وحتى الآن، لذلك فكل حبات اللوبيا لها نقطة سوداء فى بطنها!

* * *

كان يا ما كان حدوتة زمان
حكاية يرويها الدهر والمكان
وأخرى يطويها العمر والنسيان
وهذه يحكيها جريم الأخوان
لك هنا والآن:



صحبة القطة والفأر

كـــان يا مـــا كـان
فـــى بـــلاد الألمـــان
قـط وعــــــد بالأمـــان
فـــأرا وهمـــا صـــديقـــان:

فى يوم من الأيام تعرفت قطة إلى فأر وأخذت تلقى عليه دروسًا فى الصداقة الحميمة التى تربطها به وتسهب فى الكلام عن الحب العظيم الذى تكنه له، حتى إن الفأر استسلم فى نهاية المطاف لطلبها أن يعيشا معا تحت سقف دار واحدة وأن يديرا اقتصاداً مشتركًا بينهما فيأكلان ويشربان صحبة! ثم قالت القطة للفأر:" علينا أن نجمع للشتاء مخزونًا من الطعام وإلا تضورنا جوعًا، وأنت يا عزيزى الفأر لا يمكنك المخاطرة والظهور فى كل الأماكن وإلا وقعت فى نهاية الأمر فى مصيدة!" وعمل الفأر بمشورة القطة، وابتاعا قدرًا ممتلئًا بالسمن. وفكر الصديقان طويلاً فى المكان الذى يصلح مخبأ للقدر، ثم قالت القطة:" لا أعرف مكانا يمكن إخفاء القدر به أفضل من الكنيسة، حيث لا يتجرأ إنسان على سرقة أى شىء ، لنضعه وراء الهيكل ولا نقربه قبل الحاجة." على هذا النحو رسا القدر بالسمن فى مكان آمن.

وبعد فترة وجيزة اشتهت القطة سمن القدر وراحت تقول للفأر: "يا عزيزى الفأر لقد طلبت منى ابنة خالتى أن أحضر اليوم تعميد

وليدها وأكون أمًا روحية له، فقد رزقت بطفل بديع أبيض بخصلات بنية، فهل تسمح لى أن أخرج وتدير وحدك اليوم شئون البيت؟" أجاب الفأر:" بالطبع، إذهبى فى حفظ الله، وتذكرينى إذا التهمتى شيئًا طيبًا أو شربت من النبيذ الأحمر المسكر الذى يفرق فى احتفال التعميد، اننى احب مذاقه واحتسى منه جرعة بكل سرور!"

فى الحقيقة لم يكن للقطة ابنة خالة ولم يستدعها أحد للقيام بتعميد أى مولود، وفى واقع الأمر لم ترد القطة إلا أن تصل للقدر. هكذا قفزت من البيت وسلكت أقصر طريق للكنيسة ثم تسللت للقدر وانكبت عليه تلعق الدهن وتلعق، ولما اكتفت لحست كفاها وراحت تتنزه وتشاهد العالم من فوق أسطح البيوت فى المدينة، واستلقت بعد ذلك على ظهرها فى الشمس تنظف نفسها وتتحسس ذقنها بلسانها كلما تذكرت القدر، ولم تعد للدار إلا فى المساء. فى البيت سألها الفأر:" كان يومك سعيدًا بالتأكيد، أليس كذلك؟" قالت:" لا بأس!" سأل الفأر:" وما اسم المولود؟" أجابته بجفاف:" اغرب عن وجهى!" صاح الفأر:" يا له من اسم رائع ومبتكر، وهل هو مألوف فى عائلتكم؟" قالت القطة:" إنه على أية حال ليس أسوأ من اسم معمدك: حرامى الفتات!"

ومرت فترة وجيزة اشتاقت القطة أثناؤها لسمن القدر واشتهته فقالت للفأر:" أسألك يا عزيزى الفأر جميلا اخر، إننى مدعوة لحضور تعميد طفل آخر، ولا استطيع الرفض لأنه طفل بديع حقًا فكل فرائه أسود داكن وحول العنق فقط شعر أبيض جميل." وافق الفأر طيب القلب، أما هى فتسللت من خلف سور المدينة إلى الكنيسة وأكلت نصف

القدر قائلة لنفسها: " أطيب الطعام ما تهنأ به وحدك!" وكانت القطة سعيدة راضية عن غدرها. وفى البيت سألها الفأر: " كيف تم تعميد الطفل؟" فأجابت القطة: " فرغ النصف." قال الفأر: " ماذا تقولين؟ (فرغ النصف!) لم أسمع فى حياتى بهذا الاسم!! هو بالتأكيد ليس مدرج فى قاموس الأسماء!"

وسرعان ما تحلب ريق القطة على الوجبة الدسمة وعملاً بالمثل القائل: " كل الأشياء الجيدة يجب أن تصبح ثلاثاً!" وللمرة الثالثة قالت للفأر: " علىّ أن اذهب مرة اخرى لتعميد وليد جديد، الطفل كل شعره أسود خالص، ليس به خصلة واحدة بيضاء سوى كفوفه الناصعة، فهل تتركنى اخرج؟!" قال الفأر: " إن هذه الأسماء الغريبة: (اغرب عن وجهى!)، (فرغ النصف!) تدفعنى للتفكير!" أجابت القطة: " إنك تقبع داخل الدار بجلدك الرمادى الغامق وذيلك الفرائى الطويل وتسترسل فى أوهامك وينحرف مزاجك ، لأنك لا تخرج من البيت أثناء النهار."

وكما فى كل مرة قام الفأر بترتيب المنزل وتنظيفه فى غياب القطة الذّواقة التى انهت كل ما بالقدر من سمن، ثم قالت لنفسها: " عندما يفرغ القدر تماما تهدأ روح الكائن منا"، وعادت فى الليل إلى الدار متخمة منتفخة. وفور وصولها سألها الفأر عن اسم الطفل فقالت: " لن يروقك هذا الاسم أيضًا ، لقد لقب الطفل بـ(فرغ النصف الآخر)." صاح الفأر: " وما معنى (فرغ النصف الآخر)؟" لم تعبأ القطة بسؤاله وهزت رأسها وتكورت فوق الأرض ونامت.

بعدما نفد السمن لم يعد أحد يرجو القطة حضور تعميد أى طفل. وحل فصل الشتاء وانعدمت بواقى الأطعمة فى الشوارع ففكر الفأر فى مخزون الطعام الذى أخفاه والقطة لحين الحاجة

وقال لها:" هيا نذهب إلى قدر السمن الذى ادخرناه، الآن سيروق لنا مذاقه!" اجابت القطة:" بالطبع سيروقك مذاقه، تمامًا كما يروقك الهواء إذا أخرجت لسانك من النافذة!" انطلق الاثنان إلى الكنيسة ثم وصلا إلى القدر الذى كان لايزال فى مكانه، لكنه كان فارغا. رأى الفأر القدر الخاوى وقال:" آه .. اتضح الآن كل شئ وفهمت ما حدث، حقًا إنك لصديقة وفية، أكلتى إذن كل السمن عندما أتيت هنا لتعميد الأطفال؟! فى البدء (اغرب عن وجهى!) ثم (فرغ النصف) ثم . . . . . قاطعت القطة الفأر بصرخة فى وجهه قائلة:" صه! لو نطقت بحرف آخر سألتهمك!" لم يكد الفأر ينهى عبارة (فرغ النصف الآخر) حتى أضافت القطة جملة واحدة وابتلعته:" أترى .. هكذا هى الحياة وهذا هو العالم!"

* * *

كان يا ما كان حدوتة زمـــان

حكاية يرويـها الدهـر والمكـان

وأخرى يطويها العمر والنسيان

وهـذه يحكيها جريم الأخوان

لك هـنا والآن:



اثنا عشر أخًا

كـــان يا مـــا كـــان
فـــى بـــلاد الألمـــان
الأخـــــوة بـنـيـــان
والحـب مـــــيــدان
فـــيـــه دم الأبدان
وارواحـــهـــا قـــربان

من زمان عاش ملك وزوجته، وكان لهما اثنا عشر ابنًا ، وعندما اقتربت الملكة من وضع جنينها الثالث عشر قال لها الملك:" يا زوجتى إذا انجبت بنتًا، يجب ان يموت ابناؤنا الاثنى عشر لكى تصبح كل البلاد مملكتها وحدها ولكى تعظم ثرواتها." وأمر الملك بصناعة اثنى عشر تابوتًا ملأها بنشارة الخشب ونقلها إلى غرفة مغلقة واعطى المفتاح إلى الملكة، وطلب منها ألا تخبر أحدًا بشىء!

جلست الام طيلة اليوم مهمومة مكروبة وقد نال منها الاسى حتى أن بنيامين أصغر الابناء الذى كان يرافقها اينما كانت سألها:" ما بك يا أمى الحبيبة من أشجان؟" فقالت:" لا يمكننى ان اقول لك شيئًا." لكن الصبى لم يتركها فى حزنها، وراح يلح حتى ساقته فى النهاية إلى الغرفة المشئومة التى سترت فيها النعوش ، وقالت له وهى تبكى:" هذه النعوش يا ولدى الحبيب أمر والدك بإعدادها لك ولإخوتك إذا انجبت

هذه المرة بنتا، وسيكون يوم ميلادها موعد موتكم، سوف تلقون حتفكم وتدفنون فيها."واساها الصبى قائلا:" إهدأى يا أمى وكفى عن البكاء ، وسنتمكن من الهرب قبل أن يمسنا أى سوء." قالت الأم:" ارحل مع إخوتك، فروا جميعًا إلى الغابة، وليجلس أحدكم فوق قمة أعلى شجرة تجدونها ويراقب برج القصر، إذا أنجبت ولدًا سترون علما أبيض يرفرف اعلاه، ويمكنكم عندئذ العودة فى طمأنينة وسلام، أما إذا وضعت بنتا فسترون راية حمراء بلون الدم منكسة فوق البرج وعليكم حينئذ أن تلوذوا بالفرار بسرعة إلى أعماق الغابة. وسوف أمضى أنا طيلة هذه الليلة أصلى وأدعو لكم ان تجدوا ما يدفئكم فى الشتاء وما يحميكم من الحرة تحت القرة فى الصيف وان يرعاكم الله دومًا!

بعد دعوات الأم وصلواتها فر الأبناء إلى الغابة، وكان واحد منهم يقوم بالحراسة والانتظار فوق أعلى شجرة بلوط ويتطلع إلى برج القصر، إلى أن مر أحد عشر يومًا وحل الدور على أصغر الأبناء، وقام بنيامين بالمراقبة ، ورأى الراية الحمراء بلون الدم تنتشر ما ضمره الملك من نية قتل أبناءه الذكور. وعندما علم الاخوة حزنوا وتملكهم غيظ عظيم وتعهدوا قائلين:" إننا نقسم أن ننتقم من كل بنت نراها وأن نريق دماءها حمراء بلون هذه الراية طالما أن شقاءنا كان سببه فتاة."

انطلقوا إلى جوف الغابة ومضوا فى دروبها حتى عثروا بوسطها حيث بقاعها المظلمة على دار مسحور ملعون.خال من كل حياة، وقرروا أن يصبح مأواهم، وقال أحدهم:" ستبقى أنت يا بنيامين فى الدار لأنك أصغرنا ومازلت بحاجة ؛ لأن يشتد عودك وتقوى، عد لنا الطعام واهتم

بشئون البيت وسنخرج نحن للغابة نجلب الصيد للأكل." ثم انطلقوا للغابة واصطادوا الأرانب والغزلان البرية والطيور والحمائم وكل ما يؤكل وعادوا به للدار. وكان بنيامين يجهز لهم على الدوام المأكل والمشرب ، وهكذا دارت الايام والأعوام حتى اكتملت عشرة فى هدوء ووئام، غير أن استمرار الحال من المحال.

فى هذه السنين شبت الطفلة واصبحت أميرة بديعة الوجه جميلة الهيئة طيبة القلب عطوفة تضع دوما فوق جبينها نجمة ذهبية براقة. وذات مرة من المرات وخادمات القصر تغسل الثياب رأت الأميرة بين الملابس اثنى عشر قميصاً فتعجبت وسألت امها:" لمن هذه القمصان؟ انها أصغر كثيراً من قمصان أبى!" اجابتها الام بلوعة كبيرة:" أنها لإخوتك الاثنى عشر يا طفلتى الحبيبة." اضافت الفتاة:" وأين هم إخوتى الذين لم أسمع بوجودهم قط؟!" قالت الملكة:" انهم تائهون، هائمون على وجوههم فى الدنيا والله وحده يعلم أين هم الان." ثم أخذت الطفلة وفتحت لها الغرفة المشئومة التى سترت فيها النعوش المذئلة بنشارة الخشب والأكفان وقالت لها:" صنعت هذه التوابيت لإخوتك لكنهم فروا خفية قبل مولدك، وقصت عليها الحكاية من البداية حتى النهاية، وعندما فرغت الأم من الكلام قالت لها الفتاة:" لا تبكى يا أمى! سأرحل أنا وأفتش عنهم حتى أجدهم."

أخذت الفتاة القمصان ورحلت صوب الغابة الفسيحة التى انطلق اليها من قبل اخوتها. سارت نهاراً طويلاً، وليلاً وحيدة إلى أن بلغت البيت الملعون ودخلته. وجدت فيه صبيا صغيرا تعجب لحسنها الفتان

ودهش لثيابها الملكية البديعة وراقت له النجمة الذهبية التى تتدلى من شعرها فوق جبينها فى جمال وسألها:" من أين جئت وإلى أين تبتغين؟!" قالت:" أنا ابنة ملك وابحث عن اخوتي الاثنى عشر، وابتغى الرحيل طالما امتدت زرقة السماء من فوقي وحملتنى قدماى حتى أعثر عليهم." ثم اخرجت له الاثنى عشر قميصا. عندئذ علم الصبى أنها أخته وقال لها:" أنا بنيامين أصغر إخوتك." وفى الحال انهمرت العبرات فوق وجناتيهما فى سعادة وبهجة، وأمطرا بعضهما البعض بالقبلات وارتمى واحد منهم فى احضان الاخر فى حب غامر. ثم قال لها بنيامين:" هناك يا أختى الحبيبة عقبة واحدة علينا تخطيها، فلقد تعاهدنا واقسمنا على ان نميت كل بنت نلقاها لاننا تغربنا وترحلنا وتركنا مملكتنا بسبب مولد فتاة." قاطعته أخته قائلة:" أموت مرتضية الهلاك من أجلكم واسعد بحتفى فى سبيل تحريركم." اجابها بنيامين:" كلا يا أختاه لا يجوز أن تموتين! اجلسى تحت هذا البرميل حتى يأتى اخوتنا وسأسوى انا الامر معهم!"

انتشرت الظلمة وعاد الاخوة فى المساء من رحلة الصيد وجلسوا إلى المائدة التى أعدها أخوهم الأصغر يأكلون ويسألون بنيامين عما كان أثناء النهار قائلين:" هل من جديد؟" فقال لهم:" ألا تدرون ما حدث؟" قالوا:" كلا!" قال:" كيف لا تعلمون بما وقع بينما انتم الذين تخرجون للدنيا وتصطادون فى الغابة، وأدرى به أنا الذى أظل حبيسًا فى الدار؟" صاحوا به فى تشوق وانبهار:" احك لنا إذن ما تعرفه!" قال:" بشرط أن تتعهدوا بألا تقتلوا أول فتاه نلقاها!" صاحوا جميعًا

صيحة واحدة:" نتعهد أن نعفو عنها، والان قل ما عندك!" قال:" أختنا هنا!" ثم رفع البرميل وظهرت إبنة الملك بجمالها الفتان وثياب القصر الخلابة والنجمة الذهبية تسطع فوق جبينها، ابتهج بها الجميع أيما بهجة وسعدوا وفرحوا وارتموا فى أحضان بعضهم البعض فى عناق وحب وقبلات.

وراقت الحياة وكان الاخوة يذهبون للغابة ويصطادون الحيوانات المفترسة والغزلان والطيور والحمائم، وتبقى الفتاة مع بنيامين فى الدار ترتب البيت وتكسو الأسرة بأغطيتها البيضاء الناصعة وتساعد أخاها الأصغر فى تجهيز الطعام وتجمع الأخشاب وتضرم النار فيها وتضع فوقها القدور وتجلب الخضرة للطبيخ وتعد كل شئ قبل مقدم أخوتها. وكانوا سعداء، وعاش الاخوة مع الأخت عيشة هانئة فى وفاق وسلام.

واستمر الحال على هذا المنوال حتى كان يوم من الأيام طهت فيه الأخت وجبة شهية وساعدها بنيامين، ولما عاد الاخوة من الغابة والتئم الشمل حول مأدبة العشاء راحوا يأكلون ويشربون فى ارتياح ويثرثرون فى أنسة. وابتغت الصبية إبهاج اخوتها فخرجت إلى حديقة على مقربة من الدار الملعونة ورأت فيها اثنتى عشرة زهرة يانعة من ورود البنفسج وفكرت أنها بالتمام على عدد إخوتها، تهدى كل واحد منهم زهرة فتشيع سروراً وعبقاً. ومالت تقطف الوردات، فإذا بإخوتها الاثنى عشر ينقلبون فى نفس اللحظة إلى اثنى عشر غراباً يحلق فى سماء الغابة حتى اختفوا، واختفى معهم الدار الملعونة بالحديقة. وظلت الفتاة المكروبة وحيدة وسط الغابة البرية تتلفت يميناً وتتطلع يساراً وفى

أساها رأت امرأة قالت لها:" ماذا فعلت يا طفلتي الحبيبة؟ لماذا قطفت الورود؟ إنها إخوتك! الان قد أصبحوا غربانًا ، وسيظلون غربانًا إلى الأبد." انتحبت الفتاة تسأل المرأة:" أما من حيلة لانقاذهم؟!" أجابتها العجوز:" وسيلة واحدة في كل هذه الدنيا تستطيعين بها تحريرهم من اللعنة، غير أنها عسيرة للغاية، فعليك إذا هدفت لتخليصهم إلا تتفوهين بحرف واحد سبع سنوات، ولا تضحكين أبدًا أو تتبسمين، وإذا خرجت من فمك كلمة، كلمة واحدة قبل انقضاء السبعة أعوام ولو حتى بساعة زمن واحدة، عندئذ سوف يذهب كل عناؤك أدراج الرياح ويموت اخوتك بهذه اللفظة التي تفوهت بها." أقسمت الفتاة لنفسها وتعهدت من قلبها وروحها ان تنقذ اخوتها من اللعنة والسحر وفكرت:" يقيني أنني سأحرر إخوتي، ما من شك في ذلك." ومضت تسير في الغابة تفتش عن شجرة عالية ثم جلست فوق واحدة وراحت تغزل بوجه عابس مكدر، ولم تتكلم ولم تتبسم ولم تضحك.

وفي يوم من أيام ذاك العصر والزمان خرج الملك إلى الغابة في رحلة صيد يتبعه كلبه السلوقي الضخم الذي اشتم رائحة إنسان وهرول يركض إلى الشجرة التي تجلس الفتاة فوق قمتها، وأخذ ينبح ويعوي ويقفز من حولها، فجاء الملك ورأى الأميرة البديعة والنجمة الذهبية تتوسط جبينها في تلألؤ وقد فتن بحسنها وجمالها حتى إنه في الحال طلب منها أن تصبح زوجته. لم تجب الفتاة وطأطأت برأسها قليلاً، فحملها الملك ورفعها إلى ظهر مهرته وركض إلى القصر.

احتفلت الملكة بالعرس فى أبهة وجلال غير أن العروس لم تتكلم ولم تضحك ولم تتبسم. وبعد سنوات عاش فيها الملك والملكة فى حب وسعادة بدأت أم الملك الشريرة تنال من زوجة ابنها فى شائعات قاذعات. وقالت لابنها الملك:" إن زوجته امرأة رديئة خبيثة الطوية ، وانها ابنة شحاذ ، وان الله وحده يعلم ما كانت تقوم به من فاحشات خفية وسرا. ولو انها فقط خرساء لاستطاعت على الاقل أن تضحك أو تتبسم أو تزيل الكرب من روحها." لم يأبه الملك لحديث امه فى البداية، لكن المرأة العجوز راحت تكرر وتبرر وتعيد وتزيد فى اقوالها من الفرية والاختلاق وقتًا طويلاً وقذفتها بتهم مسيئة كثيرة حتى اقنعت الملك بان أخلاقها ذميمة وانها منغمسة فى الشر إلى أن جعلته يحكم عليها بالإعدام.

وفى فناء القصر أضرمت نار مستعرة كى تكتوى بها الملكة حتى الهلاك. وكان الملك يتطلع للمشهد المروع من احدى النوافذ بمقلتين دامعتين لأنه كان مازال يعشقها. وفى اللحظة التى قيدت فيها الملكة فى منصة الإعدام وبدأت ألسنة النيران المتقدة تلتهم أطراف ثيابها كانت السبع سنوات قد اكتملت وزعقت فجأة صرخة مروعة فى الفضاء أقدم أثرها اثنى عشر غرابًا محلقًا وهبطوا، وما إن لمست أقدامهم الارض حتى انقلبوا فى الحال رجالاً، كانوا هم إخوتها التى حررتهم من السحر، وراحوا يفرقون الأخشاب والأعواد التى اتقدت نارًا تحت أختهم ويطفئون ألسنتها ويخمدون نيرانها بأقدامهم، وفكوا وثاقها وانهالوا عليها قبلاً وعناقًا ومحبة.

نفذ العهد الذى أخذته الأخت على نفسها وتحرر إخوتها ، ولم يعد هناك عائق أمام حديثها، فتكلمت أخيرًا وقصت على زوجها الملك الحكاية من البداية حتى النهاية وفرح الملك أيما فرحة وابتهج كل البهجة عندما علم بأن زوجته بريئة من كل ذنب وكل ما قيل فيها. وقدمت أم الملك الشريرة للمحاكمة ووضعت داخل برميل به زيت يغلى وسم ثعبان فتاك وماتت المرأة الشريرة ميتة متوحشة. أما الملكة والملك فقد عاشا معًا عمرًا مديدًا ووقتًا طويلاً فى سعادة وهناءة، وحب ووفاق.

* * *

كان يا ما كان   حدوتة زمــان

حكاية يرويـها   الدهـر والمكـان

وأخرى يطويها   العمر والنسيان

وهـذه يحكيها   جريم الأخـوان



ورقات الثعبان الثلاث

كـــان يا مــــا كـــان
فـــى بـــلاد الألمـــــان
الحـــب فـــى كـــل مـــكـــان
تضـــحـــيـــة وحـــرمـــان
تبـــــعث الانســـــان

من زمان فى سالف العصر والأوان عاش رجل فقير فى ضنك وعوز بلغا به أنه لم يكن لديه حتى ما يطعم به ابنه الوحيد. واستمرت الحياة على هذا الحال حتى قال الابن لأبيه ذات مرة:" يا أبتاه إننى أفضل الرحيل والبحث عن وسيلة لاكتساب قوتى، عن أن أظل عبئًا ثقيلاً فوق كاهلك." وعقد الابن العزم على الرحيل ورضخ الأب ودعا له وافترق عنه بحزن ولوعة.

رحل الشاب وانخرط فى ساحات حرب ضروس كانت البلاد فى تلك الآونة تخوضها. وكانت المعارك حامية الوطيس أفزعت اهوالها كل الجنود عداه. كانت السماء تمطر رصاصًا ولهيبًا فتحجب النهار، وكان الرجال يتساقطون صرعى من حوله والأحياء منهم يلوذون بالفرار تاركين قائدهم إذا ظل على قيد الحياة، فما كان منه إلا أن قادهم وحثهم على الشجاعة والقتال وزرع التفاؤل فى أفئدتهم صائحا بهم:" وطننا يدمر! لا يمكن أن نتركه!" فيتبعونه وهو يتقدمهم يطيح برؤوس

جنود الأعداء إلى كل جانب. وعلم الملك بشأن الجندى الباسل ، وبأنه والبلاد مدينان له بالنصر، فرفعه فوق كل رتبة ومنحه ثروات وفيرة. وجعله الأهم منزلة فى كل المملكة.

وكان للملك ابنة بلغت فى الحسن أروعه، غريبة فى ذات الوقت وصلت فى التفرد ذروته، اشترطت ألا تقترن برجل إلا إذا تعهد أن يدفن نفسه معها حيا لو وافاها الأجل من قبله! وكانت تقول فى تفسير ذلك: إن الذى يحبها لن يجد فى الحياة نفعًا من بعدها، وأنها هى الأخرى تقطع على نفسها ذلك العهد ، وأنها سوف تقفز للقبر معه لو مات من قبلها. وقد أفزع هذا الشرط كل من رغب فى الزواج منها، إلا أن الشاب أخذ بفتنتها ولم يعبأ بشىء سواها واتجه للملك يطلبها منه، فقال له:" وهل تعلم أنك ستمضى معها إلى القبر إذا سبقتك إلى الموت؟" فأجابه:" من يعلم من منا سيسبق الآخر؟! إن حبى لها أعظم من كل الأخطار." وافق الملك على الزيجة وأقيمت احتفالات العرس فى أبهة وجمال خلاب وعاش الملك الشاب مع زوجته أعوامًا وأعوام فى هناءة ووئام.

وانتظمت الحياة على هذا الحال لكن دوامه من المحال. اعتلت الملكة فجأة بمرض عضال لا طب له ولا طبيب استطاع إشفائها. وفى النهاية أودت بها المنية ورقدت أمام زوجها الذى تذكر العهد الذى تعهد، لكنه جزع من الرقاد جوارها فى القبر، غير أنه لم يجد مخرجًا؛ فقد سد الملك العجوز كل البوابات بالحرس والجنود ، وأيقن الملك الشاب أن لا فرار ولا مفر من مواجهة مصيره المحتوم. ولما أصبحت الدنيا وحان

الوقت لتوسد الملكة التراب فى القاعة الملكية تحت قبة الضريح، سيق معها ثم أغلقت ضلفتى البوابة بالمزلاج عليهما.

كان النعش يتوسط ساحة الضريح وبجواره انتصبت مائدة فوقها أربع شموع وأربعة أرغفة وأربع قنينات نبيذ. وكان ذلك كل ما لدى الملك الشاب من زاد وشراب، إذا نفد نشبت المنية أظفارها فيه وأدرج هو الآخر فى القبر بجوارها؛ لذلك كان الشاب مقتصداً فى الخبز، وكان يحتسى فى كل مرة قطرات قليلة من النبيذ. جلس الشاب مكتئبًا كربًا حزينًا وشعر بالهلاك يدنو منه ببطء وحزم وهو يحدق فيما حوله، فرأى ثعبانًا يزحف من أحد أطراف القبة صوب جثة زوجته. استل سيفه كى لا يقترب الثعبان من الجثة ويقضم منها قائلا:" لن أسمح لك بالمساس بها مازلت حيًا!" وهوى فوقه ومزقه ثلاثا، غير ان ثعبانًا آخر ظهر من نفس الطرف فى أعلى القبة، ولما رأى الأول ممزقًا تقهقر واختفى ثم عاد وفى فمه ثلاث ورقات خضراء من نبتة ما ولملم الأجزاء الثلاثة المقطعة ورتبها فى نسقها وألقى فوق كل جزء بورقة. التأم على الفور جسم الثعبان ، وراح يأتى بحركات هينة وشيئًا فشيئًا عاد حيًا من جديد! انصرف الثعبانان فى عجلة وتركا الأوراق الثلاث من خلفهما فوق الأرض.

راقب الملك الشاب ما حدث وفكر فى أن القوة العجيبة التى تمتلكها تلك الأوراق قد تبعث الميت حيًا كما فعلت بالثعبان. رفع الورقات بيده وألقى واحدة فوق فم زوجته والثانية والثالثة على عينيها. تحركت الدماء فى عروق الجثة وصعدت إلى وجهها الشاحب فاكتسى

حمرة وحياة! شهقت الملكة شهقة لتعب من الهواء ما استطاعت وقالت:" يا إلهى! أين أنا؟" أجابها:" معى يا زوجتى الحبيبة!" وحكى لها ما حدث وكيف بعثت للحياة بأمر الله ثم ناولها زجاجة نبيذ وكسرة خبز. نهضت الملكة معه وسارا إلى البوابة وطرقًا وزعقًا بصوت مرتفع حتى بلغ صوتهما الحرس الذى هرع ينبئ الملك العجوز. ركض الأب إلى الضريح وفتح البوابة ووجدهما أحياء نضرين ، وكان فرحًا بهجًا أيما بهجة ونسى الجميع الاحزان وتركوا من خلفهم الأكفان، وقبل رحيلهم اخذ الملك الشاب الورقات الثلاثة وأعطاها لخادمه قائلاً:" احتفظ بها معك على الدوام! من يعلم فيما قد تدفعنا الحاجة لاستخدامها."

نفضت الملكة الموت عن جسدها لكن الموت لم يعف فؤداها، فقد زال كل حبها لزوجها ، وكأنه لم يعصف يوما بكل روحها! وكذا شاءت الأقدار أن يرحل الملك الشاب مع زوجته فى رحلة إلى ابيه العجوز عبر البحار. وانطلقت بهما السفينة، وقد شعرت الملكة بميل عنيف إلى القبطان وغفلت حب زوجها العظيم وإخلاصه الابدى لها الذان دفعاه للفداء بنفسه من أجلها وحثاه على بعثها للحياة. وذات مرة عندما كان الملك نائمًا ، وكانت الملكة قد دبرت المكيدة له، وسحبت القبطان وأمسكا كلاهما بالملك الشاب، الملكة من رأسه والقبطان من قدميه والقيا به إلى الماء، وبعد أن أتما فعلتهما الشنعاء قالت الملكة للقبطان:" والآن عد بالسفينة إلى مملكتنا! سنقول لأبى إنه مات أثناء الرحلة، وسوف أمجدك أمام الملك فيزوجنا ويجعلك وريث العرش والتاج!"

وكان خادم الملك الأمين شاهداً على ما جرى منصتًا لما قيل، فحل خفية قاربًا صغيرًا من السفينة دون أن يرى أو يسمع أحد شيئًا وراح يجدف بقوة حتى لحق بجثة سيده ورفعها إلى القارب وبالورقات الثلاثة التى كان يحتفظ بها ألقى واحدة فوق الفم والاخريين على العينين فأفاق الملك وعاد كما كان حيا نضرا، بينما كانت زوجته والقبطان فى طريقهما إلى المملكة.

كان القارب صغيرًا خفيفًا ، وكانت سواعد الرجلين قوية عتية وإصرارهما على الوصول قبل الملكة شديدًا حازمًا فانطلقا بالمركب يجدفان نهارًا وليلاً بكل ما أوتيا من قوة. وعندما بلغا القصر دهش الملك العجوز عندما رأهما دون الملكة وسأل عما حدث. أخبره الملك الشاب بفعلة ابنته. وكانت فجيعة الملك العجوز عظيمة ولم يع أن ابنته تحمل هذا الشر الضخيم ، وقال فى حزن:" عسير علىَّ أن أصدق ما تقولان لكن الحقيقة سوف تظهر قريبًا." وأخفى الملك العجوز الرجلين فى غرفة مستورة عن كل بصر، موصدة عليهما بالمزلاج والمفتاح، وانتظر وصول ابنته.

وصلت السفينة وظهرت الزوجة الذنديقة وهى ترسم علامات الأسى فوق وجهها فقال لها الملك:" وأين زوجك؟" قالت:" آه يا أبتاه إن كمدى كبير فقد مرض زوجى فجأة ونحن نبحر ومات، ولو لم يأخذ هذا القبطان الطيب بيدى ووقف بجوارى فى تلك المحنة لكان حالى الآن أسوأ بكثير، إنه عاش ما حدث فليقص عليك كل شىء." أجاب الملك العجوز:" إذن سوف أبعث من مات حيًا ولنرى .." فتح الملك باب الغرفة

وصاح ينادى الملك الشاب وخادمه، وعندما رأتهما الملكة خارت قواها وسقطت فوق الأرض ترجو العفو وتطلب المغفرة. أجابها الملك العجوز قائلاً:" لا عفو ولا مغفرة! كان زوجك مستعداً لملاقاة الموت من أجلك، وبعثك للحياة، فأجبتيه بالقتل فى السفينة، وسوف تلقى جزاءك الذى تستحقينه." قيدت الملكة والقبطان فى قارب مثقب من كل جانب وسيقا لعرض البحر، وسرعان ما ابتلعتهما الأمواج.

* * *

كان يا ما كان حدوتة زمـــان

حكاية يرويــها الدهـر والمكـان

وأخرى يطويها العمر والنسيان

وهــذه يحكيها جريم الأخوان



الأخوان جريم فى سطور :

يعقوب جريم: (٤ / ١ / ١٧٨٥ – ٢٠ / ٩ / ١٨٦٣)

فيلهلم جريم: (٢٤ /٢/ ١٧٨٦ – ١٦ / ١٢ / ١٨٥٩)

أسس الأخوان جريم علم اللغة والأدب الألمانى (جرمانيستيك)، وكانا أول من جمع الحواديت الشعبية والأساطير الألمانية القديمة فى ثلاثة مجلدات، فرأى المجلد الأول النور عام ١٨١٢، والثانى سنة ١٨١٤ وتبعهما المجلد الثالث، وقد شرعا فى التجميع سنة ١٨٠٦، وظلا يفتشان عن الحواديت حتى عام ١٨٥٧ ، ووضع الأخوان معجماً لغوياً موسعاً: "الموسوعة الالمانية الكبيرة"، لم يستكمل إلا فى بداية الستينيات من القرن العشرين حتى صار اثنين وثلاثين مجلداً. وترك الأخوان جريم أضخم كتاب فى قواعد اللغة الالمانية يقع فى أربعة مجلدات. كما اكتشفا الكثيرين من ادباء التراث المهمين وقدماهم للحياة الثقافية الألمانية، ولعبا دورا مؤثرا فى الحياة الفكرية والثقافية الألمانية، وينتميان للمدرسة الرومانتيكية الألمانية.

المترجمة فى سطور :

منى عبد الرحمن الخميسى

- مواليد ١٩٥٤
- أنهت دراستها الجامعية فى الآداب وعلوم اللغة الألمانية فى جامعة "هومبولد" بيرلين .
- حصلت على الماچيستير من نفس الجامعة فى الأدب الألمانى الكلاسيكى .
- حصلت على الدكتوراه من أكاديمية العلوم الروسية، معهد جوركى للآداب العالمية فى "أدب جوته".

الإشراف اللغوى: حسام عبد العزيز
الإشراف الفنـــى: حســن كامــــل



قد لا نغالى إذا قلنا إن : "حواديت الأخوين جريم" هى : "ألف ليلة وليلة" الأوروبية. صدر الجزء الأول منها فى ألمانيا عام ١٨١٢، والثانى سنة ١٨١٤، ثم تبعهما الجزء الثالث. وقد ظلت المكتبة العربية طيلة قرابة قرنين من الزمان فى حرمان من هذا الإرث الثقافى البديع الذى سيرى النور أخيرا بالعربية فى ترجمة كاملة له من الألمانية تقع فى ثلاثة أجزاء، هذا الأول منها.

